

# الاعجاز الصرفي

## في القرآن الكريم

دراسة نظرية تطبيقية

التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة

الدكتور عبد الحميد أحمد يوسف نداوي

المكتبة العصرية  
بيروت

# العجاز الصري

في القرآن الكريم

دراسة نظرية تطبيقية  
التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة

تأليف

دكتور/عبد الحميد أحمد يوسف هندأوي  
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

المكتبة العصرية  
سنة - شهر



شركة إنشاء شريف الأضواء  
للطباعة والنشر والتوزيع  
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية

الحنق الفمق - ص ب: ١١/٨٣٥٥  
تلفاكس: ١٥-٦٥٥ - ٦٣٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ - ٠٩٦١  
بيروت - لبنان

• المكتبة الشامية الجديدة

الحنق الفمق - ص ب: ١١/٨٣٥٥  
تلفاكس: ١٥-٦٥٥ - ٦٣٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ - ٠٩٦١  
بيروت - لبنان

• المطبعة الحضرية

بوليفار نزه المزوي - ص ب: ٢٢١  
تلفاكس: ٦٢٤-٧٣ - ٧٢٩٣٤٩ - ٧٢٩٣٦١ - ٠٩٦١  
صيدا - لبنان

٢٠٠٨ م - ١٤٢٩ هـ

Copyright© all rights reserved

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز نسخ أو تسجيل أو استعمال أي جزء من  
هذا الكتاب سواء صفات تصويرية أم الكترونية  
أم تسجيلية دون إذن خطي من الناشر.

E. Mail

alassrya@terra.net.lb

alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

٥ ٩ ٦ ٤

ISBN 9953 - 435-67-7

# إهداء

---

إلى الكريم أبى

وإلى الكريمة أمى

إلى من غذى قلبى وعقنى نوراً وحكمة من آيات الله

وإلى من غدتنى بحنانها ولبانها

إلى هذين الكريمين أهدى جنى اليدين

فاللهم أخلصه لك وانفع به عبادك

اللهم وانفع به والدى وارحمهما كما ربباني صغيراً.

# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابطہ بدیل  
lisanerab.com

www.lisanarb.com



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى علم القرآن، وخلق الإنسان، وعلمه البيان، وأصلى وأسلم على أفصح الخلق لسانا، وأبلغهم بيانا، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين. وبعده؛ فإن هذه الرسالة تتناول جانباً دقيقاً من جوانب الإعجاز القرآنى الذى لا نكاد نجد فيه إلا إشارات عابرة للسابقين، مما يجعل لهذه الرسالة قيمتها التى ترجع إلى كونها أول بحث فى هذا الباب يحاول استجلاء أسرار الصيغ فى أغلب القوالب القرآنية المعجزة. ونستطيع أن ندرك مدى أهمية هذا البحث إذا ما عرفنا أن إشارات السابقين فى هذا الباب قد تركزت فى أغلبها حول التفريق بين دلالة الاسم والفعل على العموم دون تتبع الدلالات الفنية الدقيقة لما يتفرع على الاسم والفعل من صيغ كثيرة عديدة كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المرة واسم الهيئة وصيغ الإفراد والجمع، فضلاً عما للفعل من صيغ كثيرة عديدة تؤدى دوراً كبيراً فى تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال الذى جعله البلاغيون معياراً للبلاغة.

وهذا البحث الذى بين يدي القارئ كان فى أصله الذى نلت به درجة الدكتوراه- غير مقصور على الصيغ فى القرآن الكريم وحده ، بل كان دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغى لصيغة الكلمة على العموم، ولذا فقد قرنت فيه بين النماذج الشعرية من مختلف العصور ولكن هبة منى وشغف بكتاب الله تعالى وجدت أن النماذج القرآنية قد غلبت على النماذج الشعرية ، بما أوحى لى أن تكون هذه الرسالة رسالة فى الإعجاز الصرفى للقرآن الكريم.

ورأيت أن ما ذكرته من النماذج الشعرية فى هذه الرسالة لا يضرُ بها، بل لعله يكون من أهم الأسباب التى تدلل على هذا الإعجاز وتؤكدده ، لما يرى القارئ من بون شاسع عظيم فى التوظيف البلاغى لتلك الصيغ بين القرآن الكريم والنماذج الشعرية .

وقد مهدت لتلك الرسالة ببعض المباحث اللغوية المهمة التي قد يتخطاها القارئ العادي لينفذ سريعاً إلى المباحث التطبيقية الزاخرة بالتطبيقات القرآنية المعجزة ، والتطبيقات الشعرية الرائعة. والمباحث التمهيدية التي قدمت بها بين يدي هذا البحث كاشفاً عن معنى الصبغة وطبيعة دلالتها.

والله أسأل أن يجعل هذا البحث لبنة في صرح الإعجاز القرآني المجيد، وأن يدرجني به في سجل أهليه وخاصته<sup>(\*)</sup> وأن يهدي به من يشاء من عباده؛ إنه مولى ذلك، وإنه على كل شيء قدير.

عهد الحميد هنداي

---

(\*) في الحديث عن النبي ﷺ "إن لله من عباده أهلين وخاصة، قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته".

## بين يدي البحث

من خصائص العربية التي عدها العلماء لها ما تتنازع به من اتساع الأبنية، وكثرة الصيغ التي تستوعب المعاني التي يمكن أن تجيش بها نفس إنسان في وقت من الأوقات ولما كان التصريف هو سبيل الوصول إلى تلك الصيغ فقد قالوا: " أما التصريف فإن من فاته علمه فاته المعظم"<sup>(١)</sup> ويعلل ابن فارس لتلك المقولة بأمثلة كثيرة تكشف عن فائدة التصريف في التمييز بين المعاني التي تتحول بتصريف صيغها من الضد إلى الضد: " يقال: القاسط للجائر، والمقسط للعادل، فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل..."<sup>(٢)</sup>

وثة قصة وقعت لعمر بن عبيد المعتزلي مع أبي عمرو بن العلاء تكشف عن التفات علماء اللغة القدامى لخطورة أمر الصيغ، والخلط بين بعضها وعدم التفريق الدقيق بين دلالاتها، فقد أشارت المصادر إلى وفود أبي عثمان عمرو بن عبيد المعتزلي على أبي عمرو بن العلاء يسأله قائلاً: " يا أبا عمرو: يخلف الله وعده؟ قال أبو عمرو: لا. قال عمرو: أفرأيت من وعده الله على عمل عقابا، يخلف الله وعده؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد"<sup>(٣)</sup>

فعمرو بن عبيد هنا- إن صحت الرواية- قد أخطأ هنا التفريق بين الصيغتين فالوعد مصدر (وعد)، أما الوعيد فهو مصدر (أوعد)، فالصيغة الأولى مصدر ثلاثي، والثانية صيغة مصدر رباعي.

والخلط بين الصيغتين ومصدريهما قد أدى إلى الانتقال من الضد إلى الضد، وهذا المعنى الضدّي هو ما يستفاد من المعنى الصيغي للكلمة، وفي اللغة نظائر كثيرة تنقل الصيغة فيها

(١) السيوطي - المزهري ٣٣٠/١ نقلًا عن ابن فارس. ويلاحظ أن التصريف الذي يعنيه ابن فارس هنا يدخل فيه الصياغة وغيرها من موضوعات الصرف.

(٢) السابق.

(٣) الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين ٣٩، والزجاجي - مجالس العلماء ٦٢.



الكلمة من الضد إلى الضد كما فى (قسط) و(أقسط)، و(حنت) و(تحنت)، و (أثم) و(تأثم).. الخ مع اختلاف أنواع الصيغ الممثل بها.

ويذكر السيوطى كذلك كلاما عن أبى حيان يدلنا على مدى الدور الذى تلعبه الصيغ فى التعبير عن المعانى التى لا تكاد تنتهى، والتى لولا الصيغ لضاعت اللغة عنها.

يقول أبو حيان: " وأنواع المعانى المتفاهمة لا تكاد تنتهى؛ فخصوا كل تركيب بنوع منها؛ ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعا كثيرة، ولو اقتصرنا على تغاير المواد، حتى لا يدلوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب؛ لمنافاتها؛ لهما؛ لضاقت الأمر جدا، ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها، بل فرقوا بين (معتق) و(معتق) بحركة واحدة حصل بها تميز بين ضدين"<sup>(١)</sup>

وهذا كله يدلنا على خطورة أمر الصيغ إذ إن الخطأ فيها يحول المعنى من الضد إلى الضد. فضلا عن أن الصيغ لا تكلفنا مادة جديدة بل يأتى المعنى الوظيفى للصيغة محمولا على المادة متراكبا مع الدلالة المعجمية أو اللفظية على حد تعبير ابن جنى وذلك عن طريق صورة اللفظ التى تلبس به لتعطى للكلمة صيغتها ومن ثم معناها الوظيفى. فضلا عن أن المعانى الوظيفية ذاتها تتعدد وتتراكب للصيغة الواحدة فى الوقت الواحد فى السياق الواحد كما سيكشف عنه البحث فى حينه.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الصيغة الواحدة قد تشترك بين عدة معانٍ وظيفية، تجعل للكلمة الواحدة وجوها متعددة من الدلالة، وظلالا إيحائية، تعمل على إثراء المعانى الفنية التى يريد المبدع أن يعبر عنها، وهذه ظاهرة أخرى غير الظاهرة السابقة كشفت عنها البحث واصطلح على تسميتها بالاشتراك الصيغى أو تعدد المعنى الوظيفى للصيغة الواحدة.

فضلا عن هذا كله، فقد أشاد الباحثون بدور آخر تلعبه الصيغة لا يقل عما ذكرناه آنفا ألا وهو تمييز الكلم فى السياق، وتفصيله وإحكامه، ووضع الحدود الفاصلة بينها.

ولذا قرر الباحثون فى علم اللغة والصرف أن " اللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية؛ لأن هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات فى السياق، وتشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذى يمكن به أن تحدد الكلمات.

(١) انظر: المزمع ١/٣٤٧.

والباحثون فى لغات غير لغاتهم يعانون التعب والمشقة اللذين يجدونهما فى سبيل هذا التحديد، فيعملون إلى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها فى هذا الغرض، ويظهر القسر والعسف فى استخدامها واضحا، فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات فى السياق، فميزة للغة العربية من كبريات ميراثها التى تفاخر بها<sup>(١)</sup>.

ويعبر ذلك باحث آخر فيقول: "الميزة الحقة التى تذكر للغة العربية فى مقابل غيرها من اللغات ليست أفضليتها فى اعتمادها على القوالب للتعبير عن المعانى الوظيفية فى مقابل اعتماد غيرها على العناصر الصرفية غير القالبية، للتعبير عن تلك المعانى، وإنما الفضل الحقيق لتلك الظاهرة الصرفية يكمن فى اتخاذ العربية للقوالب والأبنية وسيلة حاسمة للحدود بين الكلمات فى السياق"<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحقيقة قد فطن إليها علماءنا القدامى فينبوا أن "كل لفظ له معنى لغوى يفهم من مادة تركيبه، ومعنى صيغى وهو ما يفهم من هيئته، أى: حركاته وسكناته وترتيب حروفه؛ لأن الصيغة اسم من المصوغ الذى يدل على التصرف فى الهيئة لا فى المادة؛ فالمفهوم من حروف (ضرب) استعمال آلة التأديب فى محل قابل له، ومن هيئته وقوع ذلك الفعل فى الزمان الماضى، وتوحيد المسند إليه وتذكيره وغير ذلك"<sup>(٣)</sup>.

ولعل هذا يؤكد ما ذكره الباحثون المحدثون من الميزة التى تتناز بها اللغة العربية بتلك الصيغ التى تقوم بدور وضع الحدود بين الكلمات، وذلك لما يمتاز به كل لفظ من ألفاظ اللغة من استقلاله بصيغته ومعناه الوظيفى فضلا عن معناه المعجمى.

وإذا كان الدور الذى تلعبه الصيغة على هذا القدر من الأهمية، فإننا نؤمل أن يكشف البحث فى صفحاته المقبلة عن الأسس الفنية للتوظيف البلاغى لصيغة الكلمة التى يمكن أن تسهم فى خدمة البحوث البلاغية والنقدية للأدب العربى فى كافة عصوره.

(١) د/ ضام حسان - منابع البحث فى اللغة ص ١٧٦ ط ١٩٥٥، وانظر أيضًا فى أهمية الصيغ د/ محمود السمران - علم اللغة ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ط دار المعارف ص ١٩٦٢، د/ أحمد المتوكل من البنية الحملية إلى البنية المكونية - دار الثقافة - الدار البيضاء ص ١٦٣.

(٢) د/ أحمد عبد العظيم - الوحدات الصرفية ودورها فى بناء الكلمة العربية - دكتوراة - دار العلوم رقم ١٧٤، ص ٢١٢.

(٣) انظر: أبو البقاء الكفوى - الكلمات ص ٧١٥ - ٧١٦.

"فلا شك أن الناقد المعاصر سوف يجد في دراسة الألفاظ ضروريا من القيم الفنية التي تبني على الفروق القائمة بينها في البنية الصرفية، وطبيعة اللواحق والسوابق، والظلال الدلالية السياقية والإيحائية والقيم الإيقاعية والموسيقية يقف بها على نتائج طريفة ومؤثرة في صوغ الأحكام"<sup>(١)</sup>.

وذلك أن الاختيار الفني لتلك الصيغ من قبل المبدع، وكذلك ما يقوم به من تكرار لبعض الصيغ، أو عدول فني مقصود عن صيغ يقتضيهما السياق إلى صيغ آخر يراها أكثر مناسبة؛ كل ذلك يحدث بلا شك نوعا من الإثارة ولفت الذهن للمتلقي ناقدنا كان أو غير ناقد.

وإذا كان التحليل اللغوي يهتم بتمييز تلك العناصر الثلاثة: الصوت واللفظة المفردة وعامل الصيغة<sup>(٢)</sup>؛ فإننا نقرر أن ما يبحث عنه الناقد والبلاغي أمر وراء الخطأ والصواب.

فإذا كان اهتمام الصرفي يقف عند ما يجوز وما لا يجوز استخدامه من الصيغ للدلالة على معان بعينها، بمعنى أن وظيفة الصرفي تقف عند حدود بيان الصيغ الدالة على كمال معنى من المعاني؛ بحيث يكون التعبير واقعا في دائرة الصواب وفق ما تواضع عليه العرب - فلا شك أن اهتمام البلاغي والناقد وراء ذلك كله. فالمفاضلة بين تلك الصيغ، والتخير الفني لإحدى الصيغ التي يصلح أن يعبر بها جميعا عن المعنى المراد مع وقوعها في دائرة الصواب، إنما هو وظيفة البلاغي والناقد الفني خاصة، ولذلك "لم يهتم البلاغيون بالصيغ أو القوالب الصرفية في ذاتها، فتحديد تلك الصيغ، وبيان وظائفها، وتوضيح الفروق التي تميز بينها في تأدية تلك الوظائف، كل أولئك أمور قد تكفل بها ونهض بأدائها علم النحو، وإنما اهتم البلاغيون بالمزايا التي تنبثق عن استثمار تلك الفروق وتوظيفها في الأسلوب الفني، فتأمل تحليلاتهم للأساليب يكشف بوضوح عن أن الصيغة لا تكتسب المزية في نظرهم إلا إذا كانت هناك صيغة أخرى صالحة لأداء وظيفتها (العامة) من جهة، وقاصرة عن أداء ما تؤديه في سياقها الخاص من جهة أخرى. ومن ثم كانت المقارنة بين الصيغتين الأصلية (أو المنتقاة) والبديلة (أو المفترضة) هي المنهج الذي سار عليه البلاغيون في تحليل مزبة الأولى"<sup>(٣)</sup>.

(١) د/ صلاح رزق - أدبية النص ص ٢١٧ - ٢١٨ - دار الثقافة العربية.

(٢) لانتون - منهج البحث في اللغة - ص ٨٠ ت د/ محمد مندور - بيروت دار العلم للملايين.

(٣) انظر د/ حسن طبل - المعنى في البلاغة العربية ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

فبالوقوف على الدلالات الدقيقة للصيغ نستطيع أن نفغ على الفروق الفنية الدقيقة بين المعانى مما يفيد أكثر الإفادة فى التوظيف البلاغى لتلك الصيغ فى سياقاتها التى تطابق بها مقتضى الحال، أما كان ذلك الحال- حال المخاطب أو حال المتكلم وفى رأهى أن هذا هو ما يحتاج منا بذل جهد كبير فى الوقوف على تلك الصيغ فى سياقاتها وناذجها التطبيقية حتى نستطيع الوقوف على طبيعة الدور الذى تلعبه تلك الصيغ من الناحية الفنية، وهذا هو ما سوف يضطلع هذا البحث بأعبائه فى صفحاته التالية.

وقد لفتنى إلى دراسة هذا الموضوع نناذج رفيعة عالية من التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة، جلاها المفسرون لكتاب الله تعالى، وشراخ الحديث النبوى، وشراخ الدواوين الشعرية المختلفة. وقد تجاوزت هذه المصادر حدود ما وقفت عنده كتب البلاغة النظرية فى هذا الباب من التفريق بين دلالة كل من الاسم والفعل على العموم إلى ما يندرج تحت هذين النوعين من أنواع عديدة من الصيغ تتميز بدلالاتها الفنية الرائعة والجديرة بتببعها فى سياقاتها المختلفة ليتعمق إحساسنا بالقيمة الفنية لتلك الصيغ التى أهملتها كتب البلاغة النظرية، أو وقفت عند بعضها وقفة عابرة فى مبحث الفصاحة، أو فى بعض مباحث علم المعانى، جعلت بعض الدارسين المعاصرين يظنون تلك الدراسات حقها حيث يقول: "وإذا أردنا آخر الأمر أن نصور موقف المتقدمين من فاعلية البناء الصرفى تصويرا موجزا فلنقل: إن هؤلاء لم يكن لديهم فى فهم جماليات البناء الصرفى مكان ملحوظ، ولم تكن لديهم فكرة واضحة أو مقننة حول إقامة أصول متفق عليها للتذوق الأدبى أو الكشف الفنى العميق"<sup>(١)</sup>. ومن ثم فقد حاول البحث أن يكشف عن الجهود السابقة فى هذا المجال، كما حاول كذلك رصد العديد من تلك الصيغ فى سياقات رفيعة متعددة من القرآن الكريم ومختار الشعر فى مختلف العصور، مع الكشف فى الوقت نفسه عن الأسس الفنية التى كانت وراء هذا التوظيف الفنى والبلاغى لتلك الصيغ.

ومن ثم كان عنوان البحث هو:

## التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة دراسة نظرية تطبيقية

(١) د/ ناصر سلوم - نظرية اللغة والجمال فى النقد العربى - دار الحوار - ط١ - ١٩٨٣م - ص٩٧.

وأشير هنا إلى بعض ما صادفه البحث من صعوبات، لعل أشدها: ندرة الدراسات البلاغية والتقديرية في هذا المجال؛ بالإضافة إلى ما سبق ذكره من اقتضاب البحث البلاغى فى الدراسات القديمة؛ فإننا نجد أن الدراسات الحديثة ليست أحسن حالا فى هذا المجال من الدراسات القديمة؛ إلا أننى قد وجدت بعض إشارات سريعة فى الدراسات المعاصرة إلى التوظيف الفنى أو البلاغى لصيغة الكلمة، منها:

١- دراسة للدكتور/ تامر سلوم، بعنوان: نظرية اللغة والجمال فى النقد العربى- دار الحوار- ط ١- ١٩٨٣م، وقد تضمنت إشارة سريعة فى أحد مباحث الكتاب عن فاعلية البناء الصرفى، من ص ٩٨ إلى ص ١١٠ .

٢- دراسة للدكتور/ مصطفى السعدنى، بعنوان: البنيات الأسلوبية فى لغة الشعر العربى الحديث - ط منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٧م حيث تعرض فيه للتكرار فى الصيغ من ص ١٤٧ إلى ص ١٦٠، وخصص من ذلك ثلاث صفحات فقط، من ص ١٥٧ إلى ص ١٦٠ للصيغ المشتقة وهى التى تدخل فى إطار الصيغ فى بحثنا هذا.

٣- دراسة للدكتور/ حسن طبل، بعنوان: أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية- ط ١- ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م. وقد أولى الصيغ اهتماما واضحا حيث خصص لها - فى المبحث الأول من الفصل الثالث- دراسة تطبيقية من ص ٦٤ إلى ص ١٢٩.

٤- وثمة دراسة رابعة صدرت أثناء كتابة البحث وانتفعت بها كذلك، وقد جاءت خالصة لدراسة الصيغ بخلاف سابقتها، وهى:

٥- دراسة للدكتور/ محمد أمين الحضرى، بعنوان: الإعجاز البلاغى فى صيغ الألفاظ- دراسة تحليلية للأفراد والجمع فى القرآن. مطبعة الحسين الإسلامية- خلف الجامع الأزهر ط ١- ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م.

وهى، وإن كانت دراسة جيدة فى بابها؛ فإنها قد وقفت عند حدود صيغ الأفراد والجمع، كما هو واضح من عنوانها.

هذا وثمة دراسات عديدة فى مجال الدراسات الصرفية والبحث اللغوى عامة قد انتفع البحث بها وأشارت إليها فى قائمة المراجع، ولكنها بطبيعة دراستها لم تعرج على القيمة الفنية أو البلاغية للصيغ التى تعرضت لدراستها أو إحصائها، سواء فى القرآن الكريم أو الشعر العربى.

## وقد جاءت خطة البحث كالتالى:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

### المقدمة:

تحدثت فيها عن أهمية دراسة الصيغة، مع إلقاء الضوء على ما لدراسة الصيغ من دور هام فى إثراء البحث البلاغى.

### التمهيد:

تحدثت فيه عن صيغة الكلمة: معناها وحدودها؛ وذلك بغرض تمهيد الإطار الذى سيدور البحث فى مجاله.

### الفصل الأول: طبيعة الدلالة فى صيغة الكلمة:

تحدثت فيه عن طبيعة الدلالة فى صيغة الكلمة، وذلك من حيث دراسة العلاقة بين الصيغة والمعنى، ومن حيث النظر إلى دلالة الصيغة بين الأفراد والتركيب، وذلك فى المبحثين الأول والثانى، أما المبحث الثالث: فقد تحدثت فيه عن التعدد والاحتمال فى معانى الصيغ، وذلك فى مبحثين:

**الأول:** عن تعدد المعنى الوظيفى للصيغة الواحدة.

**الثانى:** عن تعدد الصيغ للمعنى الواحد.

### الفصل الثانى: أسس التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة:

وقد جعلته فى ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** الاختيار

**المبحث الثانى:** العدول

**المبحث الثالث:** التكرار

وقد تحدثت فى كل مبحث من هذه المباحث عن أساس من هذه الأسس فى التراث البلاغى، والدراسات الأسلوبية الحديثة مع تدعيمه وتذييله بالأمثلة والنماذج التطبيقية التى تم توظيفها على هذا الأساس.

## الفصل الثالث: نماذج كلية من التحليل البلاغى لصيغة الكلمة:

وقد جعلته فى ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** تناولت فيه بالتحليل الآيات الأولى من سورة النازعات.

**المبحث الثانى:** تناولت فيه بالتحليل قصيدة من سيفيات المتنبى، مطلعها:

عَدَلَ الْعَوَازِلُ حَوْلَ قَلْبِ الثَّائِبِ وَهَوَى الْأَحْيَةَ مِنْهُ فِى سَوْدَائِهِ

حيث تعرضت فيها لكثير من صيغ القصيدة التى تمثل ظاهرة أسلوبية متميزة فيها.

**المبحث الثالث:** تعرضت فيه لتحليل قصيدة (رحلة الليل) للشاعر صلاح عبد الصبور.

### الخاتمة:

قمت فيها باستعراض أهم النتائج التى توصل إليها البحث، والمقترحات التى براها.

تمهيد

## الصيغة

معناها - حدودها - أهميتها للدرس البلاغي





## معنى الصيغة

الصيغة مصدرٌ فعله: (صاغ) يقال "صاغ الشيء يصوغه صوغاً، وصغته أصوغه صياغة وصيغة: سبكه" ويقال "صاغ شعراً كلاماً أى وضعه ورتبه"<sup>(١)</sup> وقال الزبيدي: (وصاغ الشيء) يصوغه صوغاً: (هبأه على مثال مستقيم) وسبكه عليه ويقال (هو من صيغة كريمة) أى (من أصل كريم)، وهو مجاز نقله الزنجشیری وابن عباد" و(هو صوغ أخيه): مثله" ويقال: صيغة الأمر كذا وكذا أى: هيئته التي بنى عليها"<sup>(٢)</sup>

هذه الدلالة المعجمية لكلمة صيغة تدلنا على قيود مهمة تم اعتبارها في تحديد المعنى الاصطلاحي للكلمة، وتمثل هذه الأمور في:

(١) كون الصيغة لها هيئة حاصلة من ترتيب معين.

(٢) كونها على مثال يمتد، وينسج على منواله.

(٣) كونها صياغة أو صناعة أو سبكاً.

ويكاد يشعرا استخدام ابن جنى لمصطلح الصيغة، بتلك المعاني السابقة؛ فهو يقول تحت عنوان:

"باب فى الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية" يقول فيه: "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر، إلا أنها فى القوة والضعف على ثلاث مراتب:

فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية. ولندكر من ذلك ما يصح به الغرض فمنه جميع الأفعال. ففى كل واحد منها الأدلة الثلاثة. ألا ترى إلى (قام) ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بناؤه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله. فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه، وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبيل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتمد بها. فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلنا بذلك فى باب المعلوم بالمشاهدة"<sup>(٣)</sup>. ويقول فى موضع آخر: "وكذلك الضرب والقتل: نفس اللفظ يفيد الحدث

(١) انظر لسان العرب مادة صوغ - والصحاح للجوهري ١٣٢٤/٤.

(٢) انظر السيد محمد مرتضى الزبيدي. تاج العروس ٢٣/٦ دار بيروت وما بين القوسين من القاموس المحيط ١١٤/٣.

(٣) انظر المختصص ٩٨/٣ ذكرت هنا النص هنا بطوله لأنى سأحيل عليه بعد عند التفريق بين الصيغة وغيرها من المصطلحات، فذكرته هنا كاملاً تبادها للتكرار.

فيهما، ونفس الصيغة تفيد فيهما صلاحهما للأزمة الثلاثة، على ما نقوله في المصادر. وكذلك اسم الفاعل - نحو قائم وقاعد- لفظه يفيد الحدث الذي هو القيام والقعود وصيغته وبنائه يفيد كونه صاحب الفعل. وكذلك قطع وكسر، فنفس اللفظ ها هنا يفيد معنى الحدث، وصورته تفيد شيئين: أحدهما: الماضي، والآخر: تكثير الفعل، كما أن(ضارب) يفيد بلفظه الحدث، وبنائه الماضي، وكون الفعل من اثنين، وبمعناه على أن له فاعلاً<sup>(١)</sup>.

يلاحظ في هذا النص أن ابن جنى يعطف البناء على الصيغة عطف بيان ويبادل بينهما وبين الصورة في الدلالة على معنى واحد هو ما أسماه بالدلالة الصناعية للكلمة.

وبلغتنا في كلام ابن جنى السابق تسميته الصيغ بالمثل، وهذا يدلنا على إشارته بذلك لما تسم به هذه الصيغ من القالبية، ومن كونها مثالا يحتذى وينسج على منواله؛ وذلك لقالبيتها وصلاحيتها للقياس عليها والصوغ عنى حذوها.

كما بلغتنا كذلك تسميته لدلالاتها بالدلالة الصناعية ليشير بذلك إلى ما تتنازع به الصيغة من صناعة تظهر في عملية التشكيل والصياغة والاشتقاق، وهذا ينمح إلى اشتراط كون الصيغة متصرفة ودالة على أصل اشتقاقى صيغت منه، وبدل على ذلك أيضا معنى الصياغة في اللغة، إذ إن المصوغ لا بد أن يكون له أصل قد صيغ منه، ومن ثم قالوا: "هو من صيغة كريمة أى: من أصل كريم" وما دامت هذه الصيغة مشتتلة على الأصل الذى صيغت منه فهي صالحة لأن يصاغ منها غيرها كذلك وأن تحول عن هيئتها إلى هيئة أخرى تشترك معها في ذلك الأصل الاشتقاقى؛ ولذا يشترط د/ تمام حسان لاعتبار المبنى صيغة أن ينتمى إلى أصول اشتقاقية، وأن يتصرف إلى صيغ غير صيغتها<sup>(٢)</sup>. وأما اشتراط دلالتها على معنى وظيفى، وهو واضح من تسمية ابن جنى له بالمعنى الصناعى، فهو لنفى العبث عن الواضع سواء قلنا هو الخالق أم المخلوق- إذ إن الناظر فى أوضاع اللغة - وما اشتملت عليه من مناسبة الوضع للمعنى واطراد ذلك فى كثير من أوضاع اللغة- ينتهى نظره إلى أن واضح اللغة لم يضع وضعا من أوضاعها إلا لعنى، وإذا عدنا إلى كلام ابن جنى السابق نجد أنه قد جعل للكلمة ثلاث دلالات: لفظية وصناعية ومعنوية، وجعل الدلالة الصناعية - التى هى دلالة الصيغة - أقوى من الدلالة المعنوية كدلالة قام على فاعله؛ وذلك لأن الدلالة المعنوية

(١) انظر: اخصائص ١٠١/٣.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١١ - ١٣١ - ١٣٣ وانظر ما سبأنى نقله عنه فى الكلام عن حدود

أشبه ما تكون بدلالة اللزوم أما الدلالة الصيغية - وهى الوظيفة التى تدل عليها الكلمة بهيئتها- فهى " أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها، ويستقر على المثال المعترزم بها فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت بجرى اللفظ المنطوق به فدخلنا بذلك فى باب المعلوم بالمشاهدة وأما المعنى فإنما دلالاته لاحقة بعلوم الاستدلال"<sup>(١)</sup> وهذا يعنى أن الصيغة عند ابن جنى لها دلالة وظيفية تدل عليها هيئة الكلمة وصورتها، كما تدل بنيتها على معناها المعجمى أو دلالتها اللفظية، على حد تعبير ابن جنى؛ ولذا فهاتان الدالتان أقوى من الدلالة المعنوية التى يتوصل إليها بالاستدلال لكونها ليست لها صورة ظاهرة تدل عليها، بل إنما يتوصل إليها بدلالة اللزوم. كما يلتفتنا كذلك تعبير ابن جنى عن الصيغة بأنها " صورة يحملها اللفظ" ليعبر بذلك عن دلالة الصيغة على الهيئة التى تكون الكلمة عليها.

نخلص بذلك إلى أن ثمة أموراً أربعة يمكن أن تحدد ماهية الصيغة، وتفرقها عن غيرها من المصطلحات وهى:

- (١) هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها.
  - (٢) كون هذه الهيئة مثالا مجتدى، وبصاغ على هيئته.
  - (٣) كونها متصرفه ودالة على أصل اشتقاقى صيغت منه.
  - (٤) كونها دالة على معنى وظيفى تفيد الصيغة أو القالب الصرفى.
- ومن ثم جاءت تعريفات الباحثين المعاصرين للصيغة باعتبارها قوالب تصاغ فيها الألفاظ، وتحدد بها المعانى الكلية أو المفاهيم العامة، أو هى " القالب الذى تصاغ الكلمات على قياسه"<sup>(٢)</sup>.

**والقالب الصرفى؛** هو " اهيئة التى توضع عليها المادة اللفوية، وتتحدد هذه الهيئة من خلال: عدد حروف الكلمة، وترتيب هذه الحروف، ووضبطها، وأصالتها، وزبادتها، وإثباتها، أو حذف بعضها، وتعد هذه الجهات الخمس العناصر التى يتكون منها القالب الصرفى"<sup>(٣)</sup> ويعرفها أحد الباحثين بأنها: " قوالب لمجموعة من الألفاظ لا حصر لها، ترد على

(١) انظر: الخصائص ٩٨/٣ .

(٢) انظر: محمد خليفة الدناغ - دور الصرف فى منهجى النحر والمعجم - ماجستير دار العلوم رقم ١٧٤ ص ٣٠٢، د/فاضل مصطفى السائق - أقسام الكلام العربى من حيث الشكل والوظيفة - الخنجى - ص ١٨٩.

(٣) د/ محمد الرفاعى - أثر أقسام الكلم فى الجملة العربية - دكتوراة دار العلوم من ١٩٩٣ ص ٩١.

السنة المتكلمين بالفصحى فى كل وقت من حياتنا، ما دام هناك أناس ينطقون الفصحى<sup>(١)</sup>.

وهذه التعريفات كلها إنما تركز - فى تعريف الصيغة على اختلاف الصياغة فيما بينها- على الأمور الثلاثة التى اشترطناها لها وهى (الهية - والتصرف - والمعنى الوظيفى). وبعد الوقوف على ماهية الصيغة والأمور التى تحدد تلك الماهية نستطيع أن نبين ما ينطبق عليه معنى الصيغة من مباني التقسيم أو من أقسام الكلم.

ذهب بعض الدارسين إلى القول بعموم لفظ (الصيغة) وشموله لكل كلمة فى العربية أيا كانت، فىرى " أن كل كلمة فى العربية أيا كانت إنما جاءت على قالب أو احتذى فيها قالب، يقول " والحق أننا إذا استقصينا الكلم العربى، وجدنا كل لفظ فيه يرتد إلى قالب حذى على مثاله، إلا أن يكون حرفاً أو ظرفاً جامداً بل يرى بعض الباحثين أن الحروف والظروف اشتقت أيضاً من صيغ مستعملة جارية، فإن لم ترتد بنفسها إلى قالب أو مثال، فإن أصلها عنه ذو قالب ومثال"<sup>(٢)</sup>.

وتعقياً على هذا الكلام السابق، يقول د/ أحمد عبد العظيم" ولكن هذا الفرض الذى يجد لنفسه فى اللغة العربية بعض ما يبرره من مثل (على، وعداء، وخلأ، وحاشأ، وعن، والكاف) وغيرها من تلك الأدوات التى نلمح فى استخداماتها اللغوية الاسمية أو الفعلية، أو نلمحها معاً إلى جانب التعبير عن الأداة، أقول: إن هذا الفرض المبرر جزئياً لا يملك ما يجعله حقيقة مطردة فى كل حرف وأداة وعنصر التصاقى، وقد يرجع ذلك إلى غموض تاريخ تطور الصيغ فى اللغة العربية، وتفلتا من الوقوع فى التعميم .. نفتصر فى علاجنا للصيغ على أدنى ما اتفق عليه العلماء فى صلاحية القالبية فيه وهو الأسماء والأفعال"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) د/ صلاح روى - الصيغة الصرفية ودلالاتها على المستويين الصرفى والنحوى - ذكورة - دار العلوم ص ٢٠، وهناك تعريفات أخر للصيغة قريبة من هذه التعريفات المذكورة، انظر د/ مصطفى النحاس - مدخل إلى دراسة الصرف العربى ص ١٣، ١٢ مكتبة الفلاح - الكويت، وانظر أيضاً د/ عبد الحليم عبد الباسط - صيغة أفعال فى النحو العربى دلالتها ووظيفتها - ماجستير دار العلوم رقم ٢٧٩ ص ٥.

(٢) د/ صبحى الصالحى - دراسات فى فقه اللغة/ ط ٢ - المكتبة الأهلية بيروت ص ١٩٨٢ و ٣٨٩ وقد نقل عنه هذا الكلام السابق وفنده د/ أحمد عبد العظيم فى رسالته: الوحدات الصرفية ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) د/ أحمد عبد العظيم - الوحدات الصرفية ص ٢٠٩ - ٢١٠.

وتحديد الصيغ بهذه الأنواع التي حددها لها الصرفيون هو ما أرجحه وأميل إليه؛ لأنه يوافق ما سبق أن ذكرته من معنى الصيغة في كتب اللغة والمعاجم، فالصيغة مصدر للفعل صاغ، يقال: "صاغ الشيء بصوغه صوغا وصيغة أى سبكه، وصاغ شعرا كلاما أى وضعه ورتبه"<sup>(١)</sup>. "وصيغة الأمر كذا وكذا بالكسر أى هيئته التي بنى عليها"<sup>(٢)</sup> ومن ثم فقصر الصيغة على ما تجوز فيه الصياغة أو تتصور فيه موافق تمام الموافقة لأصل الكلمة؛ فالكلمات نحو ضارب ومضروب وضراب.. الخ مصوغة من ضرب، فالصياغة واضحة فى تلك الأشكال متصورة فيها. أما الضمائر مثل (تاء الفاعل وأنت وهو وإياك) ونحوها فلا تتصور الصياغة فيها، ولا يسهل معرفة أصلها الذى صيغت منه على فرض تسليمنا بأنها مصوغة من أصل، وإذا كان هذا الأصل غير ثابت ولا دليل عليه، فما الذى يدعوننا إلى الرجوع بالغيب، والتخصيص بالباطل؟ فإذا قلنا إن الصيغة مصدر صاغ الشيء بصوغه صيغة وصياغة، فلا صياغة هنا؛ لأن الصيغة لا بد أن تكون من أصل، كما يقال: (صاغ شعرا كلاما) فالكلام أصل للشعر المصوغ هنا.

فإذا لم يثبت حدوث الصياغة للكلمة، فلا يصح لغة أن تسمى صيغة، وهذا يرجح معنى المصطلح الصرفى للصيغة، الذى بقصرها على ما يكون فيه الاشتقاق والصياغة، دون ما ليس له أصل اشتقاقى كما أن اشتقاق وصياغة (ضارب ومضروب وضراب) ونحوها من ضرب، إنما يدل على اشتراك الجميع فى أصل المعنى وهو الضرب، أما فى نحو الضمائر والحروف فلا يمكن أن يصاغ من مادتها شيء يشترك معها فى أصل المعنى. وذلك لأننا إذا قلنا: إن نحو (ضارب) جاء على صيغة فاعل ليقيد معنى الفاعلية المطرد فيما جاء على هذه الصيغة أو القالب، فإن القول بأن الضمير (أنت) مثلا جاء على (فعل) لا يفيد شيئا؛ لأنه لم يرد بمجيبه على هذا القالب معنى يستفاد من كونه على هذا القالب أو هذه الصيغة، وذلك - على فرض كونها صيغة - لأن المعنى الصيغى أو القالبى - على هذا الفرض - قد أهمله الواضع فى مثل هذه الأنواع، وإن كنا لا ننكر أن مثل هذه الأنواع لها معان وظيفية خاصة بها، ولكنها على كل حال ليست مستفادة من قالبيتها فالضمير (أنت) مثلا له معنى وظيفى محدد وهو الدلالة على عموم المخاطب المذكور، ولكنه فى الوقت نفسه

(١) نسان العرب - مادة (صوغ) والمصاحح لنجومى ٤/١٣٢٤.

(٢) تاج العروس مادة (صوغ).

لا يدل بصيغته (فعل) - مثلا، على افتراض أن له صيغة - على معنى وهو مطرد فيما جاء على مثاله، على نحو ما يدل عليه قولك (ضارب) من معنى الفاعلية المطرد فيما جاء على مثاله.

وهذا الذى قد انتهينا إليه هو ما يرجحه أغلب الدارسين قديما وحديثا إذ يرون أن للصيغة حدودا معينة، فهي لا تشمل جميع أقسام الكلم.

يقول الأستراباذى فى شرح قول المصنف: "وأبنية الاسم الأصول ثلاثية ورباعية وخماسية، وأبنية الفعل ثلاثية ورباعية"<sup>(١)</sup> يقول فى شرحه: "أقول: لم يتعرض النحاة لأبنية الحروف لندور تصرفها، وكذا الأسماء العريقة البناء كمن وما"<sup>(٢)</sup> ومعنى ذلك أنهم لا يدخلون الحروف ولا الأسماء المبنية فى الأبنية التى يستخدمونها هنا استخداما مرادفا للصيغ، وذلك لندور تصرفها، فكأنهم قصرُوا الصيغ على المتصرف.

"فالخروف وما مثلها بوجه ما لا تدخل فى نطاق الصيغ"<sup>(٣)</sup> والقول بعدم عموم الصيغة هو ما عليه عامة الباحثين المحدثين<sup>(٤)</sup>.

وهذا الكلام يقرره بنوع من الحسم أستاذ كبير من أساتذة علم اللغة، وهو الأستاذ الدكتور/ تمام حسان إذ يقول فى كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها) تحت عنوان: مباني التقسيم: وهى الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة والظرف والأداة، يقول: " ذكرنا أن ما يرجع من هذه المباني إلى أصول اشتقاقية فإنه يتفرع إلى مباني فرعية يضمها المبنى الأكبر، وكل مبنى من هذه المباني الفرعية هو قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى الصيغة الصرفية. . . أما ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مباني التقسيم وهو الضمير وأكثر الخوالم والظرف والأداة، فمبانيها هى صورها المجردة إذ لا صيغ لها"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: شافية ابن الحاجب ص ٧.

(٢) انظر: شرح الشافية ص ٨ وهذا ما يدل عليه أيضا كلام ابن عصفور فى المنع ص ٣١-٣٥، وكذا فى البدع المنعص من المنع لأبى حيان الأندلسى تحقيق د/ مصطفى الحاس- ط مكتبة الأزهر ص ٢٣، وابن هشام فى نزهة الطرف ص ٩٧-٩٨، وكذا كتابه أروض المسالك إلى ألفية ابن مالك ص ١٧٠.

(٣) د/ أحمد عبد العظيم- الوحدات الصرفية ص ٢٠١، وانظر الأصول الوافية ص ٦.

(٤) د/ صلاح روائى- الصيغة الصرفية ودلائلها على المستويين، د/ مصطفى الحاس- مدخل إلى دراسة الصرف العربى ص ١٤- مكتبة الفلاح أنكوبت.

(٥) د/ تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ط الهيئة المصرية للكتاب ص ١٣٣ وهو يقرر ذلك فى مواضع آخر من كتابه كما فى ص ١٢١، وهذا ما يقرره أساتذة آخرون مثل/ فاضل الساقى فى كتابه: أقسام الكلام العربى -

وبهذا نطمئن إلى صحة ما انتهينا إليه من قصر الصيغة على الأسماء والصفات والأفعال، مع إخراج الضمائر والظروف والحوالف والأدوات بنوعها الاسمية والحرفية من دائرة بحثنا؛ لأنها لا تنطبق عليها مفهوم الصيغة الذي ارتضيتهما ودللتنا على صحته.

وبهذا يتحدد إطار هذا البحث في هذه المباني أو الأقسام الثلاثة من أقسام الكلام وهي: الاسم والصفة والمفعول دون أن يدخل في الاسم ما أدخله فيه الباحثون قديما من الضمائر والحوالف أو الظروف، فهذه جميعا - هي والأدوات سواء كانت من قبيل الأسماء أو الحروف - تقع خارج دائرة هذا البحث؛ لأنه محصور في إطار الصيغ وهي ما يمكن أن نسميها بالكلمات القالبية أي: ذات القوالب، فكل كلمة لها قالب يمكن أن ينسج على متواله فهي واقعة في دائرة البحث، وكل كلمة ليس لها قالب ينسج على متواله فهي خارجة عن دائرة هذا البحث.

ومما يتم به تمييز الصيغة ومعرفة حدودها أن نفرق بينها وبين غيرها من المصطلحات المشابهة لها والتي شاع التجوز بها عن الصيغة.

وذلك أن مصطلح الصيغة من المصطلحات التي حدث خلط كبير في مدلولها قديما وحديثا يتسع هذا المدلول حيناً، ويضيق حيناً آخر، ويترتب على ذلك عدم الاتفاق على ما يشمله هذا المصطلح من أقسام الكلام.

فمما يدل على حدوث الخلط بين الصيغة وغيرها من المصطلحات لدى القدماء ما نجده عند الأستراباذي في شرحه لشافية ابن الحاجب حيث يخلط في تعريفه لبناء الكلمة بين البناء والوزن والصيغة والهيئة فيجعل ذلك كله شيئاً واحداً، وذلك حيث يقول: المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها: هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه<sup>(١)</sup> فقله: "المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها" دليل على أنه لا يفرق بين الثلاثة، فصيغة الكلمة وبنائها ووزنها عنده شيء واحد وهو هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها.. الخ.

= من حيث الشكل والوظيفة ص ١٩٠، د/ أحمد عبد العظيم - الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية ص ٢٠٩-٢١٠، د/ ثامر سلام - نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ص ٨٥/٧٨ ط دار الحوار، د/ حلمي خليل - الكلمة دراسة لغوية معمجة ص ٥٨.

(١) انظر: الأستراباذي شرح شافية ابن الحاجب ج ١/ ٢ ط دار الكتب العلمية - بيروت.



وقد يعبر بعضهم عن الكلمة وما يتصل بها من اللواحق واللواصق كضمائر الحكاية والخطاب والغيبة- بالصيغة، وذلك كتعريف ابن الأثير للالتفات بأنه "ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ"<sup>(١)</sup>.

وقد تبعه على ذلك العلوى في الطراز<sup>(٢)</sup>. وتبعه على ذلك الطيبي في التبيان<sup>(٣)</sup>. هذا الخلط والاضطراب في استعمال مصطلح الصيغة لم تنج منه الدراسات اللغوية الحديثة كذلك. فعلى سبيل المثال يستخدم أولمان مصطلح الصيغة استخداماً دالاً على المعنى المعجمي أكثر منه دلالة على المعنى الوظيفي أو الصرفي للكلمة وذلك حيث يعبر عن العلاقة بين اللفظ والمعنى بقوله: "هذه العلاقة المتبادلة، أو هذه القوة التي تربط اللفظ بالمدلول أى الصيغة الخارجية للكلمة بالمحتوى الداخلى لها - هى أساس عملية وضع الرموز"<sup>(٤)</sup>.

نخلص من هذا كله إلى حاجة البحث إلى وقفة بفرق فيها بين معنى الصيغة وغيرها من المصطلحات التي تختلط بها، أو التي تطلق على الصيغة على سبيل المقاربة وذلك كالبناء والبنية والوزن والزنة<sup>(٥)</sup> مع بيان الفروق المؤثرة بين مصطلح الصيغة وغيرها من المصطلحات؛ وذلك حتى لا تتداخل الحدود بين تلك المصطلحات، وحتى تتضح حدود دائرة البحث لعرف ما يدخل في مصطلح الصيغة مما يخرج منها.

### (أولاً: بين البنية والصيغة :)

البنية: "مشتقة من البناء، والبناء كما يقول ابن فارس "ضم الشيء بعضه إلى بعض"<sup>(٦)</sup> ويطلق أيضاً على المبنى كما فى لسان العرب، وقال الزبيدي: "يقال: بناه يبنيه نبياً وبناءً وبنى وبنينا وبنية وبنائة" ويطلق البناء عنده أيضاً على المبنى، كما يطلق البناء على

(١) انظر: الملل السائر ٢/١٦٨.

(٢) انظر: الطراز ٢/١٣١.

(٣) انظر: الطيبي - التبيان ص ٢٧٤ ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

(٤) انظر: أولمان - دور الكلمة فى اللغة ترجمة د/ كمال بشر مكتبة الشباب ص ٦٥.

(٥) لعل هذه المصطلحات اختلطت بمصطلح الصيغة قديماً وحديثاً.

(٦) ابن فارس - مقاييس اللغة ١/ ٣٠٢.

الجسم"<sup>(١)</sup> وقال ابن الأعرابي: البناء: الأبنية من المدر والصوف وكذلك البناء من الكرم.. وقال غيره يقال بنية وهى مثل رشوة ورشا كأن البنية الهيبة التى بنى عليها مثل المشية والركبة"<sup>(٢)</sup> فتعريف البنية مستفاد من صيغة اسم الهيبة كذلك لا من مادتها فقط، وإنما ترجع مادتها إلى التماسك والثبوت ويدل عليه قوله: "وبناء الكلمة بالكسر (لزوم آخرها ضربا واحدا من سكون أو حركة لا لعامل) وكانهم سموه بناء لأنه لما لزم ضربا واحدا فلم يتغير تغير الإعراب سمى بناء من حيث كان البناء لازما موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره"<sup>(٣)</sup> ويتبين لنا من الأصل الذى اشتقت منه الكلمة أنها مجموعة الأحرف التى يتكون منها على صورتها الخاصة أخذاً من معنى البناء، الذى هو ضم عدد اللينات بعضها إلى بعض، كما يقول ابن فارس، أو مجموع الأحرف التى تتكون منها الكلمة متماسكة كالجسم دون اعتبار لشكلها الخارجى وتطلق على كل من الأسماء والأفعال والحروف، فبنية كلمة مثل: "خالد" مجموع حروفها التى هى الحاء والألف واللام والذال"<sup>(٤)</sup> وبهذا نتبين الفارق بين كل من الصيغة والبنية فقد تبين لنا من اشتقاق كلمة صيغة أن معناها: الهيبة الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها، أما البنية فيتبين لنا من خلال ما سبق نقله عن كتب اللغة والمعاجم أن الأصل الذى اشتقت منه الكلمة يدل على أنها تعنى معنى الضم والثبوت لا الهيبة والصورة" لأن البنية تشبه القالب الذى يضم أجزاء ما يصب فيه ويجعله متماسكا، لكن الصيغة هى ما يخرج من القالب منظورا فيه إلى الشكل الذى خرج عليه، والمعنى الذى يشير إليه.

فالصيغة إذن هى البنية بحركاتها التى تحدد معناها وتكمن من وزنها بأن توضع فى قالب من قوالب الأبنية المقررة فى اللغة، فإذا لم يمكن ذلك اعتبرت الكلمة بنية وليست صيغة. وعلى ذلك تشمل الصيغة الأسماء المعربة والأفعال إذ إن كل واحد منهما له أوزانه الخاصة به، أما الأسماء المبنية كالضمير واسم الإشارة واسم الموصول والأفعال الجامدة،

(١) تاج العروس ٤٦/١٠.

(٢) السابق.

(٣) انظر: تاج العروس، وما بين القوسين من القاموس الهبىط ٣٠٧/٤ وانظر: أيضا لسان العرب ١/٣٦٥.

(٤) عبد الحميد عبد الباسط محمد - صيغة الفعل فى النحو والصرف ودلالاتها ووظيفتها - ماجستير دار العلوم ص ٤.

وكذلك الحروف فليست كلها صيغا وإنما هي أبنية<sup>(١)</sup> وثمة فارق آخر هو الفاصل بين الصيغة والبنية وهو أن الصيغة لا بد أن تدل على معنى وظيفي أو ما سماه ابن جنى بالمعنى الصناعي وهو المعنى الذى تفيده هيئتها وقالبها، أما البناء أو البنية كالظرف والضمير والحرف فهو وإن دل على معنى وظيفي فهو إنما يدل عليه بمداته ولفظه أو على حد تعبير ابن جنى بدلالته اللفظية وليس بدلالة صناعية يدل عليها قالبه أو صيغته، فلما سقطت دلالة صيغته أو قالبه لم يستحق أن يوصف بكونه صيغة؛ لأنه حينئذ وصف لا معنى له.

ومن ثم فإن كل صيغة بنية، وليس كل بنية صيغة" فقد يجتمعان فى مثل "حامد" إذ إن هذه الكلمة تتكون من عدد من الحروف ضم بعضها إلى بعض، وهى صيغة أيضا؛ لأنها على وزن من أوزان الأسماء المشهورة، وهو وزن (فاعل). وقد تكون البنية، ولا تكون الصيغة كما فى الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والحروف<sup>(٢)</sup> والخاصة: أن الصيغة منحصرة فى الأسماء والأفعال والصفات أما البنية فهى شاملة لباقي مباني التقسيم<sup>(٣)</sup>.

### (ثانيا: بين الصيغة والميزان الصرفي):

تفترق الصيغة الصرفية كذلك عن الميزان الصرفي للكلمة، " وهو عند علماء الصرف معيار من الحروف يعرف به عدد حروف الكلمة وترتيبها وما فيها من أصول وزوائد وحركات وسكنات "<sup>(٤)</sup>.

" فالصيغة الصرفية مبنى صرفي يمثل القوالب التى يصب فيها الصرفيون المادة اللغوية، ليدلوا بها على معان معينة ومحددة، لما يدور بخلدهم، وما تفتق عنه أذهانهم وأفكارهم. أما الميزان الصرفي، فهو مبنى صرفي يناط به أمر بيان الصورة الصوتية النهائية التى آلت إليها المادة اللغوية. "<sup>(٥)</sup> مثال ذلك أن صيغة الأمر من باب ضرب (فعل يفعل) هى "افعل" ولكننا

(١) د/ عبد الحلیم عبد الباسط صيغة أفعل ص ٤.

(٢) د/ عبد الحلیم عبد الباسط- صيغة أفعل ص ٥.

(٣) د/ شام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٣٣.

(٤) انظر د/ محمود سليمان باقوت- الصرف التعلیمی ص ١٧

(٥) د/ صلاح راوى- الصيغة الصرفية ص ٤٠.

إذا أخذنا الفعل (وقى) وهو من أفعال هذا الباب، وأردنا أن نصوغ منه على مثال (افعل) لوجدنا هذا الفعل يؤول إلى (ق) فإذا أردنا أن نقابل الحرف الوحيد الموجود من هذا الفعل بنظيره في الصيغة لوجدنا أن ما يقف بإزائه من حروف الصيغة هو العين المكسورة (ع) فإذا سألنا أنفسنا: من أى الصيغ هذا الفعل (ق)؟ لقلنا دون تردد: إن صيغته هي صيغة (افعل). فإذا سألنا: فما بال هذه العين المكسورة تقف هنا بإزاء الفعل فى صورته النهائية؟ فإن الجواب هو أن هذه العين المكسورة تمثل: "الميزان ولا تمثل الصيغة". فالتفريق بين الصيغة وهى "مبنى صرفى" وبين الميزان وهى "مبنى صوتى" تفريق هام جدا له من الأهمية ما يكون منها للتفريق بين علمى الصرف والأصوات.

وقد يتفق هيكل الصيغة فى صورته مع هيكل الميزان، فالفعل (ضرب) صيغته (فعل) وميزانه (فعل) أيضا، ولكنهما قد يختلفان، كما رأينا فى فعل الأمر (ق)<sup>(١)</sup>. وبهذا يتضح لنا الفرق واضحا بين الصيغة الصرفية -التي هى القلب الذى نهتم فى دراستنا هذه بالنظر فى قيمه الدلالية - وبين الميزان الصرفى الذى يعد من عمل الباحث فى مجال التصريف البحث والنظر فيما طرأ على الكلمة من حذف أو تغيير أو غير ذلك، مما يدخل فى نطاق الدرس الصرفى البحث وإن كان ذلك لا يقتضى بالضرورة خروجه من دائرة بحثنا إذ قد يستعان به فى تحديد صيغة الكلمة فى كثير من الأحيان التى لا يكون ثمة اختلاف فيها بين صيغة الكلمة ووزنها.

وبهذه المحاولة - للتفريق بين مصطلح الصيغة والمصطلحات المشابهة - يتضح لدينا ما يقع فى إطار هذه الدراسة، وما يقع بعيدا عنها<sup>(٢)</sup>.

(١) د/ تام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) لعل مصطلح المورفيم هو أكثر المصطلحات اللغوية المعاصرة ذات الصلة بصيغة الكلمة ولذا فإنه كثيرا ما يحدث الخلط بينهما؛ ولكنى لم أفرد بينه وبين الصيغة فى أصل البحث نظرا لقله دورانه فى الدراسات البلاغية. يقول د/ حنى خليل "المصطلح الأساسى الذى يتصل بصيغة الكلمة ووظيفتها هو المورفيم MORPHEM حيث يحاول الباحث تقسيم الكلمة إلى عناصرها المكونة لها. ثم تصنيف هذه العناصر" الكلمة ص ٥١ ويعرف ماريوباي المورفيم بأنه: "الوحدة الصغرى الدالة على معنى، أو أقل وحدة ذات معنى" أو "أنه أصغر وحدة دلالية" ويرى أنه "يمكن أن يوصف كذلك بأنه السلسلة الفونمية ذات المعنى غير القابلة أيضا للانقسام إلا بإعداد المعنى" د/ أحمد

عبد العظيم - الوحدات الصرفية ص ١٧- ١٨ ويعرفه البعض أيضا بأنه "أى صيغة سواء كانت حرة أو مقيدة لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر ذات معنى" السابق. وهذا يدلنا على مدى الخلط بينه وبين معنى الصيغة ويرى بعضهم أنه "أقل شكل يسمى وحدة صرفية أو مورفيم" السابق ص ٢٠٠ هذا؛ ويادل الدارسون بين المورفيم والوحدة الصرفية، السابق ص ٢٠٤، والنظر د/ محمود السرران- علم اللغة ص ٢٢٦، د عبد الرحمن أبوب- انطور اللغوى ص ٩٠. وبين د/ أحمد عبد العظيم أنه ينقسم إلى مورفيم أساس مثل(كتب) ومورفيم مكون مثل(واو الجماعة) في (كتبوا)، ونحوها، د/ أحمد عبد العظيم - السابق ص ٢٠٠ وتبين مما سبق أن المورفيم هو(أقل وحدة صرفية ذات معنى) وأنه قد يكون وحدة أساسية، أو وحدة مكونة وهذه تشمل ما يسمى بالسوايق واللواحق وغير ذلك من الوحدات الصرفية. فحرف(السين) في(سيكتب) بعد(وحدة صرفية) ولكنه لا يعد صيغة؛ لأن الحروف لا تعد من الصيغ على ما ترجع للبحث؛ لأنها غير متصرفة وليست لها أصول اشتقاقية، وليست لها قوالب يمتدى على مثالها. وكذلك(الهاء) في (ضربت) هي ضمير وهي(وحدة صرفية) ولكنها لا تسمى صيغة؛ لأنها ليست لها قالب يمتدى على مثاله، كما سبق أن بنا. وبالتالي نتبين أن الوحدات الصرفية أعم من الصيغ، بل إن الوحدات الصرفية تشمل كل أنواع الكلم بجميع أقسامها السابق ذكرها، وليست الصيغ كذلك؛ لأنها محصورة في الأنواع التي سبق الإشارة إليها.

الفصل الأول

# طبيعة الدلالة فى صيغة الكلمة

المبحث الأول

العلاقة بين الصيغة والمعنى



## العلاقة بين الصيغة والمعنى

نستطيع أن نقف في هذا الأمر على معالم هادية ومحاولات جادة يمكننا عن طريقها الوقوف على طبيعة الدلالة للصيغة الكلمة. هذه المحاولات الجادة في هذه السبيل نجد بعضها عند الخليل بن أحمد، وكثيرا منها لدى سيبويه في كتابه، كما نجدها أكثر نضجا عند ابن جنى في خصائصه، وفي كتابات ابن الأثير من بعده وقد أهتم هؤلاء العلماء بالوقوف على طبيعة العلاقة بين اللفظ بهيئته الصرفية، وصيغته، والمعنى الذى تدل عليه الصيغة، وما بين الصيغة ومدلولها من المناسبة فى الوضع والصياغة.

فما جاء عن الخليل فى ذلك قوله: "كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: (صر) وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا: (صرصر)"<sup>(١)</sup> نلمح هنا إشارة الخليل إلى ما بين الفعل الثلاثى المضعف العين "صر" وبين معناه من التناسب من حيث بنية الصيغة ودلالاتها على المعنى الإفرادى لتلك الكلمة. فنحن نلاحظ أن تضعيف الراء الناشئ من التشديد فيها ينتج عنه نوع من المطأ والاستطالة فى نهاية الكلمة يناسب ما فى صوت الجندب من مد واستطالة فالمناسبة هنا ظاهرة بين صيغة الكلمة أو هيئتها ومعناها الذى تدل عليه.

فإذا انتقلنا إلى كلام سيبويه فى هذا الموضوع فإننا نجد أن سيبويه قد أصل سبق الخليل إلى هذا الباب، فهو يقول: "هذا باب افوعل وما هو على مثاله مما لم نذكره) قالوا خشن وقالوا اخشوشن، وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنه إذ قال (اعشوشبت الأرض) فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيرا عاما قد بالغ. . ." <sup>(٢)</sup> لقد التفت الخليل وسيبويه هنا إلى أثر زيادة المبتنى فى زيادة المعنى، كما قد التفتا كذلك إلى الغرض من تلك الزيادة وهو هنا المبالغة والتوكيد. وقد عقد سيبويه لذلك بابا فى كتابه وسماه "ما جاء على مثال واحد حين تقاربت المعانى"<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن جنى الخصائص ١٥٢/٢ تحقيق د/ محمد على النجار، ط دار الهدى للطباعة والنشر بيروت لبنان س ١٩٥٨.

(٢) سيبويه - الكتاب، ٢/ ٢٤١ / ط المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر الأهلية س ١٣١٧ هـ.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢١٩. وشة مواضع آخر كثيرة فى كتابه انظر على سبيل المثال: الكتاب ٢/ من ص ٢١٤ إلى



ونحتاج أن نفهم أمام بعض هذه المواضيع لتأمله وبيان مدى وقوف سيبويه على هذه الظاهرة، فلنتأمل على سبيل المثال قوله: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النزوان والنقران والقفزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ومثله العسلان والرتكان . . . ومثل هذا الغليان؛ لأنه زعزعة وتحرك ومثله الغثيان؛ لأنه تحجيش نفسه وتثور ومثله الخطران واللمعان؛ لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل ذلك اللهبان والصخدان والوهجان؛ لأنه تحرك الحر وتؤوره فإنما هو بمنزلة الغليان.."<sup>(١)</sup> وبتأمل هذا النص نفهم على الآتي:

التفات سيبويه إلى المناسبة بين الصيغ والمعاني حيث إنه قد وقف على ظاهرة مهمة وهي مجيء مجموعة من الألفاظ المتقاربة المعنى على صيغة واحدة، أو بتعبير سيبويه على (مثال واحد)، وكأنه يشير إلى التفات سيبويه إلى الدلالة المركزية المشتركة بين هذه الألفاظ التي استندعت مجيئها على تلك الصيغة، فالنزوان والنقران والقفزان والعسلان والرتكان والغليان والغثيان والخطران واللمعان والوهجان.. ونحوها تشترك جميعها في معنى مشترك فيما بينها هو الحركة والاهتزاز والاضطراب، ومن ثم يرى سيبويه أن هذه المصادر قد جاءت على ذلك المثال الواحد أو تلك الصيغة الواحدة- (فعلان) حين تقاربت المعاني.

وبلعل سيبويه مجيء بعض الألفاظ على أكثر من صيغة كما يعلل لتقارب المعاني التي تدل عليها صيغتان بما بين الصيغتين من التشابه في مناسبة المعنى، فيقول: "ومثله العسلان والرتكان وقد جاء على فعال نحو النزاه والقماص كما جاء عليه الصوت نحو الصراخ والنباح؛ لأن الصوت قد تكلف فيه من نفسه، ما تكلف من نفسه في النزوان ونحوه"<sup>(٢)</sup> فالعسلان والرتكان جاءا على فعلان كما جاءا على فعال التي تأتي عليها الأصوات نحو الصراخ والنباح، وذلك لما بين الصيغتين من تشابه في مناسبة المعاني، فكل من الفعال والفعال يدل على حركة وتكلف، فالصراخ والنباح (فُعَال) يدل على صوت يتكلف المرء فيه من نفسه ما يتكلفه من نفسه في النزوان ونحوه. والحق أن سيبويه قد وقف كثيرا على ظاهرة مجيء ألفاظ متقاربة المعنى على صيغة واحدة، كما أنه وقف كثيرا على هذه الألفاظ لاستخراج المعنى الإجمالي المشترك بينها والذي جاءت لأجله على ذلك المثال أو

(١) سيبويه الكتاب ٢/٣١٨.

(٢) سيبويه الكتاب ٢/٣١٨.

تلك الصيغة، ولكنه - والحق يقال - كان قلما يهمل مجيء ذلك المعنى على تلك الصيغة، بمعنى أنه وإن وقف على ظاهرة المناسبة بين الصيغة والمعنى فإنه لم يهمل مجيء المعنى على تلك الصيغة بذاتها دون غيرها على نحو ما اهتم بذلك ابن جنى كما سنرى فيما نقله عنه قريبا.

فسيبويه يقول على سبيل المثال:

" وما جاءت مصادره على مثال لتقارب المعاني قولك يهست بأسا وبآسة وسثمت أساما وسامة وزهدت زهدا وزهادة فإنما جملة هذا لترك الشيء..

وقالوا زهد كما قالوا ذهب، وقالوا الزهد كما قالوا المكث، وجاءت أيضا ما كان من الترك والانتهاه على فعل بفعل فعلا وجاء الاسم على فعل وذلك أجم بأجم أجم وهو آجم وسنق<sup>(١)</sup> يسنق سنقا وهو سنق، وغرض بغرض غرضا وهو غرض، وجاءوا بضد الزهد والغرض على بناء الغرض وذلك هوى يهوى هوى وهو (هو)، وقالوا قنع بقنع قناعة كما قالوا زهد يزهد زهادة وقالوا قانع كما قالوا زاهد وقنع كما قالوا غرض؛ لأن بناء الفعل واحد وأنه ضد ترك الشيء، ومثل هذا في التقارب: بطن يبطن بطنا، وهو بطنين وبطن، وتبن تبنا وهو تبن، وشمل يشمل شلا وهو شمل، وقالوا طين يطين طينا وهو طين<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup> فهذا كلام سيبويه بتمامه في هذا الموضوع قد التفت فيه إلى مجيء الألفاظ على صيغة واحدة هي (فعل بفعل فعلا، والاسم فيها على فعل) مشتركة في معنى إجمالي واحد، هو ما عبر عنه بقوله "فإنما جملة هذا لترك الشيء" ولكنه لم يقف ليعلل لنا سبب مجيء هذه الصيغة للدلالة على الترك، أو ما المناسبة بينها وبين معنى الترك حتى استدعى ذلك مجيء الألفاظ على تلك الصيغة مفيدة ذلك المعنى؟

وكذلك فعل في باب "ما جاء من الأدوات على مثال وجع يوجع وجعا وهو وجع لتقارب المعاني" وكذلك فعل فيما جاء بعضه على فعال كما جاء فعال وفعول قالوا نعس نعاسا وعطس عطاسا، ومزح مزاحا، وأما السكات فهو ذاء كما قالوا العطاس<sup>(٤)</sup> فيقول

(١) السنق: اليشم وهو الشيمان كالتعم. لسان العرب (سنق).

(٢) طين أى: فطن. ألسان (طين).

(٣) سيبويه ٢/٢١٨-٢١٩.

(٤) الكتاب ٢/٢١٦.

"فهذه الأشياء لا تكون حتى ترهد الداء (جعل) كالنحاز والسهام وهما دآن وأشباههما"<sup>(١)</sup> وكذلك يقول في (باب فعلاَن ومصدره وفعله) "أما ما كان من الجوع والعطش فإنه أكثر ما يبنى من الأسماء على فعلاَن ويكون المصدر الفعل ويكون الفعل على فعل يفعل وذلك نحو ظمىء يظمأ ظمأ وهو ظمآن، وعطش يعطش عطشا وهو عطشان، وصدى يصدى صدًى وهو صدبان، وقالوا الظماء كما قالوا السقاية؛ لأن المعنيين قريب، كلاهما ضرر على النفس وأذى لها"<sup>(٢)</sup>

وإذا كان سبويه قد التفت إلى تلك الظاهرة مع عدم التعليل لها؛ فإننا نجد أن ابن جنى قد اهتم بذلك التعليل في كتابه الخصائص، حيث عقد لتلك الظاهرة بابا في كتابه سماه (باب في إساس الألفاظ أشباه المعاني) يقول فيه:

"اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته"<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر عبارة الخليل، وسيبويه اللتين سبق نقلهما ولكن ابن جنى لم يكتب بمجرد النقل لكلام سيبويه ولكنه يكمل ما تركه سيبويه من تعليل مجيء ذلك المعنى على تلك الصيغة حيث يقول: "فقابلوا بتوالي حركات المثال توالى حركات الأفعال"<sup>(٤)</sup>.

فابن جنى يلمح المناسبة بين تلك الحركات المتوالية في صيغة (فعلاَن) التي جعلت تلك الصيغة بتلك الهيئة مناسبة أتم المناسبة لمعناها الدال على الحركة والاضطراب. والحق أن ابن جنى قد أطلح النفس جدا في هذا الباب، وقد أفاد فيه وأجاد، ويحتاج أن نقف هنا أمام كلامه في هذا الباب وقفات متأنية لترى إلى أي حد تكون المناسبة بين صيغ الألفاظ ومعانيها.

قال ابن جنى بعد ذكر كلام الخليل وسيبويه السابق نقله: "ووجدت أنا من هذا الخديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه"<sup>(٥)</sup> ومنهاج ما مثلاه. وذلك أنك تجد المصادر

(١) السابق، والنحاز: داء يأخذ الدواب والإبل في رلاتها، فتسعل سعالا شديدا اللسان (نحر). والسهام: الضمر وتغير اللون وذبول الشفتين، وهو أيضا داء يأخذ الإبل اللسان (سهم).

(٢) الكتاب ٢/٢٢٠.

(٣) الخصائص ٢/١٥٢.

(٤) السابق.

(٥) في الأصل حداه. وفي الأماش عن بعض النسخ (حذباه).

الرباعية المضغفة تأتي للتكرير، نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقة، والصمصعة<sup>(١)</sup>،  
والجرجرة، والقرقرة.

ووجدت أيضا (الفعلية) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو البشكى،  
والجمزى والولقى... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر - أعنى: باب القلقلّة - والمثال  
الذى تواتت حركاته للأفعال التى تواتت الحركات فيها<sup>(٢)</sup>.

يلمح ابن جنى فى هذا النص ما بين المصادر الرباعية المضغفة ومعناها من المناسبة؛ إذ إن  
هذه المصادر بما اشتملت عليه من تضعيف وتكرير تناسب ما تدل عليه معانيها من التكرير  
المشترك بين ألفاظ تلك البنى، مما يضيف إلى معناها المعجمى معنى آخر تضيفه الصيغة وتدل  
عليه بهيئتها الصرفية.

كما يلمح ابن جنى كذلك ما بين (الفعلية) من تكرار الحركات وتلاحقها وتتابعها وما  
تدل عليه من معنى السرعة والتتابع وتوالى الحركات فى الفعل كما تواتت الحركات فى  
النطق.

يقول ابن جنى: "ومن ذلك - وهو أصنع منه - أنهم جعلوا (استفعل) فى أكثر الأمر  
للطلب، نحو استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنع، واستقدم عمرا، واستصرخ جعفرا،  
فرتبت فى هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال. وتفسير ذلك أن الأفعال المحدث عنها  
أنها وقعت عن غير طلب تفجأ حروفها الأصول، أو ما ضارع بالصيغة<sup>(٣)</sup> الأصول.

فالأصول نحو قوفهم: طعم، ووهب، ودخل وخرج، وصعد ونزل فهذا إخبار بأصول  
فاجأت عن أفعال وقعت، ولم يكن معها دلالة تدل على طلب لها ولا إعمال فيها. وكذلك  
ما تقدمت الزيادة فيه على سمت الأصل، نحو أحسن وأكرم، وأعطى وأولى. فهذا من  
طريقه الصنعة (الصيغة) بوزن الأصل فى نحو دحرج، وسرهف، وقوقى، وزوزى، وذلك  
أنهم جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعانى، فكلما ازدادت العبارة شيها بالمعنى كانت  
أدل عليه، وأشهد بالفرض فيه. فلما كانت إذا فاجأت الأفعال فاجأت أصول المثل الدالة  
عليها أو ما جرى مجرى أصولها، نحو وهب، ومنح، وأكرم، وأحسن، كذلك إذا أخبرت

(١) الصمصعة: التحريك والقلقلة، اللسان/ صمصع.

(٢) الخصائص ١٥٣/٢.

(٣) كذا بالأصل، وفى بعض النسخ (بالصنعة).

بأنك سعت فيها وتسببت لها، وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول في مثلها الدالة عليها  
أحرفا زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدمة لها، والمؤدبة إليها وذلك نحو استفعل،  
فجاءت اهتزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء والعين واللام، فهذا  
من اللفظ وفق المعنى المقصود هناك، وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه والتأني  
لوقوعه تقدمه، ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه، فكما تبعت  
أفعال الإجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت  
للاتماس والمسئلة، وذلك نحو: استخرج، واستقدم، واستوهب، واستمنح، واستعطي،  
واستدنى<sup>(١)</sup>.

في هذا النص يقارن ابن جنى بين الصيغ المجردة (الأصول) والصيغ المزيدة في دلالتها  
على معانيها. فالصيغ المجردة هي ما سماها بالأصول هي نحو: طعم، ووهب، ودخل،  
وخرج.. الخ.

أما الصيغ المزيدة فيجعلها نوعين:

- مزيد جرى مجرى الأصول: نحو: أحسن، وأكرم، فهذا يجرى مجرى الأصول في  
مشابته الرباعي المجيء على (فعل).

- ومزيد زاد على الأصول: ومثل له بما زاد على الأصول بأحرف متقدمة على الأصول

(كاستفعل)

ثم يلمح ابن جنى المشابهة والمناسبة بين كل من هذه الصيغ وما تبدل عليه من المعاني.  
فالصيغ المجردة إنما تدل على المفاجأة للسمع بالإخبار عن الحدث دون تهيد بأحرف  
تسبقه، فهي إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت، ولم يكن معها دلالة تدل على طلب  
لها ولا إعمال فيها.

وذلك نحو طعم ووهب وخرج ودخل وكذلك ما تقدمت الزيادة فيه على سمت  
الأصل، وهو ما جرى مجرى الأصول الرباعية على (فعل)، فجعل ما جاء على وزن (أفعل)  
كأحسن، وأكرم جاريا مجرى الأصول الرباعية على (فعل) في نحو دحرج وسرهف.. الخ  
أما ما دل على سعى وتسبب وتعمل تقدمه، فهذا يحتاج إلى أحرف تتقدم على الأصول  
لتشعر بما تقدم الفعل من سعى وتسبب وتعمل. فلما كانت إذا فاجأت الأفعال فاجأت

(١) الخصائص ١٥٣/٢، ١٥٤.

أصول الصيغ الدالة عليها أو ما جرى مجرى أصولها نحو وهب، ومنح، وأكرم، وأحسن، كذلك إذا أخرجت بأنك سميت فيها وتبببت لها وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول في صيغها الدالة عليها أحرفا زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدمة لها، والمؤدية إليها.

وزيد ابن جني في بيان المناسبة بين الصيغ والمعاني فيقول: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال<sup>(١)</sup> دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسر، وقطع، ومنح، وعلق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلا المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الغاء اللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومحفوفة بهما، فصارا كأنهما سهاج هاء، ومبدولان للعوارض دونها؛ ولذلك نجد الإعلال بالحذف فيهما دونها. . . فلما كانت الأفعال دليلا المعاني كرروا أفعالها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوا تقطيعه في نحو: صرصر وحقق دليلا على تقطيعه.."<sup>(٢)</sup>

لقد استطاع ابن جني في هذا النص السابق أن يكشف لنا عن المناسبة الوثيقة بين صيغة (فعل) بما لها من سمات صوتية ودلالاتها على التكرار في الحدث.

ويكشف ابن جني كذلك عن المناسبة بين بعض الصيغ ودلالاتها على المبالغة، فيقول: "وقد أتبعوا اللام في باب المبالغة العين، وذلك إذا كررت العين معها في نحو: دمكك وصمصح وعركرك وعصبصب وغشمشم، والموضع في ذلك للعين، وإنما ضامتها اللام هنا تبعاً لها ولاحقة بها، ألا ترى إلى ما جاء عنهم للمبالغة في نحو اخلوق، اعشوشب، واغدودن، واهمومي، واذلولي، وافطوطي، وكذلك في الاسم نحو عثوثل، وغدودن، وحفيدد، وعقتقل، وعبتيل، وهجنجل كما ضاعفوا العين للمبالغة، نحو عتل، وصمل، وقمر، وحزق.."<sup>(٣)</sup> وقد أطال ابن جني في توجيه ذلك، وهو واضح في أن زيادة المبني فيه قد ناسبت زيادة المعنى، وهو إزادة المبالغة.

وقد تعرض الزمخشري لهذه القاعدة (قاعدة زيادة المعنى لزيادة المبني) في سورة الفاتحة، إذ يقرر أن الرحمن أبلغ من الرحيم، ثم يتساءل: "فإن قلت لم قدم ما هو أبلغ من الوصفين

(١) يقصد بالمثال هنا (الصيغة) كما هو واضح من النص، وكما توصلت إليه بالاستقراء للمواضع التي عبر لها عن الصيغة بالمثال فانظر على سبيل المثال ١٥٥/٢، ١٥٧/٣، ٩٨-١٨٨.

(٢) الحاصل ١٥٥/٢.

(٣) الحاصل ١٥٥/٢-١٥٦.

على ما هو دونه، والقياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم محير، وشجاع باسل، وجواد فياض. قلت: لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالنتممة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف"<sup>(١)</sup>.

فالزحمرى هنا يقرر أن (الرحمن) أبلغ من (الرحيم) ويناقش لم تقدم الأبلغ (الرحمن) وكان الأمر متقرر ثابت. وقد شايعه الطيبي وجماعة من العلماء - ذكرهم الطيبي في حاشيته - على كون (الرحمن) أبلغ من (الرحيم) فيقول الطيبي "قوله: فلم قدم ما هو أبلغ" وهذا مقام تكلم فيه العلماء، فلا بد من عد أقوالهم . . ."<sup>(٢)</sup>.

ثم يذكر الطيبي كلام كل من صاحب التقريب وصاحب الفرائد وغيرهما كالزجاج وصاحب الإيجاز والانتصاف. . . الخ في هذا الموضوع. والمقصود أن نقرر أن أمر المفاضلة بين الصيغ أمر وارد قد ناقشه العلماء وتعرضوا له، وكان من بين الأسس التي فاضلوا على أساسها بين الصيغ أمر العلاقة بين المبني والمعنى من حيث الزيادة والنقص.

وقد احتذى حدو ابن جنى في هذه القضية كذلك ابن الأثير، فأطال الوقوف أمام هذه النقطة مفيدا في ذلك مما أفاض فيه ابن جنى، وإن كان ما قدمه ابن الأثير لم يخل من جديد كذلك.

تعرض ابن الأثير لبحث هذه الخاصية في النوع الثاني عشر من أنواع الفصاحة والبلاغة لديه، وقد سمي هذا النوع: "قوة اللفظ لقوة المعنى"<sup>(٣)</sup> فقال "النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى: هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جنى في كتابه الخصائص إلا أنه لم يورده كما أوردته أنا، ولا به على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنته، وهذا يظهر بالوقوف على كلامي وكلامه"<sup>(٤)</sup>.

ثم أنشأ يعرض لعدد من القضايا المهمة المتعلقة بهذا الباب، وطرق طريقاً لم يسبق إليه أحد فيما أعلم، فأفاد فيه وأجاد، وأتى بما نس الحاجة إليه في هذا المقام، ويظهر ذلك إذا تأملت كلامه في هذا الموضوع، فقد تعرض فيه لدراسة العلاقة بين المبني والمعنى، فوضع لها

(١) الكشاف/١-٧-٦.

(٢) الطيبي/ فوح الغيب في الكشف عن قناع الرب/ مخطوط بدار الكتب ٤٧٣ تفسير تيمور ق ١٦٦.

(٣) ابن الأثير/ الملل السائر ٢/٢٤١، تقديم وتعليق د/ أحمد الحوفي، د/ بدوى طبانه، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر،

وقد أخذ العنوي صاحب الطراز هذا المبحث عن ابن الأثير ونسبه إليه انظر الطراز/٢-١٦٢-١٦٣.

(٤) السابق.

من الضوابط والقواعد ما ينم عن شعة أفقه في هذا الباب وعمق دراسته، فهو يرى أن نقل اللفظ والعدول به من صيغة إلى صيغة أخرى أكثر حروفاً من الأولى لا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، ويرى أن هذه الطريقة لا تستعمل إلا في مقام المبالغة، فيقول: "اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة الإنابة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانه وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة"<sup>(١)</sup>.

فمن الأمثلة التي ذكرها على ذلك قوله: "فمن ذلك قوهم؛ خشن، واخشوشن، فمعنى (خشن) دون معنى (اخشوشن) لما فيه من تكرير العين، وزيادة الواو، نحو (فعل) و(افعول).

وكذلك قوهم: أعشب المكان، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا (اعشوشب).  
ومما ينتظم بهذا السلك: قدر، واقتدر، فمعنى (اقتدر) أقوى من معنى (قدر)، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيمٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ سورة القمر: ٤٢، فمقتدر هنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذلك أن (مقتدر) اسم فاعل من (اقتدر)، و(قادر) اسم فاعل من (قدر) ولا شك أن (افتعل) أبلغ من (فعل) وعلى هذا ورد قول أبي نواس:

فعفوت عنى عفو مقتدر حلت له نغم فأنغامها

أي عفوت عنى عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن إمضاء قدرته. وأمثال هذا كثيرة<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك تشبيهه بقوله تعالى في سورة نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ١٠)، حيث يبين أنه تعالى قد عدل عن (غافر) لأن (غفاراً) أبلغ في المغفرة من (غافر) لأن (فعالاً) يدل على كثرة صدور الفعل، و(فاعلاً) لا يدل على الكثرة ثم يقول "وعليه ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)

(١) الملل السائر ٢/٢٤١.

(٢) الملل السائر ٢/٢٤١-٢٤٢.



فالتواب هو الذى تتكرر منه التوبة مرة على مرة، وهو (فعال)، وذلك أبلغ من التائب الذى هو (فاعل)، فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب، فهو تائب، أى صدرت منه التوبة مرة واحدة، فإذا قيل (تواب) كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة<sup>(١)</sup>.

والحق أن هذا النص يكشف لنا عن تنبه ابن الأثير لعدد من الأمور المهمة:

الأمر الأول: زيادة المعنى تبعاً لزيادة المبنى.

الأمر الثانى: التفاته إلى أن هذه الزيادة فى المعنى مقيدة بما يعدل فيه عن صيغة إلى

أخرى أكثر منها.

الأمر الثالث: وقوفه على الغرض البلاغى لهذا العدول وهو المبالغة التى يقتضيها المقام.

والحق أن زيادة المبنى مما يقتضى زيادة المعنى، والأمثلة والشواهد الدالة على ذلك كثيرة،

وقد أورد ابن الأثير ضمن كلامه هذا جملة منها صالحة للدلالة على ما نحن بصدد.

إلا أن ما وقع فيه الخلاف هو اطراد زيادة المعنى تبعاً لزيادة المبنى.

قال الإستربادى فى شرح شافيه ابن الحاجب:

"ذو الزيادة: قد تكون زيادته للحاجة كما فى زيادات اسم الفاعل واسم المفعول

ومصادر ذى الزيادة ونحو ذلك، وكزيادات الإلحاق، وقد يكون بعضها للتوسع فى الكلام

كما فى سعيد وحمار وعصفور وكنابيل ونحو ذلك، ويجوز أن يقال فى زيادة الإلحاق: إنها

للتوسع فى اللغة، حتى لو احتيج إلى مثل ذلك البناء فى الوزن والسجع كان موجوداً،

وذهب أحمد بن يحيى إلى أنه لا بد لكل زائد من معنى، ولا دليل على ما ادعى"<sup>(٢)</sup>.

ويستفاد من هذا النص صحة ما نحن بصدد من أن كون زيادة المبنى مما يقتضى زيادة

المعنى أمر لا يختلف عليه، ولكن القول باطراد ذلك فى كل زيادة يحتاج إلى استقراء واسع

للمزيد من الصيغ لإثبات ذلك أو نفيه؛ ومن ثم نجد ابن الأثير يضع قيوداً لهذا القول،

وقواعد تضبطه ولا يلقبه على عواهنه.

وأول هذه القيود والضوابط ما يستفاد مما سبق نقله عنه من اشتراط كون اللفظ منقولاً

ومعدولاً به من صيغة إلى أخرى أكثر منها، وقد عاد ابن الأثير لتأكيد هذا الشرط، وإفاضة

القول فيه حيث يقول:

(١) الملل السائر ٢/٢٤٢.

(٢) الاسترهادى/ شرح شافيه ابن الحاجب ١/ ص ٦٦-٧٦ تحقيق محمد نور الحسن وزميله ط دار الكتب العلمية-

بيروت.

"وهاهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها، وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم إلا فى نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها، كنقل الثلاثى إلى الرباعى، وإلا فإذا كانت صيغة الرباعى مثلا موضوعة لمعنى، فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثى إلى مثل تلك الصيغة. ألا ترى أنه إذا قيل فى الثلاثى (قتل) ثم نقل إلى الرباعى فقيل (قتل) بالتشديد فإن الفائدة من هذا النقل هى التذكير، أى أن القتل وجد منه كثيرا، وهذه الصيغة بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التذكير كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، فإن (كلم) على وزن (فعل) ولم يرد به التذكير، بل أريد به أنه مخاطبه، سواء كان مخاطبه طويلا أو قصيرا، قليلا أو كثيرا، وهذه اللفظة رباعية، وليس لها ثلاثى نقلت عنه إلى الرباعى، لكن قد وردت بعينها، ولها ثلاثى ورباعى، فكان الرباعى أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى وذلك أن تكون (كلم) من الجرّح: أى جرح، ولها ثلاثى وهو (كلم) مخففا، أى جرح، فإذا وردت مخففة دلت على الجرّاحة مرة واحدة، وإذا وردت منقلبة دلت على التذكير.

وكذلك ورد قوله تعالى ﴿وَرُئِلَ الْقُرْآنَ تَرْيِيلًا﴾ (المزمل: ٤) فإن لفظه (رئيل) على وزن لفظه (قتل) ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأتى والتدبير، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثى لها حتى تنقل عنه إلى الرباعى، وإنما هى رباعية موضوعة لهذه الهيئة المحصورة من القراءة. وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة فى اللفظ والمعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه، فاعرف ذلك<sup>(١)</sup>.

والحق أن هذه التفاتة طيبة من ابن الأثير، ترجع قيمتها إلى أمرين هامين:

الأول: أن زيادة المبنى لا تقتضى زيادة المعنى على إطلاقها بل شرط ذلك كون الصيغة منقولة من صيغة أقل إلى أخرى أكثر بناء، أما إن كانت الصيغة الأكثر ليست منقولة عن أخرى أقل منها كما فى نحو "كلم" بمعنى مخاطب، "ورئيل" أى القراءة، فإنها لا تكون حينئذ موضوعة للمبالغة أو التوكيد بل مجرد إفادة معناها المعجمى.

وهذا قيد مهم، لا يستعنا إلا التسليم به لابن الأثير لوضوحه ووفرة الأدلة عليه من اللغة وصحتها.

الثانى: وهو التفات ابن الأثير إلى أن الغرض البلاغى من المبالغة والتوكيد ونحوهما لا يتأتى إلا عن طريق العدول أو الانحراف الفنى القائل على التخيير بين البدائل الصحيحة

(١) ابن الأثير السائر ٢/٢٤٥-٢٤٦.

للمعنى. وهذا يدل على وعيه لمسألة التفريق بين الدلالة النمطية أو المعنى النمطى والمعنى الفنى.

كذلك فقد اشترط ابن الأثير شرطا آخر نبّه عليه غير ما اشترطه من ضرورة أن تكون الصيغة منقولة، وهذا الشرط الثانى هو ما نبّه عليه بقوله "ولا يوجد ذلك (أى التوكيد والمبالغة وزيادة المعنى لزيادة المبنى) إلا فيما فيه معنى الفعلية، كاسم الفاعل، والمفعول، وكالفعل نفسه، نحو قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كُتِبَ فِيهَا هُومٌ وَالْعَاوُونَ﴾ (الشعراء: ٩٤) فإن معنى (ككبوا) من الكب، وهو القلب، إلا أنه مكرر المعنى وإنما استعمل فى الآية دلالة على شدة العقاب، لأنه موضع يقتضى ذلك"<sup>(١)</sup>.

ويطبق ابن الأثير كلامه السابق على زيادة التصغير فيخرجها من هذا الباب، فيقول: "ولربما نظر بعض الجهال فى هذا فحاس عليه زيادة التصغير، وقال: إنها زيادة، ولكنها زيادة نقص، لأنه يزداد فى اللفظ حرف، كقولهم فى الثلاثى فى رجل (رجيل) وفى الرباعى فى قنديل (قنيديل) فالزيادة وردت ههنا فنقصت من معنى هاتين اللفظيتين. وهذا ليس من الباب الذى نحن بصدد ذكره، لأنه عار عن معنى الفعلية، والزيادة فى الألفاظ لا توجب زيادة فى المعانى إلا إذا تضمنت معنى الفعلية، لأن الأسماء التى لا معنى للفعل فيها إذا زيدت استحال معناها.

ألا ترى أنا لو نقلنا (عذب) - وهى ثلاثية - إلى الرباعى نقلنا (عذيب) على وزن (جعفر) لاستحال معناها، ولم يكن لها معنى. وكذلك لو نقلنا لفظة (عسجد) وهى رباعية إلى الخماسى نقلنا (عسجده) على وزن (جحمرش) لاستحال معناها. وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية كقادر ومقتدر، فإن (قادر) اسم فاعل (قدر) وهو ثلاثى، و(مقتدر) اسم فاعل (اقتدر) وهو رباعى، فلذلك كان معنى القدرة فى (اقتدر) أشد من معنى القدرة فى (قدر) وهذا لا نزاع فيه"<sup>(٢)</sup>.

ويستفاد من هذا النص أن ابن الأثير يرى:

١- تقييد زيادة المعنى لزيادة المبنى بما كان فيه معنى الفعلية؛ ومن ثم فهو يرى أن الأسماء التى لا معنى للفعل فيها إذا زيدت استحال معناها.

(١) المثل السائر ٢/٢٤٣.

(٢) المثل السائر ٢/٢٤٢/٢٤٣.

٢- إخراج التصغير عن قاعدة زيادة المعنى لزيادة المبنى لتخلف الشرط السابق.

ونحن نسلم لابن الأثير بالأمر الأول ونؤيده بأن المبالغة إنما تكون في الاتصاف بحدث ما، والأسماء الخالية من معنى الفعل لا دلالة فيها على الحدث، إذ تنحصر فائدتها في تعيين المسمى، فإذا خلت تلك الأسماء من الحدث وهو محل المبالغة فقد خرجت تلك الأسماء عن أن تكون الزيادة فيها للمبالغة.

وأما الأمر الثاني، وهو إخراج التصغير من كون زيادته زيادة للمعنى، فالحق أن ابن الأثير نفسه قد رد على نفسه في ذلك، وذلك في قوله: "ولكنها زيادة نقص".

وقد تعرض لذلك السبكي ضمن كلامه عن قاعدة زيادة المعنى لزيادة المبنى، فقال: "ثم قد برد على هذه القاعدة أمور، منها: أن بقاء التصغير زادت المعنى لأن مدلول الاسم قبل التصغير مطلق الحقيقة، وبعده الحقيقة بقهيد الحفارة، أو التحبيب ونحو ذلك من أسباب التصغير، وبعده أن ذكرت ذلك بحثاً - الكلام للسبكي - رأيت علاء الدين بن النفيس قد سبقني إليه في كتابه طريق الفصاحة، فقال: التصغير، وإن دل على الاحتقار والنقص فذلك لا محالة زيادة في المعنى. أ هـ"<sup>(١)</sup>.

هذا؛ وقد عرض ابن الأثير - في الفصل الذي عقده لهذا الغرض - لعدد من الأمثلة والتطبيقات، مبينا بعض ما قد يقع من خطأ في التطبيق في إيراد تلك الصيغ للمبالغة في غير موضعها، فينعكس المعنى إلى ضده<sup>(٢)</sup>.

كما قد عرض لأمثلة آخر يدل فيها على أن "هذا الباب بجملة لا يقصد به إلا المبالغة في المعاني"<sup>(٣)</sup>.

(١) عروس الأفراح للسبكي ضمن شروح التلخيص.

والذي قاله ابن النفيس وواقفه عليه السبكي في هذا الموضوع هو ما نرجحه كذلك؛ وذلك لأن كون التحقير معنى من المعاني أمر لا يختلف عليه، ولما كان هذا المعنى قد أفادته زيادة التصغير؛ فإن هذه الزيادة في المبنى قد ترتب عليها زيادة في المعنى، ولا يتنقص ذلك بكلام ابن الأثير بأنها دلالة نقص؛ لأنه لو انتقضت القاعدة المذكورة بذلك لصح ألا يجعل مبالغة الشاعر في وصف مهجوه بصفات القبح من قبيل المبالغة والزيادة في المعاني بهذا المنطق نفسه، وهو أنها زيادة نقص.

وقس على ذلك كل معاني التقيح والتحقير التي يحتاج الأدباء والشعراء أن يعيروا عنها بالفاظ تدل عليها.

(٢) الملل السائر - ٢٤٣/٢ - ٢٤٤.

(٣) السابق.

ويجعل ذلك قانوننا ضابطا لما يشتبه فيه في هذا الباب" فينبغي أن يعلم أنه إذا وردت لفظة من الألفاظ، ويجوز حملها على التضعيف الذى هو طريق المبالغة فهو الوجه<sup>(١)</sup>.  
والذى أراه أن ذلك موقوف على تحكيم قرائن السياق، كما يظهر ذلك من تطبيقات ابن الأثير هذه القاعدة<sup>(٢)</sup>.

وتجدد الإشارة هنا إلى أن السبكي قد أضاف ضابطا آخر غير ما ذكره ابن الأثير، وذلك حيث يقول: "ثم كون زيادة الحروف دائما لزيادة المعنى، المراد به أن يكون المعنى واحد ومادة واحدة فخرج بالأول نحو علم واستعلم، والثانى المادتان المستقلتان فلا تفاضل بينهما"<sup>(٣)</sup>.

وهذا الضابط مؤداه: أن زيادة المعنى لزيادة المبنى مشروط باتفاق الصيغة التى تم العدول إليها والصيغة الأصل فى معنى واحد، ومادة واحدة.

فالأول يخرج نحو (علم واستعلم) وذلك لأن الصيغة الأولى موضوعة لجرد إثبات الحدث، والصيغة الثانية موضوعة للطلب، أما نحو (قدر) و(اقتدر) فكلتاها موضوعة لإثبات الحدث، وإن كان أحدهما يدل على زيادة الحدث وكثرته أكثر من الأخرى.

وهذا ضابط هام، وفائدة عزيزة، والغفلة عنه تؤدي إلى الخلط والاضطراب، فلا بد عند المفاضلة بين صيغتين أن تتفق الصيغتان فى المعنى الذى يفاضل بينهما فى الدلالة عليه، لأنه لا معنى للمفاضلة بين صيغة فى دلالتها على معنى وصيغة أخرى فى دلالتها على معنى آخر.

فالحق أننا نستطيع أن نقول أن (اقتدر) أدل على معناها من (قدر) ولكننا لا نستطيع أن نثبت أن (استغفر) أدل على معنى الطلب، من (اقتدر) على التمكن فى القدرة؛ وذلك لأن الصيغتين من مادتين مختلفتين فلا بد من اتحاد المعنى الوظيفى الذى يفاضل بين الصيغتين فى الدلالة عليه كما لا بد من اتحاد المادة كذلك؛ إذ لا يمكن المقارنة أو المفاضلة بين نحو (رعوف) و(رحيم) فى دلالتها على معنى وظيفى واحد، وذلك لأنه قد تكون إحدى المادتين أدل على المعنى من الأخرى.

(١) السابق ٢/٢٤٥.

(٢) السابق.

(٣) عروس الأفرح (شروح التلخيص) ١/٩١.

أما لو قصد أن المفاضلة لا تصح بمعنى أنه لا يصح القول بأن (رهوفا) فى دلالة على معناه أدل من (رحيم) فى دلالة على معناه، بمعنى أن يرجح المفاضلة بين الصيغتين إلى الوزنين اللذين جاء اللفظان على مثالهما وهما صيغتا (فعلول) و(فعليل)، فالحق أن هذا لا يصح نفيه، لأن المفاضلة بين الصيغ بهذا المعنى واردة، بحسب ما بعرض لها من زيادة فى المبني، يترتب عليها زيادة المعنى. وقد تعرض ابن الأثير للمفاضلة بين صيغتي فاعل وفعليل، ونقل ذلك عنه السبكي<sup>(١)</sup> فى عروس الأفراح، وذلك أن ابن الأثير بعدما قرر الأصل السابق ذكره عنه وهو أنه "لا يستقيم معنى الكثرة والقوة فى اللفظ والمعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه"<sup>(٢)</sup> قال: "ومن هاهنا شذ الصواب عن شذ عنه فى (عالم) و(علم) فإن جمهور علماء العربية يذهبون إلى أن (علم) أبلغ فى معنى العلم من (هالم) وقد تأملت ذلك، وأنعمت نظرى فيه، فحصل عندى شك فى الذى ذهبوا إليه، والذى أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة، إذ كل منهما أربعة أحرف، وليس بينهما زيادة ينقل فيها. الأدنى إلى الأعلى"<sup>(٣)</sup> وقد جرى السبكي على ما ذهب إليه الجمهور من كون فعليل أبلغ من فاعل فمن ثم جعل ذلك مما قد يرد على القاعدة، فقال فى جملة ما قد يرد: "ومنها - أى من الإبرادات - أن اسم الفاعل من الثلاثى على أربعة (ف ١ ع ل) فإذا أردت المبالغة ساغ لك أن تحوله إلى مثله عددا وهو (فعليل) أو أقل وهو (فعل)، وقد يجاب عن فعليل بأننا لم ندع أن العلاقة مطردة منعكسة، ولا قلنا إن عدم زيادة الحروف يدل على عدم زيادة المعنى. . . . ويجاب عن (فعل) بأنه حصل فيه معارض وهو أنه على وزن أفعال السجاء فكان أبلغ من جهة أخرى، والجواب السابق أيضا (أى عن فعليل) فإن (فاعل) لم تزد حروفه على (فعل) حتى يلزم أن يكون أبلغ بل (فعل) نقصت حروفه عن (فاعل) فإن فاعلا هو الأصل، والمدعى أن اللفظ إذا حول إلى أكثر حروفا منه كان أبلغ، وأما إذا حول إلى أنقص فلا يلزم أن ينقص المعنى بل قد يقترن بما يجعله أبلغ"<sup>(٤)</sup>.

ونرى أن هذه الصيغ المتساوية الحروف (فاعل - فعليل - فعول. . . إلخ) تحتاج إلى استقراء واسع لدلالاتها فى سياقاتها لمعرفة أيها أكثر مبالغة فى الدلالة على المعنى.

(١) عروس الأفراح/١/٩١.

(٢) التل السائر - لابن الأثير/٢/٢٤٦.

(٣) ابن الأثير/ التل السائر/٢/٢٧٤.

(٤) السبكي/ شروح انطخيس/١/٩٢.

وقد لفتنا العلامة السبكي - في هذا الموضوع - إلى أن ثمة عوامل آخر لها أثرها في زيادة المعنى ينبغي أن يلتفت إليها عند المقارنة بين صيغة وصيغة، فلا شك أن الصيغة الدالة على سجيّة أو طبيعة قد دلت بذلك على معنى أكثر من وقوع الحدث مبالغاً في صفته أو في مرات وقوعه.

وقد أورد السبكي كلام الزمخشري السابق ذكره حول هذه القضية وكلام ابن المنير عليه وأطال في مناقشته وتحليله، في جملة إيرادات رأى أنها قد ترد على هذه القاعدة، وهو وإن كان قد أطال كذلك في جواب تلك الإيرادات، فإنه قد ختم كلامه في هذا الموضوع بقوله: "وليس عتدى في الجواب عن ذلك كله إلا أن هذه علامات لا يشترط اطرادها"<sup>(١١)</sup>. والحق أن ما انتهى إليه السبكي في هذا الموضوع هو ما يجب أن يقف عنده الباحث المختاط لأمره، إذ أن القول باطراد زيادة المعنى لزيادة المبنى يحتاج إلى استقراء واسع لسياقات لغة العرب مع الانتفاذ إلى كافة العوامل التي يمكن أن تؤثر في زيادة المعنى ونقصانه، كما ينبغي علينا إذا أطلقنا هذا القول وقلنا باطراده أن نكون قادرين على الإجابة عن كل ما يوجه إليه من اعتراضات، وما يورد عليه من إيرادات.

ونستطيع أن نقرر هنا أن لكل من السياك والمقام دوره في الوقوف على ما بين المبنى والمعنى من علاقة وطيدة، ولعل هذا ما قد نقف عليه في الجانب التطبيقي من البحث. وأحب أن أشير إلى أن الدراسات الحديثة لم تغفل بحث العلاقة بين المبنى والمعنى، بل أنها قد تعدت ذلك إلى بحث العلاقة بين المباني والبواعث النفسية المحركة لـ"الكلمات يمكن أن تخضع للبواعث المحركة لها فتصبح شفاقة أو معتمة. ويتم هذا على مستويات صوتية وصرفية ودلالية، ولكل منها نتائج أسلوبية بارزة. . . أما الباعث الصرفي فيتمثل في وجود صيغ ومشتقات صرفية شفاقة ذات أثر أسلوبى، وبخاصة تلك التي تنصل بالمجال العاطفى، مثل صيغ التصغير والتحقير والمزول والسخرية وغيرها من الصيغ التي قد تكتسب دلالة أسلوبية جديدة في سياق تعبيرى يبرز شفافيتها ويخفف من عتمتها"<sup>(١٢)</sup>. ولعل هذا يضيف هنا بعداً جديداً في دراسة العلاقة بين الصيغة والمعنى ألا وهو البعد النفسى بمعنى الاستفادة من دلالة الصيغة في السياك للكشف عن الأبعاد المسيطرة على المبدع حالة إبداعه.

(١١) السبكي/ شروح التلخيص/ ١/ ٩٢.

(١٢) دا/ صلاح فضل/ علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة/ مجلة فصول/ ص ٥٧/ عدد أكتوبر ١٩٨٤.

## المبحث الثاني

### دلالة الصيغة بين الأفراد والتركيب





## المبحث الثاني

### دلالة الصيغة بين الإفراد والتركيب

الدلالة الإفرادية للكلمات هي تلك الصور الذهنية المجردة التي تستدعي ألفاظها الموضوعية إزاءها في لغة ما. ويرى عبد القاهر أن المعاني الإفرادية للصيغ هي مجرد صور ذهنية أولية يسبق تصورهما في النفس حدوث المواضعة.

فهو يرى أنه يستحيل أن يتوقف علمنا بمعاني النحو ووظائفه على العلم بالصيغ والمباني الموضوعية إزاءها، وحتى " لو لم يكونوا وضعوا أمثلة الأفعال لما كان لنا علم بمعانيها، وحتى لو لم يكونوا قالوا (فعل ويفعل) لما كنا نعرف الخير في نفسه ومن أصله، ولو لم يكونوا قد قالوا (افعل) لما كنا نعرف الأمر من أصله، ولا نجد في نفوسنا..."<sup>(١)</sup>.

فهذه المعاني الوظيفية التي تدل عليها تلك القوالب والصيغ الصرفية متصورة في العقول قبل النطق بتلك الصيغ، ويختلف الصور لدلالة تلك الصيغ في حالة التركيب عنها في حالة الإفراد.

ومن أمثلة تلك المعاني الكلية المجردة التي يحتفظ بها العقل، معنى عموم الفاعلية، أو عموم المفعولية، أو عموم المضي، أو الحضور. . الخ فالعقل يستطيع أن يتصور دلالات الصيغ المجردة قبل التركيب ولكنه يتصورها بلا دلالة محددة؛ بل تكون في هذه الحالة أشبه بالمادة الخام التي يمكن تشكيلها في صور وأشكال عديدة.

ولذا فإنه لا ينبغي أن نهون من شأن تلك الدلالة الإفرادية، ولكن ينبغي أن ينظر إليها على أنها "بمثابة" مادة أولية" لا غنى للمتكلم عنها في التعبير عن معانيه ومقاصده، وأنه إذا كانت الكلمة المفردة تمثل الوحدة التحليلية الأولى للكلام، فإن المدلول الإفرادي لتلك الكلمة هو بمثابة الوحدة التحليلية الأولى للمعنى في هذا الكلام"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت المادة الأولية أو الخام التي يصنع منها الشيء، تكون قبل تشكيلها صالحة للتشكل في أي صورة أرادها المبدع لها، كذلك فإن تلك الدلالة الإفرادية للكلمة تكون صالحة

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٥٤٠ ط المديني - تحقيق / محمود شاكر.

(٢) د/ حسن طبل - المعنى في البلاغة العربية ص ٣.

قبل التركيب للتشكل وفق الدلالة المحددة التي يقصدها المنشئ للكلام والمبدع له، وتلك الدلالة المحددة لا تظهر إلا عند التركيب لا في حالة الأفراد.

التركيب إذا هو الذى يحدد المعنى المراد عن طريق القرائن السياقية والمقامية التى لا تظهر إلا فى حالة التركيب، ومن ثم لا نستطيع أن نتبين المعنى المقصود من صيغة ما فى حالة الأفراد. والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة.

فمن ذلك ما ذكره د/ فاضل الساقى من التفريق بين دلالة الصيغة - المجردة المعزولة من سياقها - عليه، وبين دلالة السياق، بحيث يمكننا أن نقسمه تبعاً لذلك إلى نوعين:

"الأول: الزمن الصيغى: ويسمى الزمن التحليلى: وهو المعنى الذى يعطى للصيغة منفردة بعيدة عن السياق، حيث نفهم (فعل) فى مقابل (بفعل) و(افعل) تماماً، كما نفهم من (استفعل) معنى الصيرورة أو الطلب فى مقابل المطاوعة فى (انفعل)، والتكلف فى (افتعل) والأصالة فى (فعل)... الخ.

الثانى: الزمن السياقى: ويسمى (الزمن التركيبى): وهو الذى تحدده القرينة اللفظية أو الحالية، وهو معنى الفعل فى السياق مثل ﴿أَمْرٌ لِّلَّهِ فَلَا تَسْتَفْجِلُوهُ﴾ (النحل: ١)، وهو بالقياس إلى التقابل السابق يشبه استعمال (استباح حرمتهم) حيث لا يكون معنى الفعل استباح هنا صيرورة أو طلباً إلا مع التكلف، ونطق على هذا القسم من أقسام الزمن (الزمن النحوى) وهو الدلالة الوظيفية على الزمن<sup>(١)</sup>.

فهذا التفريق - بين الزمن الصيغى والزمن السياقى - إنما هو أحد الأمثلة الدالة على اختلاف دلالة الصيغة بين الأفراد والتركيب؛ فالدلالة الإفرادية للصيغة، أو ما أسماه أبو البقاء بالمعنى الصيغى، "هو ما يفهم من هيئته، أى حركاته وسكناته وترتيب حروفه؛ لأن الصيغة اسم من الصوغ الذى يدل على التصرف فى الهيئة لا فى المادة"<sup>(٢)</sup>.

أما الدلالة التركيبية فهى تلك الدلالة التى تستفاد من السياق والنظم بما يشتمل عليه من قرائن الحال والمقام التى تدل على مقصد المتكلم من كلامه. وذلك لأن الكلمة فى حال إفرادها تحتل دلالات شتى، والتركيب والعلاقات السياقية هى التى تكشف عن قصد المتكلم إلى إحدى هذه الدلالات التى تحتلها الكلمة حال إفرادها، وعزها عن السياق.

(١) د/ فاضل الساقى / اسم الفاعل بين الاسم والفعلية ص ٦٨، ماجستير دار العلوم رقم ٨٤ سنة ١٩٦٨.

(٢) أبو البقاء الكفوى - الكليات - ص ٧٥١-٧٦٦.

ولذلك نجد واحدا من كبار الباحثين فى مجال علم اللغة يرى أن قول النحاة إن مثل الفعل (أتى) يعبر عن الزمن الماضى، أمر لا تختمله النصوص العربية، وتأباه أساليب اللغة<sup>(١)</sup> وبدل على ذلك بقوله: "انظر مثلا إلى الاستعمالات القرآنية المختلفة للفعل (أتى)

- ١- ﴿ اَتَىٰ اَمْرٌ لِلّٰهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوْهُ ﴾ (النحل: ١)
- ٢- ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَىٰ اللّٰهُ بُتْيَانَهُمْ مِّنَ الْفَوَاعِدِ ﴾ (النحل: ٢٦)
- ٣- ﴿ تَقُوْلُنَّ اِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدُهُ ثُمَّ اَتَىٰ ﴾ (طه: ٦٠)
- ٤- ﴿ اِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا وَلَا يَتْلُوْهُ السَّاحِرُ حَيْثُ اَتَىٰ ﴾ (طه: ٦٩)
- ٥- ﴿ اِلَّا مَن اَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٩)
- ٦- ﴿ كَسَدَلِكْ مَا اَتَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن رُّسُوْلٍ اِلَّا قَالُوْا سَاحِرٌ ﴾ (الذاريات: ٥٢)
- ٧- ﴿ هَلْ اَتَىٰ عَلٰى الْاِنْسَانِ حِيْنَ مِّنَ الدُّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّا كُوْرًا ﴾ (الانسان: ١)

نجد أساليب و(دلالات) مختلفة ينسجم كل منها مع آياته، وفى الآية الأولى: زمن الإتيان هو المستقبل، وفى الثانية: هو ما بعد الماضى، وفى الثالثة ما بعد الماضى أيضا، وفى الرابعة للحال المستمرة التى تشبه الحقائق الثابتة، وفى الخامسة: للمستقبل، وفى السادسة: لما قبل الماضى، وفى السابعة: للماضى المؤكد<sup>(٢)</sup>.

الحقيقة أن هذه المفارقة الكبيرة بين الدلالة الإفرادية التحليلية الأولى للصيغة معزولة عن سياقها وبين دلالتها حال التركيب، جعل بعض كبار الباحثين ينقم على النحاة، ويأخذ عليهم ادعاء اختصاص صيغة من هذه الصيغ بدلالة بعينها. ولنا أن نقول: إنه لا عيب على النحاة فى ذلك، إذا كانوا بشأن تحديد الدلالة الوضعية الأولى، فهم لم يدعوا اطراد هذه الدلالة فى جميع السياقات. فكما أنه لا حرج على أصحاب المعاجم فيما ادعوه من اختصاص الكلمات بدلالات معينة تتغير بتغير التراكيب والسياقات، وما تضيفه هذه السياقات وتلك التراكيب إلى الكلمة من ظلال وإيحاءات. فكذلك لا حرج على هؤلاء النحويين فى ادعائهم دلالة معينة للصيغة تختلف باختلاف التراكيب والسياقات، وما تضيفه هذه السياقات وتلك التراكيب إلى الصيغة من ظلال وإيحاءات مختلفة، تتنوع بها دلالة تلك الصيغ.

(١) د/ إبراهيم أنيس/ من أسرار اللغة ص ١٠٢ / مكتبة الأنجلو من ١٩٦٦.

(٢) السابق ص ١٠٢.

ولذلك فنحن لا نرى إلغاء قيمة الدلالة الإفرادية أو التهوين من شأنها وذلك لأننا نقول: إننا وإن بينا أن تلك الدلالة تختلف باختلاف السياقات والتراكيب فإنه لا يلزم من هذا كما يقول ابن سنان الخفاجي: "أن تكون المواضع لا تأثير لها، لأن فائدة المواضع تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلاً أن نأمر قصدناها"<sup>(١)</sup>.

فالعلاقة ليست مقطوعة بين الدلالة الإفرادية الوضعية الدالة على الوضع العام للكلمة أو الصيغة في اللغة، وبين الدلالة التركيبية التي هي عبارة عن وضع خاص بالمتكلم يعتمد في أساسه على الوضع العام إن العلاقة بين الدالتين هي أشبه ما يكون بالعلاقة بين اللغة والكلام، تلك العلاقة التي عنى بها وتوضيحتها علماء اللغة المعاصرون أمثال دوسوسير حيث يكشف عن تلك العلاقة بقوله: "الكلام يستدعي صور الكلمات والرموز الأخرى التي انطبعت في أذهان كل المتكلمين ثم يترجمها إلى أصوات فعلية واضحة ذات مغزى ... الكلام نشاط متعمد مقصود بينما اللغة تفرض علينا من الخارج ويكتسبها الفرد بطريقة سلبية ... اللغة نظام من رموز صوتية مخزونة في أذهان أفراد الجماعة اللغوية بينما الكلام نشاط مترجم لهذه الرموز الموجودة بالقوة إلى رموز فعلية حقيقية ..."<sup>(٢)</sup> ويلخص تلك العلاقة أحد كبار الباحثين في مجال اللغة بقوله: "الكلام نشاط، واللغة قواعد هذا النشاط..."<sup>(٣)</sup>.

والدليل على ما نقوله - من أن الدلالة التركيبية مؤسسة على الدلالة الإفرادية غير مقطوعة العلاقة عنها - أننا لو تأملنا الأمثلة السابقة التي استدل بها على عدم تصور الدلالة الإفرادية، وبالتالي عدم العلاقة بينها وبين الدلالة التركيبية أو عدم وضوحها، لو تأملنا تلك الأمثلة لوجدنا صحة ما ذكرناه، من اختصاص كل صيغة بدلالة إفرادية كلية تربطها بالدلالة التركيبية علاقة واضحة.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل: ١) ليس مراد الله تعالى - والله أعلم بمراده - أن يقول سيأتي أمر الله، ولو كان ذلك هو المراد لكان الأولى أن تأتي الآية بهذه الصياغة، ولكن المراد هو توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمنة معنى الماضي وموظفة له في الوقت نفسه، فكان مقصود الآية أن تقول سيأتي أمر الله لا بحالة مجيئها مقطوعاً

(١) ابن سنان الخفاجي/سر الفصاحة ص ٣٣ تصحيح عبد المتعال الضميدى ط محمد على صبيح س ١٩٦٩.

(٢) انظر: ستيفن أولمان- دور الكلمة في اللغة/ ترجمة د/ كمال بشر مكتبة الشباب ١٩٧٥ ص ٣١/٣٠.

(٣) د/ صام حسان/ اللغة العربية معناها وبنائها ص ٣٢، وانظر أيضاً ص ٣١٧، اقبلة المصرية العامة للكتاب س ١٩٧٩.

به بل هو فى حكم ما وقع وأتى بالفعل. أو يكون المعنى أتى أمر الله تعالى فعلا باعتبار تقديره، أو وقوع مبادئه وأماراته، وحينئذ لا مجاز ولا تجوز، لأن الصيغة حينئذ موظفة فى معناها الذى وضعت له أما على المعنى المدعى (التركيبى) فهو مؤسس على المعنى الإفرادى لا محالة غير مقطوع عنه وبنحو ذلك قال المفسرون: قال الزمخشري "﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ الذى هو بمنزلة الآتى الواقع، وإن كان منتظرا لقرب وقوعه"<sup>(١)</sup> وقال الألوسى "والتعبير عن ذلك بأمر الله للتسهيل والتفخيم، وفيه إيدان بأن تحققه فى نفسه وإتيانه منوط بحكمه تعالى النافذ وقضائه الغالب، وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع فى سلك الواقع، وجوز أن يكون المراد إثبات مبادئه، فالماضى باق على حقيقته"<sup>(٢)</sup>.

قد التفت الزمخشري والألوسى إلى أن المراد ليس هو مجرد الإخبار عن المستقبل المتوقع ولكن المراد كما يقول الألوسى "نظم المتوقع فى سلك الواقع" وهذا يدلنا على تنبه المفسرين لهذه الظاهرة التى تضمن فيها الصيغة معنى صيغة أخرى مع احتفاظها بجزء من مدلولها الأصلى. وكذلك فى المثالين الثانى والثالث اللذين مثل بهما د/ إبراهيم أنيس فكون الفعل قد أتى للدلالة على ما بعد الماضى، يدل على استناده إلى أصل دلالة الإفرادية وهى الماضى، لأن ما بعد الماضى - فى هذا السياق - إنما هو واقع فى الماضى كذلك.

وأما فى المثال الرابع: فنرى أنها وإن أفادت الحال المستمرة فإن الآية قد عبرت بالماضى لتأخذ منه دلالة على التحقيق، أى لا يفلح الساحر مهما أتى بسحره محققا على وجه الكمال قال القرطبي "أى لا يفوز ولا ينجو حيث أتى من الأرض، وقيل حيث احتال"<sup>(٣)</sup> والقول الثانى هو الأنسب لسياق الآية "إنما صنعوا كيد ساحر. . .". فالحديث عن صنعة الساحر واحتياله وبيان بطلان مآله، ووافق قوله تعالى ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِمِ السُّحْرِ إِلَّا اللَّهُ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٨١) وكذلك فى المثال الخامس: النكته إما فى تحقيق القدوم على الله والمثول بين يديه مما يناسب مقام الآية وسياقها، وإما إثبات الإتيان بقلب سليم على وجه التحقيق والكمال.

(١) الكشاف ٢/٣٢١.

(٢) روح المعانى ١٤/٩٠.

(٣) القرطبي ٦/٤٢٤٦ ط الرهان.

وأما فى المثال السادس: فقوله إنها لما قبل الماضى لا ينفى دلالة الصيغة على الماضى الموضوع له، بل إنها هنا قد استخدمت فيه على وجه التمام والتحقيق.

وأما فى المثال السابع: فقد جاءت الصيغة بمدلولها الشائع مؤكداً.

وهذا كله يؤكد صحة ما ذكرت من وجود علاقة واضحة بين المعنى الإفرادى والمعنى التركيبى للصيغة، مما يدل فى الوقت نفسه على تميز الصيغة المفردة بمعنى يخصها وهذا المعنى يمكن تصوره كلياً مجرداً فى الذهن قبل التركيب.

وهذا ما يؤكدُه أولمان فى كتابه دور الكلمة فى اللغة حيث يقرر أن "مشايهى نظرية السياق. . . كثيراً ما يرددون القول بأن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها فى النظم. يقول القائل: "عند ما أستعمل كلمة يكون معناها هو المعنى الذى أخترته فقط، لا أكثر ولا أقل". ولو تأملنا الأمر قليلاً لظهر لنا أن هذه مبالغة ضخمة، وتبسيط كبير للأمر. إن الذين ينادون بهذه الآراء ينسون الفرق الأساسى بين اللغة والكلام"<sup>(١)</sup>. لذا فإن ما انتهينا إليه - من القول بأن للصيغة خاصة أو الكلمة عامة دلالة عامة هى دلالتها الإفرادية، تلك الدلالة التى تتسم بقبول التشكيل بحسب السياقات المختلفة إلى دلالات جديدة غير مقطوعة الصلة بها؛ ولكنها ناجمة عنها ومؤسسة عليها - هذا القول الذى انتهينا إليه لعله يمثل قولاً وسطاً يحل إشكالية الإفراط والتفريط فى قيمة الدلالة الإفرادية للكلمة على العموم والصيغة على الخصوص.

---

(١) دور الكلمة ص ٥٧.

## المبحث الثالث

### التعدد والاحتمال فى معانى الصيغ

(١) تعدد المعنى الوظيفى للصيغة الواحدة

(٢) تعدد الصيغ للمعنى الواحد





هذه الظاهرة من الظواهر المهمة في الكشف عن طبيعة الدلالة في الصيغ الصرفية، حيث تشترك المعاني في الصيغة الواحدة، فتدل على معان متعددة قبل أن يتحدد المعنى المراد بواسطة القرائن، فصيغة فعيل مثلا تأتي للواحد والجمع، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحریم: ٤) ان عرب قد تجعل فعل الجميع على لفظ الواحد، قال: "إن العوائل ليس لي بأمير"<sup>(١)</sup> هذه الصيغة (فعليل) التي مثلنا بها: تدل على معان كثيرة؛ فهي إما أن تدل على مفرد أو جمع، والمفرد إما جامد أو مشتق، والجامد: اسم ذات أو اسم معنى: فاسم الذات نحو: سبيل وطريق - يمن - قميص - بعير - غدير - سرير - رغيف. . الخ. واسم المعنى وهو المصدر: والغالب أن يدل على صوت مثل: زئير وخرير - صهيل - زفير - شهيق - نفوق - نهيق - أنين. . الخ وقد يدل على سير نحو: رحول - دهب.

أما المشتق: فهو يأتي على أربعة أنواع:

(١) صفة مشبهة: وهذا مصوغ من مصدر الثلاثي اللازم للدلالة على من قام به الفعل على جهة الثبوت مثل: كريم، وعظيم وفصيح، وعسير، وعزيز.

(٢) صيغة مبالغة: وهذا محول عن اسم الفاعل من الثلاثي متعدبا كان أم لازما للدلالة على كثرة وقوع الفعل مثل: علم - قدير - شهيد - حفيظ.

(٣) ما كان بمعنى اسم الفاعل من غير الثلاثي: وهذا إما أن يكون بمعنى "مفعل" من أفعل، مثل: نذير، ألهم، وجميع.

وأما أن يكون بمعنى مفاعل من فاعل مثل: جلس - رقيب - أكيل - نديم

(٤) ما كان بمعنى اسم المفعول من غير الثلاثي، مثل: قتيل وجريح وأسير.

أما صيغة فعيل الدالة على الجمع، فثلاثة أنواع:

١- اسم جنس يفرق بينه وبين مفرده بتاء التانيث مثل: شعيرة، وشعير، وسفينة

وسفين، وركية وركى، ومطية ومطى. . الخ

٢- اسم جمع: وهو ما ليس له واحد من لفظه مثل: قطع، فريق قبيلة، فصيلة، عشيرة.

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنى - مجاز القرآن ص ٢٦١ - تحقيق محمد فؤاد سزكين - ط مؤسسة الرسالة.

٣- جمع تكسير مثل: عيد وعبيد، ضأن وضفين، كلب وكليب، حاج وحجيج، حمار وحمير، نخل ونخيل<sup>(١)</sup> فهذه الصيغة وحدها تشترك بين عدد كبير من المعاني - كما سبق بيانه - وهذا يدلنا على مدى تعقد الأمر وتشابكه فى هذا النوع من الصيغ. وهذا النوع من الاشتراك قد عنى بجمعه والتنبيه عليه علماء اللغة القدامى فمن ذلك ما ذكره ابن قتيبة فى كتابه (أدب الكاتب) باب (أفعلت وأفعلت) بمعنيين متضادين: (أشكيت الرجل): أحوجته إلى الشكاية، وأشكيتته: نزعت عن الأمر الذى شكاني له، و(أطلبت الرجل): فأحوجته إلى الطلب، ولذلك قالوا: ماء مطلب، إذا بعد فأحوج إلى طلبه، و(أطلبتته): أسعفته بما طلب. و(أفزعت القوم): أحللت بهم الفزع، و(أفزعتهم): إذا أحوجتهم إلى الفزع، و(أفزعتهم) إذا فزعوا إليك فأعنتهم. . .<sup>(٢)</sup>

وصيغة (أفعل) هذه من خير الأمثلة على ما نحن فيه فقد ذكروا لها دلالات عديدة - غير ما سبق - فمنها:

١ - التعدية: كقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ﴾ (الأحقاف: ٢٠) ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ (الأنفال: ٥٤)<sup>(٣)</sup>.

٢ - الصيرورة: كقولك اللحم فلان أى صار ذا لحم، وأحصد الزرع أى صار ذا حصاد<sup>(٤)</sup>. وقد جاء أفعل بمعنى الدخول فى الجهة كقوله تعالى: ﴿فَأَلْبَسُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ أى داخلين فى وقت الشروق (الشعراء: ٦٠)<sup>(٥)</sup>.

٣ - التعريض (بمعنى التعريض لوقوع الحدث عليه) كقولك:

(١) انظر سيبويه - الكتاب - تحت /! عبد السلام هارون ٦٦١/٣، المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق محمد كامل بركات ٣/٣٣٨، شرح الشافية لابن الحاجب ١/١٤٧ ط دار الكتب العلمية- تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، وشرح لامية الأنفال- تحقيق د/ محمد حسن يوسف ص ١٠١، وانظر د/ على أحمد طلب (صيغة فعيل واستعمالها فى القرآن الكريم) مطبعة الأمانة مصر سنة ١٩٨٧، وانظر د/ فاضل مصطفى الساقى/ أقسام الكلام العربى من حيث الشكل والوظيفة ص ٣٠٦-٣٠٧ ط مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٢) أدب الكتاب ص ٤٥٣.

(٣) انظر شرح الشافية ١/٨٨، والكتاب ٢/٢٣٥.

(٤) انظر شرح الأشموني ٢/٥٢١- تحت معنى الدين، وانظر الشافية ١/٨٦، والكتاب ٢/٤٢، ٢٣٣-٢٣٥.

(٥) أدب الكتاب ص ٤٤٦.

(أقتلت الرجل) عرضته للقتل، (وأبعت الشيء) عرضته للبيع، وأنشد:

فرضيت آلاء الكميت، فمن فرسا فليس جوادنا بمباع

أى بمعرض للبيع<sup>(١)</sup>.

٤- لوجودك مفعوله على صفة: وذلك مثل ما روى عن عمرو بن معد يكرب انه قال لبنى

سليم: (قاتلناكم فما أجنناكم، وسألناكم فما أجهلناكم، وهاجيناكم فما أفحمنناكم)

أى:

ما صادفناكم جبناء، ولا بخلاء، ولا فحمين<sup>(٢)</sup>.

٥- الدهاء: نحو: أسقيته: أى دعوت له بالسقيا<sup>(٣)</sup>.

٦- الإعانة: نحو: أحلبت فلانا وأرعته، أى: أعتته على الحلب والرعي<sup>(٤)</sup>.

٧- المطاوعة (لفعل) مثل: بشرته فأبشر.

والناظر فى كتب التصريف واللغة قديمها وحديثها على اختلافها يجد أنها قد أطبقت على

ذكر عدة معان لكثير من الصيغ بما يشبه الاتفاق التام أو الإجماع على صحة وقوع هذه

الظاهرة، ظاهرة تعدد المعنى الوظيفى للصيغة الواحدة<sup>(٥)</sup>.

ويكاد يكون هذا أمرا متفرا كذلك فى الدراسات الحديثة فى علم اللغة<sup>(٦)</sup>.

يوضح ذلك د/ عياد حيث يقرر أن "العلامة الواحدة لها فى العادة أكثر من قيمة، وأن هناك

علامات كثيرة للتعبير عن كل قيمة، وهذا يصدق على كل اللغات"<sup>(٧)</sup>.

وهذا ما يقرره د/ تمام حسان تحت عنوان (تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد)<sup>(٨)</sup>.

(١) السابق.

(٢) د/ مصطفى النحاس - صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستمالاتها فى اللغة فى العربية - ص ١٩ - ط السعادة -

١٩٨٣م - وانظر د/ السائق - أقسام الكلام ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٣) الجمع ١٦٦/٢.

(٤) المشابهة ٨٩/١.

(٥) انظر د/ شكري عياد - اتجاهات البحث الأسلوبى ص ٣٧ - دار العلوم للطباعة والنشر - ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م، د/

تمام حسان - اللغة العربية معناها ومنهاها ص ١٦٣، د/ فاضل السائق، أقسام الكلام العربى ٢٩٦ إلى ٣٢٨ - نشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة، د/ محمد لؤاد - مشكلة المعنى بين النحو والبلاغة - دكتوراه مخطوط بدار العلوم رقم ٢٧١ -

ص ٣٦.

(٦) د/ شكري عياد - السابق.

(٧) د/ تمام حسان - اللغة العربية معناها ومنهاها ص ١٦٣.

(٨) د/ تمام حسان - اللغة العربية معناها ومنهاها ص ١٦٣.

## ثانياً: تعدد الصيغ للمعنى الواحد

من الظواهر التي تكشف عن كبيعة الدلالة في الصيغ الصرفية كذلك - ظاهرة تعدد الصيغ للمعنى الصرفي الواحد.

واقصد بتلك الظاهرة أن تشترك صيغتان أو أكثر في الدلالة على معنى واحد<sup>(١)</sup>. فعلى سبيل المثال ذكروا أن صيغة (فَعَّلَ) تشارك صيغة (أَفْعَلَ) في معنيين من معانيها وهما: التعدية، تقول: قومت زيدا وقعدته. والإزالة تقول: جربت البعير، وقشرت الفاكهة، أى أزلت جرب البعير، وأزلت قشرة الفاكهة<sup>(٢)</sup>.

من ذلك قول سيبويه: "وقد يجيء الشيء على فعلت فيشرك أفعلت كما أنهما قد يشتركان في غير هذا وذلك قولك فرح وفرحته وإن شئت قلت أفرحته وغرم وغرمته وأغرمته إن شئت كما تقول فرعته وأفرعته وتقول ملح وملحته وسمعتنا من العرب من يقول أملحته كما تقول أفرعته وقالوا ظرف وظرفته ونبل ونبلته، ولا يستنكر أفعلت فيهما ولكن هذا أكثر واستغنى به، ومثل أفرحت وفرحت أنزلت ونزلت قال الله عز وجل: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ (الأنعام: ٤٦) ، وكثرهم وأكثرهم وقللهم وأقللهم. . .<sup>(٣)</sup>

وكذلك ذكروا للمطاوعة عدة صيغ تشترك في الدلالة عليها، فانفعل، وافتعل، وتفعل، وتفاعل، واستفعل: كلها تشترك في الدلالة على معنى المطاوعة<sup>(٤)</sup>.

وفي معنى التشارك: ذكروا أن الصيغ: فاعل كخاصم، وافتعل كاختصم، وتفاعل كتنخاصم - تشترك كلها في هذا المعنى<sup>(٥)</sup>.

وفي معنى الفاعلية مثلاً: تشترك صيغ فاعل - مفتعل - مفعل مفعل. . . إلخ في الدلالة على معنى الفاعلية.

(١) ترجع أهمية دراسة وجود هذه الظاهرة من عدمه إلى ما سوف نرتبه عليها بعد ذلك؛ وذلك أن إثبات تلك الظاهرة أو نفيها يترتب عليه بالضرورة إثبات ظاهرة الاختيار الصيغي أو نفيها باعتبارها ظاهرة أسلوبية، وهذا الاختيار متوقف على التمايز الدلالي بين الصيغ؛ فعلى أساس إثبات هذا التمايز يقع الاختيار.

(٢) المزهر ص ٤٠٣.

(٣) الكتاب ص ٢٣-٢٤.

(٤) انظر شرح الشافية ٩٩/١ إلى ١١٠ - ونزهة الطرف لابن هشام ١١٠ - إلى ١١٣، والمبدع لأبي حيان ص ٣٠ إلى

٣٣.

(٥) شرح الشافية ص ٩٦ - ١٠١ - ١٠٨، نزهة الطرف ١١١-١١٢.

وقد استطاع أساتذة اللغة المحدثون أن يفيدوا من تلك الظاهرة - التي سبق تقريرها عند القدمة - في محاولة إحصاء الصيغ التي تشترك في معنى وظيفي واحد، مع تصنيفها على أساس تلك المعاني الوظيفية التي تجمع بينها<sup>(١)</sup>.

وقد اهتم علماء اللغة والنصرف بهذا الباب حيث عنوا بجمع الأبنية التي تتوارد على المعنى الواحد مع اختلاف صيغتها<sup>(٢)</sup>.

ونحب أن نؤكد هنا أن هذا المعنى الذي ذكرناه عن هؤلاء العنماء من توارد تلك الصيغ على معنى واحد لا يعنى التوافق انتماء بين المعاني الوظيفية لتلك الصيغ؛ بل يبقى لكل صيغة من تلك الصيغ دلالتها الوظيفية الخاصة وإن اشتركت مع غيرها من الصيغ في دلالة عامة.

فمعنى سبيل المثال - إن كنا قد ذكرنا - أن صيغ (فاعل - مفعول - متفعل - مستفعل .. إلخ) تدل على معنى الفاعلية - فينبغي أن يعلم أن كل صيغة من تلك الصيغ إنما تدل على ذلك المعنى من زاويتها الخاصة؛ فصيغة (مفعول) إنما ينظر فيها إلى معنى التكلف في تلك الفاعلية، وصيغة مستفعل ينظر فيها إلى معنى الطلب في تلك الفاعلية وهكذا ..

ومن ثم فإن اشتراك الصيغ في معنى من المعاني الوظيفية أو تواردها عليه لا يعنى بالضرورة تساويها في الدلالة على ذلك المعنى الوظيفي العام، بل يبقى لكل صيغة معناها الوظيفي الخاص؛ بمعنى أن تلك الصيغ وإن صح أن نجعلها بدائل للمعنى الوظيفي العام؛ فإنها تقع بينها الاختيار والمفاضلة بناء على ما بينها من فروق دلالية خاصة.

وهذا ما سوف يكشف عنه البحث بالتفصيل في فصوله المقبلة تأصيلاً وتطبيقاً.

---

(١) د. شام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها - ص ١٤٣، وقد سبق إلى ذلك د/ أحمد عبد العظيم في رسالته: الوحدات الصرفية التي أشرف عليها د/ شام حسان، حيث عرض لأربع وشاتين معنى من المعاني الوظيفية التي تتوارد عنها الصيغ المختلفة، ذكراً تحت كل معنى من تلك المعاني الصيغ التي تتوارد على ذلك المعنى. وقد أشار د/ شام في مقدمة كتابه السابق إلى رجوعه إلى تلك الرسالة وإفادته منها.

(٢) انظر ابن فتيبة - أدب الكتابات - ص ٤٣٣ - إلى ٤٤٥ - تحقيق محمد الدالي - ط مؤسسة الرسالة بيروت. والتبريزي - نهذب إصلاح المنطق ١/١١١ - ١٤٢ - ٢٥٩ - ٢٦٧ - ٢٧٢ - تحقيق د/ لوزي عبد العزيز مسعود - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦. وكتاب الفصح لأبي العباس نعلب، تحقيق ودراسة د/ عاطف مذكور، دار المعارف ص ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٨. والزجاج كتاب فعلت وأفعلت، والفريسي المصنف لأبي عبيد (بابا فعلت وأفعلت) - ٢/٢٥٦. وابن الفوطي في كتاب الأفعال ص ١٢ ومواضع أخرى.

كما أن ثمة فروقا دلالية تتضح بين تلك الصيغ فى السياقات المختلفة؛ وذلك أن قولك قومته وقعدته لا يتبادل مع أقمته وأقعدته فى جميع السياقات؛ لأنه قد يدل فى بعض السياقات على تكثير القيام والقعود.

وهذا ما يؤكد ابن درستويه - من القدماء - حيث يقول:

"لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد"<sup>(١)</sup>.

ومن ثم فابن درستويه ينكر تطابق الصيغتين فى الدلالة على المعنى الواحد.

هذا الذى انتهينا إليه هو ما يتفق مع ثنائية الأداء على مستوى الكلام وانقسامه إلى مستويين

هما: المستوى النمطى، والمستوى الفنى.

فالمستوى النمطى هو ما يقف عند حدود الصحة اللغوية.

أما المستوى الفنى من الأداء فهو الذى يحرص فيه المنشئ على الدقة فى اختيار ألفاظه

وصيغه، ومراعاة الخصائص الفارقة بين الصيغ، فالمفترض أن المبدع يوظف فى إبداعه كل

الإمكانات اللغوية المتاحة لديه بحيث يفيد من كل اختلاف شكلى بين الصيغ والألفاظ لمناسبة

المعاني المراد بيانها.

---

(١) الزهر ١/ ٣٨٤ - ٣٨٥.

## الفصل الثاني

أسس التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة





## تمهيد

يحاول البحث فى هذا الفصل أن يكشف عن الأسس الفنية التى يقوم عليها التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة مستلهما فى ذلك روح التراث البلاغى مع الإفادة بما أمكننا الوقوف عليه من الدراسات الأسلوبية الحديثة؛ بما يمكن أن يمثل - بمشيئة الله تعالى - نقطة التقاء بين القديم والحديث، أو بين التراث والمعاصرة.

ويمكننا أن نقف - من خلال - تتبع المقولات البلاغية فى التراث البلاغى، ونظرات الأسلوبيين المحدثين - على ثلاثة أنماط من التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة فى سياقاتها المختلفة:

**الأول: اختيار الصيغة من بين عدة من البدائل.**

**الثانى: العدول بالصيغة عن الأصل السياقى<sup>(١)</sup>.**

**الثالث: تكرار الصيغة.**

---

(١) تعدت العدول بأنه عدول عن الأصل السياقى وذلك لأن هذا هو ما رجحه البحث بالنسبة للقاعدة التى يتم العدول عنها.



### التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة على أساس الاختيار

ينبنى البحث فى هذا الفصل على ما سبق تأصيله فى الفصل الأول من أن الصيغ قد تعدد أو تشترك فى الدلالة على المعنى الواحد مما يمكن أن يكون مفتاحاً لفهم عملية الاختيار فى الصيغ.

وذلك أن الاختيار - كما سيتضح لنا - إنما يقع بين البدائل أو النظائر، وقد بين البحث فيما سبق أن الصيغ فى اللغة العربية تمتاز بظاهرة الاشتراك والتعدد.

ومن ثم يقع الاختيار بين تلك البدائل أو الأشباه والنظائر المتعددة والتي تشترك فيما بينها فى التعبير عن معنى واحد بطريقة متقاربة.

وحتى يزيد وعينا بطبيعة الاختيار ينبغي أن نكون وواعين بأن شمة مستويين متميزين أساسيين للكلام عرفهما البلاغيون قديماً وحديثاً.

**الأول:** وهو ما يمثل الحد الأدنى لبلاغة الكلام، وهو ما تحقق فيه لزوم الجادة، وكان موافقاً للصواب، موسوماً بالصحة اللغوية.

وبعد الوقوف عند هذا الحد - حد الإفهام - أدنى مراتب البلاغة، التى إذا ما خرج المتكلم عنها لم يصح وصف نطقه بالكلام وإنما يوصف بالتعويق.

فالبلاغة - كما يقرها الطيبى - " لها طرفان: الإعجاز وحاكمه الذوق، وما خرج عن النعيق، وبينهما مراتب لا تكاد تنحصر"<sup>(١)</sup>.

**والثانى:** هو ما اتصف بالصحة اللغوية، وزاد على ذلك بحسن التخيير للفظ توخيها للمطابقة.

وهذا المستوى هو ما يتنافس فيه المتكلمون بغية التدرج فى سلم الفصاحة والبلاغة، ودرج البيان.

هذا التمايز الواضح بين هذين المستويين للكلام هو أمر يكاد يكون مستقراً فى الدراسات البلاغية منذ بدايات التأليف البلاغى، وما كتب حوله من كتابات متناثرة.

ولعل عبارة الجاحظ الشهيرة التى يقول فيها "المعاني مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى، والبدوى والقروى، وإنما الشأن فى إقامة الوزن، وتخيير اللفظ، وسهولة

(١) الطيبى - الثبيان فى المعانى والبيان بتحقيقى - ص ١٤٥ - ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة، وضرب من التصوير"<sup>(١)</sup> أقول لعل هذه العبارة تعد أول إشارة إلى التفريق بين مستويين من المعاني:

**الأول: المعاني النمطية؛**

وهي ما عبر عنها الجاحظ بأنها مطروحة في الطريق وهذه المعاني إنما هي وليدة الصياغة النمطية التي يوقف بها عند دائرة الصواب.

**الثاني: المعاني الفنية؛**

وهي تلك المعاني التي تكون وليدة تخير اللفظ، وسهولة المخرج، وجودة السبك، وغيره مما نبه إليه الجاحظ في عبارته السابقة.

هذا التفريق الواضح بين مستويي اللغة الذي عنى ببيانه والوقوف عليه نقادنا القدامى هو ما تهتم الدراسات الأسلوبية بالوقوف عليه.

فهذا الواقع النغوى يعد بمثابة (الأصل) وهو ما تهتم تلك الدراسات برصد عملية الخروج عنه لواقع طارئ من شأنه أن يعيننا على تدبر أبعاده الدلالية والأصولية"<sup>(٢)</sup>.

وقد تعددت عبارات هؤلاء الأسلوبيين ومصطلحاتهم في التعبير عن هذين المستويين من اللغة.

فمن المصطلحات التي عبروا بها عن الأصل أو المستوى النمطي"

النمط	الأصل
الخطاب الساذج	العبارة البريئة
الكلام الفردي	الاستعمال الدارج
الوضع الحيادي	الاستعمال المألوف
الدرجة الصفراء	الاستعمال العادي
التعبير الشائع. . إلخ <sup>(٣)</sup>	الاستعمال النمطي
الانتهاك	الانزياح

من المصطلحات المعبر بها عن المستوى الفني:

(١) الجوهان/ الجاحظ/ ط الحلى ٣/٣١.

(٢) المسدى/ الأسلوبية/ ص ٩٤.

(٣) الهامش السابق ص ٩٥-٩٦.

هذه المصطلحات العديدة المتقاربة في معانيها تعبر عن معنيين أساسيين هما النمطية أو الثبات في المستوى النمطي، والعدول أو المخالفة في المستوى الفني ومن ثم فالاختيار على هذا هو نوع من العدول؛ لأنه عدول عن المستوى النمطي إلى المستوى الفني<sup>(٢)</sup>، والعلاقة بين المستويين هي أقرب شيء للعلاقة بين اللغة والكلام فإذا كانت اللغة هي النظام الثابت . . . المائل في أذهان الجماعة اللغوية، فالأسلوب المنتمى إلى الكلام هو بطبيعة الحال هو بحسب هذا الرأي عدوان مستمر على ذلك النظام وانتهاك مطرد لسنته وأعرافه<sup>(٣)</sup>.

ومن ثم ينشأ عن هذين المستويين من الاستعمال اللغوي مستويان من المعنى: المستوى الأول: هو ما يعبر عن أصل المعنى أو المعنى المجرد وهو المعنى الذي يشترك فيه الناس جميعاً عربهم وعجمهم.

أما المستوى الثاني: فهو الذي يتميز به المتكلم بقدر ما في أسلوبه من حسن التخير، ومراعاة الغرض والمقصد من الكلام.

فالمعنى المجرد أو أصل المعنى يمكن أن يعبر عنه بأكثر من صياغة أو أسلوب مختلف فيما بينها في إجماعات المعنى الذي تشترك فيه تلك الأساليب جميعاً.

أما المعنى الفني فهو الذي لا يمكن التعبير عنه بغير صيغته، لأن المفترض أن مبدعه قد اختار من الصيغ والألفاظ ما هو أنسب للتعبير عن تجربته ومعانيه الدقيقة.

وهذا مطرد واضح جدا في جانب الصيغ، فأصل المعنى يشترك في الدلالة عليه عدد من الصيغ التي تعبر عنه، أما الدلالة الفنية الدقيقة فهي التي لا يمكن التعبير عنها بغير صيغتها. ولننظر مثلا إلى قوله تعالى: «أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ» (الملك: ١٩).

نجد أن لفظة (صافات - يقبضن) يمكن أن يعبر عن الحديث فيهما وهو أصل المعنى بأكثر من طريقة، ولذا اختير التعبير باسم الفاعل في اللفظة الثانية، وكان يمكن التعبير عنها بغير اسم الفاعل كالفعل المضارع (يصفقن).

(١) السابق.

(٢) سبأني في صلحات البحث التالية التفريق بين كل من الاختيار والعدول، وبهان المراد بكن في هذا البحث.

(٣) د/ حسن طهبل - أسلوب الانفتاح - ص ٤٤.

وفى اللفظة الثانية كان يمكن التعبير عنها بغير الفعل المضارع؛ كأن يعبر عنها باسم الفاعل كسابقتهما مثلا.

ولكن الآية قد اختارت اسم الفاعل للتعبير عن الحدث فى اللفظة الأولى واختارت الفعل المضارع للتعبير عن الحدث فى اللفظة الثانية، وما ذلك إلا رعاية للمعنى الفنى الدقيق الذى أرادت الآية أن ترمز إليه وتدل عليه.

قال الزمخشري: "فإن قلت: لم قيل (ويقطنن، ولم يقل قابضات) (قلت) لأن الأصل فى الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء، والأصل فى السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجاء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهم صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح"<sup>(١)</sup>.

فكان الآية قد رمزت بذلك - فضلا عن إثبات حدثى الصف والقبض - إلى أن الصف هو غالب فعل الطير فى جو السماء وأن القبض يكون عارضا، وهذا المعنى وإن لم يكن مقصودا بالأصالة من الكلام، فإن اختيار الآية لهاتين الصيغتين قد شمل هاتين الداليتين دون أن يزيد فى لفظ الكلام بل عبر عن المعنى بهيئة اللفظ نفسه وليس بلفظ آخر، ولو خولفت تلك الصياغة، وأريد التعبير عن تلك المعانى، ل قيل (يصفغن غالبا وأحيانا قابضات) وفيه من الركاكة والتطويل ما فيه، فضلا عن أن المعنى المراد إضافته ليس مقصودا من الكلام بالأصالة؛ وإنما هو متمم لبيان القدرة وتعام الحكمة، فكان تضمينه فى هيئة الكلمة وبنيتها أولى من الإتيان بلفظ جديد يخصه.

والمقصد هنا أن نبين أن أصل المعنى يمكن الدلالة عليه بأكثر من صيغة. فأصل المعنى فى الآية لفت الأنظار إلى قدرة الله فى حفظ الطير وتسخيره فى جو السماء فى حالتى القبض والبسط، وهذا يحصل بالتعبير باسم الفاعل أو المضارع لكن الآية قد اختارت للمعنى الأول اسم الفاعل، ولثانئ صيغة المضارع للدلالة على معنى أخص وأدق من أصل المعنى.

(١) الكشاف للزمخشري ٤/١٢٤.

ومما يجدر بيانه في هذا الفصل أن نبين أن هذا الإحساس بتمايز هذين المستويين من المعنى كان شاعرا في الدرس البلاغي<sup>(١)</sup>.

وقد ظل هذا الإحساس بتمايز هذين المستويين ظاهرا في الدرس البلاغي حتى المرحلة الأخيرة التي اكتملت فيها مباحث البلاغة، وبلغت الغاية من التقنين والتنظير<sup>(٢)</sup>.

وقد تساهل عبد القاهر عن سبب تنحية المستوى النمطي عن الوصف بالبلاغة رغم اطراده على الصواب مبينا أن ما يستحق الوصف بالبلاغة هو أمر وراء الصحة اللغوية، فيقول بعد ذكر نماذج لذلك المستوى النمطي: "اعلم أن من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم. . . وذلك إذا كان معنك، معنى لا محتاج أن تصنع فيه شيئا غزير أن تعطف لفظا على مثله، كقول الجاحظ: "جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبة، وبين الصدق سببا، وحبب إليك الثبوت، وزين في عينك الإنصاف. . . إلخ فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه، دون نظمه وتأليفه، وذلك لأنه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعا، وحتى تجد إلى التخيير سبيلا، وحتى تكون قد استدركت صوابا.

فإن قلت: أليس هو كلاما قد اطرده على الصواب، وسلم من العيب؟ أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟ قيل أما الصواب كما ترى فلا. لأننا لسنا في ذكر تقويم اللسان، والتحرز من اللحن، وزيف الإعراب، فتعد بمثل هذا الصواب. وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم"<sup>(٣)</sup> فالوقوف على حد الصحة اللغوية ليس هو غاية البلاغة، وإنما هو غاية النحو. والمعجم، لأننا - أي المختصين بأمر البلاغة - لسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن والإعراب مما هو غاية النحو، وإنما نحن بصدد أمور ومعان تدرك بالفكر اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم.

والحقيقة: أن عبد القاهر يفرق في كلامه بين نوعين من الصواب في الكلام والمعاني:

(١) انظر في الدلالة على ما ذكرنا د/ عبد الحكيم راضي/ نظرية اللغة / الفصل الثاني مستويان من اللغة ص ٢٤ إلى آخر الفصل/ مكتبة الحناحي.

(٢) انظر الطيبي - البيان في المعاني والبيان - ص ١٤٥ - ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة وانظر ما سبق نقله عن الطيبي في بداية هذا البحث، وانظر بدر الدين بن مالك - المصباح في المعاني والبيان والبدیع ت د / حسنى عبد الجليل ط مكتبة الآداب ص ٣ - ٤.

(٣) دلائل الإعجاز بتحقيق شاکر ص ٩٨.



**الأول:** ما يمكن أن نصلح على تسميته بالصواب النمطى أو الصواب النحوى.

**والثانى:** هو ما حقق ذلك الصواب وزاد عليه بحسن الصياغة، وهذا الثانى هو الجدير

بأن يستدرك فى نظر عبد القاهر، وفى نظر البلاغين قاطبة كذلك.

وهذان المستويان من المعنى كلاهما واقع فى إطار ما تسمح به اللغة إما حقيقة وإما مجازاً فالمستوى الثانى البلاغى وإن كان قائماً على قدر كبير من التوسع أو التسمح والأريحية فى الاستعمال اللغوى فإنه واقع كذلك فى إطار ما تسمح به اللغة بحيث لا يخرج إلى نوع ثالث من الاستعمال يعد مفوضاً فى العرف اللغوى بين أبناء اللغة الواحدة، وذلك لأن ما يقع فى المستوى البلاغى من العدول أو الخروج أو الانحراف غالباً ما يكون عدولاً مقنناً مضبوطاً بقواعد لغوية تقنن هذا العدول، أو يكون هذا الابتكار والتوسع فى الاستخدام له ما يسوغه ويرره بحيث لا يعدو كونه ضرورة لغوية مسموح بها بقيود عليها.

بالتالى تكون أمام ثلاثة مستويات من الاستعمال اللغوى ينتج عنها ثلاثة مستويات من

**المعنى:**

**الأول:** المستوى النمطى النحوى.

**الثانى:** المستوى الفنى البلاغى.

**الثالث:** المستوى المفروض (الخطأ).

ولعل هذا الذى استوحيناه من كلام عبد القاهر هو ما قصد إليه (تودروف) العالم اللغوى الشهير حيث يرى أن الاستعمال بكرس اللغة فى ثلاثة أضرب من الممارسات المستوى النحوى - والمستوى اللانحوى - والمستوى المفروض، ويرى أن المستوى الثانى يمثل أريحية اللغة فيما يسع الإنسان أن يتصرف فيه.

وإذا كان الصواب النمطى: هو ما يوقف فيه عند تحرى قواعد اللغة، وتقوم اللسان، فإن هذا المستوى من المعنى يظهر فى جانب الصيغ - موضوع بحثنا - فى استعمالها على الجادة التى جرت عليها العرب فى لغتها، وذلك دون تحمير لصيغة دون أخرى، أو عدول عن صيغة لأخرى أكثر موافقة، وأقوى مطابقة، مما تتميز به الأساليب، وتظهر فيه براعة المتكلمين، فى صورة عديدة من الأساليب، ومراتب من البراعة لا تكاد تنحصر.

وأما الصواب الفنى: فهو ما يظهر فيه ذلك التفاوت والاختلاف فى الأساليب، ولعمرة الله إنه لقصب السبق، وغاية المضمار، وذلك لأن المعانى البلاغية أو الفنية فى تصور

البلاغيين هي مجموعة الإشعاعات والإيماءات الدلالية الخاصة المتجسدة فى صياغاتها الفنية بأشكالها التعبيرية الخاصة"<sup>(١)</sup> ومن ثم فإن استخدام الصيغ وتوظيفها إنما يتم على هذين المستويين:

١- مستوى الصحة اللغوية.

٢- مستوى الصحة الفنية.

وإذا كان المستوى الأول هو الحد الأدنى للبلاغة الذى يخرج عنه الكلام إلى حد التعيق، لذا فإنه يخرج من دائرة بحثنا إلى دائرة البحث النحوى ودارس اللغة بأصواتها ومعجمها . وصرفها ونحوها ومن ثم فالذى يعنينا فى بحثنا هذا هو التوظيف البلاغى لتلك الصيغ وهو ما يعمد فيه إلى ضرب من التخير، أو عدول عن الجادة، أو تكرار لصيغة بعينها، أو نحو ذلك مما سنبين قريبا من أسس التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة. ومما يتعلق بهذا المقام أن نبين أن هذا التمايز الواضح بين هذين المستويين السابقين، إنما هو مبنى فى الحقيقة على ما بين النحو - داخله فيه علم الصرف - والبلاغة من تمايز واضح فى الدور والمقصد، أو يمكن أن نقول إن العلاقة بين المستويين كالعلاقة بين غاية هذين العلمين فقد حدد علماء اللغة القدامى وظيفة النحو بما لا يزيد عن توضيح المعانى المشككة، وبدل به على الفاعل، والمفعول، والمضاف إليه، وسائر ذلك من المعانى التى تتور الأسماء<sup>(٢)</sup>.

ويعقد ابن فارس فى كتابه بابا يطلق عليه (باب الخطاب الذى يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع). ثم يقول "ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب، والآخر: التصريف. فأما الإعراب فيه تميز المعانى. ويوقف على أغراض المتكلمين. . . وأما التصريف فإنه من فاته فاته المعظم"<sup>(٣)</sup>.

"تلك هى الوظيفة غير الفنية للغة - سواء سميت بياضا أو إفهاما وتفهيمًا أو غير ذلك. فالمهم أنها تقوم على تيسير التعامل بين الناس، وتعمل على ربط المجموعة البشرية برباط من الفهم المشترك استنادا إلى حقيقة أن الإنسان هو الكائن الاجتماعى المحتاج إلى هذه الوسيلة، والقادر على استخدامها"<sup>(٤)</sup> أما وظيفة البلاغة وغايتها فهى أمر وراء ذلك كما سبق بيانه،

(١) د/ حسن طبل - المعنى فى البلاغة العربية - دكتوراة ص ١٥٠.

(٢) انظر الإيضاح فى عمل النحو للزجاجى ص ٧٧.

(٣) الصاحبى: ١٦٦، ١٦٦، وانظر الزهرى / ٣٢٩ - ٣٣٠ حيث نقل كلام ابن فارس.

(٤) د/ عبد الحكيم راضى/ نظرية اللغة ص ٦٣/ مكتبة الخانجى - القاهرة.

فالكلام البليغ ليس هو الذى يقف عند حد الصحة اللغوية بغاية الإفهام وبيان أصل المعنى، فهذا الكلام لا يجب به فضيلة لدى البلاغيين.

فوظيفة البلاغة إذاً:

التعبير عن المعانى الدقيقة التى يبلغ بها صاحبها كنه ما فى نفسه ويبلغ بها مراده إلى سامعه<sup>(١)</sup>.

وذلك بطريقة فنية تعمق حسن الاختيار، من إيجاز لفظ وحسن نسق، وتأنق فى الصياغة، وروعة فى التصوير إلى غير ذلك مما يكسب الكلام حسنا ورونقا.

وفى رأى أن المستوى البلاغى أو الفنى للمعنى هو الذى يراعى تلك الوظائف الأساسية للبلاغة معا عند الصياغة.

وقد كشف عبد القاهر عن هاتين الوظائفيتين الأساسيتين للبلاغة فى فصل أورده فى دلائل الإعجاز فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة، والبيان، والبراعة، وكل ما شاكل ذلك حيث يقول:

"ومن المعلوم أن لا معنى هذه العبارات.. غير وصف الكلام بحسن الدلالة وشامها فيما له كانت دلالة، ثم ترجمها فى صورة هى أبهى وأزین وآتق وأعجب وأحق بأن تستولى على هوى النفوس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب.."<sup>(٢)</sup>.

هذه الوظيفة الأساسية للبلاغة هى إذا همّ سمات المستوى الفنى.

وهذا أمر لم يزل جهاذة الأدب ونقاد الشعر يمتدحون به الشاعر، ويرزونه به على أقرانه، وذلك يزيد به على غيره من معنى دقيق، وفكرة لطيفة، ومرمى بعيد، وإن كان قد اشترك مع غيره فى أصل المعنى المراد، ولكنهم حكموا له بالتفرد فى المعنى البذى أتى به، لأنه وإن اشترك مع غيره فى أصله، إلا أنه قد انفرد بدقائقه التى لا يوصل إليها إلا بشاقب

---

(١) وهذا هو ما يفيد تعريف البلاغة لدى بعض البلاغيين، فقد عرفها الرازى على سبيل المثال بأنها "بلوغ الرجل بعبارة كفه ما فى قلبه" نهاية الإيجاز ص ٨٩، وقد عرفها الطيبى كذلك بهذا التعريف ضمن ما ذكره من تعريفات للبلاغة فى كتابه لطائف البيان ص ٦٦، مخطوط بدار الكتب المصرية/٢٦ بلاغة م، وقد نشرته المكتبة التجارية بمكة المكرمة بتحقيقى.

(٢) عبد القاهر/ دلائل الإعجاز ص ٤٣، وانظر أيضا تعريف ابن وهب للبلاغة فى البرهان فى وجوه البيان ص ١٦٣، وسبأى نقله قريبا فى الباب المثال فى الحديث عن الاختيار.

الفكر، مع تعبيره عن تلك المعاني والدقائق في مثل لفظ الأول أو أوجز منه، وبطريقة في الصياغة أتق منه وأعجب<sup>(١)</sup>.

ولك أن تتأمل كثرة ما أفاده البلاغيون من تحليل الصيغ في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْبَلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لرى ما فى التعبير بهذه الصيغ من الفوائد والدقائق التى ما كيان يمكن التوصل إليها إلا بتلك الصياغة. ومن ذلك ما علق به عبد القاهر على قوله تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يُرْزِقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣).

فلو قيل "هل من خالق غير الله رازق لكم" لكان المعنى غير ما أريد<sup>(٣)</sup> وذلك أن المقصود فى الآية تقرير العباد يرزق الله تعالى لهم، ويمكن أداء ذلك المعنى الأصلي باسم الفاعل "رازق" أو بالمضارع "يرزق" أو غير ذلك، إلا أن فى التعبير بالمضارع (يرزق) من الدلالة على تجدد الرزق وحصوله للعباد كل وقت، ووجدانهم إياه بعد حاجة إليه وافتقار - فيه من دقة المعنى ولطفه مالا يفيدته التعبير باسم الفاعل. و"من البين فى ذلك قول الأعرشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة : إلى ضوء نار فى فجاج تحرق

تشب لمقرورين بصطلياننها وبسات على انثار الندى والمهلوق

معلوم أنه لو قيل "إلى ضوء نار متحرقة" لنبأ عنه الطبع وأنكرته النفس، ثم لا يكون ذاك النبو وذاك الإنكار من أجل القافية وأنها تفسد به، بل من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال. وكذلك قوله<sup>(٤)</sup>

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عرفهم يتوسم.

وذلك لأن المعنى فى بيت الأعرشى على أن هناك موقدا يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالاً فحال، وإذا قيل "متحرقة" كان المعنى أن هناك ناراً قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة، وجرى مجرى أن يقال "إلى ضوء نار عظيمة" فى أنه لا يفيد فعلاً يفعل.

(١) انظر عبد القاهر/ دلائل الإعجاز/ ص ٤٨٩.

(٢) هود/ ٤٤، وانظر الكشف/ ٢/ ٤٠٥، ودلائل الإعجاز/ ص ٤٦ والمفتاح للسكاكى ص ١٧٧-١٧٨.

(٣) (٩) دلائل الإعجاز ص ١٧٧.

(٤) دلائل الإعجاز ص ١٧٦.

وكذلك الحال في قوله "بعثوا إلى عرفهم بتوسم" وذلك لأن المعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالا فحالا، وتصفح منه الوجوه واحدا بعد واحد. ولو قيل (بعثوا إلى عرفهم متوسما) لم يفد ذلك حتى الإفادة<sup>(١)</sup> فالفعالان (تحرق، ويتوسم) في الآيات السابقة فيهما من الدلالة على تجدد الحدث مما يناسب الحال المعبر عنه، مالا يفيد غير صيغتهما المستخدمة في هذا الموضوع، ولذلك وقع الاختيار عليهما.

والأمثلة على ذلك كثيرة ليس هذا محل استقصائها، وإنما قصدت فقط إلى التأكيد على أمر هام، وهو أنه ليس غاية البلاغي هي مجرد التحسين اللفظي؛ بل ينبغي أن تكون الغاية بالمقام الأول هي تكثير الفائدة، وجمع دقائق المعاني المراد بيانها، والحفاظ على شعبيها أن يند منها شيء عند التعبير والإبانة فإنما مدار الفصاحة والبلاغة على توفية المعاني حقها وبلوغ كنه ما في النفس من المعاني مع القدرة على إيصالها للمخاطبين.

ومن ثم يأتي دور الاختيار للصيغ في تحصيل تلك الغاية، وسنحاول توضيح ذلك بصورة أكبر في الجانب التطبيقي من البحث. ومما يتصل بتلك النقطة أن نبه إلى أن التأني في اختيار الصيغ والكلمات في إطار ذلك المستوى الفني يؤدي حتما إلى ما يسمى بـ"التفرد الأسلوبى" للمنشى أو المبدع وذلك أن "لكل فرد معجمه اللغوى المتميز، فهو يميل إلى استعمال بعض الكلمات دون بعضها الآخر، وهناك كلمات لا يستعملها على الإطلاق . . . ولكل فرد طريقته الخاصة في بناء الجمل والربط بينها، فهو يستعمل بعض الصيغ دون بعضها الآخر، أو يستعمل أدوات معينة دون أخرى"<sup>(٢)</sup>.

وهذا التميز أو التفرد الأسلوبى - الذى يتميز به المستوى الفنى من الكلام - هو ما عبر عنه البلاغيون القدامى بمحسن التخيير للفظ، حتى إن بعضهم قد قصر البلاغة على حسن التخيير.

وهذا ما انتهى إليه كلام عبد القاهر فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك، حيث ينتهى كلامه فى هذا المقام إلى أنه (لا جهة لاستعمال

(١) دلائل الإعجاز ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) د/ شكرى عباد: مدخل إلى علم الأسلوب/ دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٤هـ - ١٩٨٢، ط ص ٢٨-٢٩، وانظر د/ البدرى زهران: أسلوب طه حسين فى ضوء الدرس اللغوى الحديث. دار المعارف ١٩٧٧ ص

هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو  
أخص به...<sup>(١)</sup>.

بل إنه ينفي الفضيلة عن الكلام "حتى ترى في الأمر مصنعا وحتى تجدد إلى التخيير  
سبيلا"<sup>(٢)</sup>.

ويخص عبد القاهر الصيغ من بين معاني النحو بجانب كبير من اهتمامه بل إنه ينسب  
نظريته في النظم على حسن التخيير للصيغ ومعاني النحو فيقول: "لا نعلم شيئا يفتحه الناظم  
بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبير إلى الوجوه التي تراها في  
قولك (زيد منطلق)، (وزيد ينطلق) و(ينطلق زيد) و(منطلق زيد) ، (وزيد المنطلق)  
و(المنطلق زيد) و(زيد هو المنطلق) وفي (الشرط والجزاء) إلى الوجوه التي تراها في قولك  
(إن تخرج أخسرج) و(إن خرجت خرجت) و(إن تخرج فأنا خارج)، وأنا خارج إن  
خرجت) وأنا إن خرجت (خارج) وفي (الحال) إلى الوجوه التي تراها في قولك (جاءني  
زيد مسرعا) و(جاءني مسرع) و(جاءني وهو مسرع أو هو مسرع) و(جاءني وقد أسرع)  
فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويحییء به حيث ينسب له"<sup>(٣)</sup>. ثم يقول "... هذا هو السبيل،  
فلمست بواجده شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى  
(النظم)، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه،  
ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما  
ينسب له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا  
وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو  
وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"<sup>(٤)</sup>.

وتعريف البلاغة بأنها حسن التخيير للفظ قد قال به بلاغيون آخرون غير عبد القاهر  
كذلك حيث عرّفوها بأنها "تخيير اللفظ في حسن الإفهام"<sup>(٥)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز/ بتحقيق محمود شاکر ص ٤٣.

(٢) السابق ص ٩٨.

(٣) دلائل الإعجاز بتحقيق محمود شاکر ص ٨١-٨٢.

(٤) السابق ص ٨٢ - ٨٣.

(٥) انظر الهبان والتبيين ٦٣/١.

ويعرف ابن وهب البلاغة بأنها "القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام وفصاحة اللسان".

ثم يقول:

"وإنما أضيف إلى الإحاطة بالمعنى (اختيار الكلام) لأن العامى قد يحيط قوله بمعناه الذى يريد، إلا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله فلا يكون موصوفاً بالبلاغة"<sup>(١)</sup> فابن وهب يجعل سمة الاختيار هى السمة المفرقة بين الكلام البليغ وغيره.

ومن ثم نبيين من كلام عبد القاهر وغيره من البلاغين والنقاد أن المستوى الفنى أو البلاغى من المعانى التى تدل عليها الصيغ أساسه الأول هو حسن التخيير للصبغة وموافقتها موضعها من الكلام.

كما يتبين لنا من خلال كلام عبد القاهر السابق أن الأساس الذى تتم عملية الاختيار بناء عليه، هو مراعاة الفروق بين المعانى الوظيفية لتلك الصيغ التى تشترك فيما بينها فى الدلالة على معنى ما، وهذا هو ما يقصده عبد القاهر بالنظر فى وجوه كل باب وفروقه؛ فالوجوه هى البدائل التى يتم الاختيار بينها فى كل باب من أبواب المعانى بحسب الفروق الدلالية التى تمتاز بها كل صيغة عن الأخرى.

ويتقدم بنا عبد القاهر خطوة أخرى حيث يفاضل بين المعانى على أساس ما يقع من تخيير لألفاظها، فيقول: "اعلم أنه إذا كان بينا فى الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذى هو عليه حتى لا يشكل - وحتى لا يحتاج فى العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب - إلى فكر وروية؛ فلا مزية. وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتتمل فى ظاهر الحال غير الوجه الذى جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذى جاء عليه حسناً وقبولاً تعدهما إذ أنت تركته إلى الثانى"<sup>(٢)</sup>.

فبعد القاهر يفرق هنا بين نوعين من المعانى:

الأول: المعنى الإجبارى أو العادى.

الثانى: المعنى الاختيارى أو الفنى.

(١) ابن وهب الكتاب - البرهان فى وجوه البهان - ١٦٣.

(٢) السابق ٢٨٦.

فالمعنى الأول: هو ما يجيرك على لفظه، فلا ترى فى الأمر مصنعا، ولا تجمد للتخير  
سيبلا، على حد عبارة عبد القاهر<sup>(١)</sup>:

وذلك أن من المعانى ما هو سطحى ساذج، ومكشوف واضح، له صيغة واحدة لا  
تشارك مع غيرها فى الدلالة عليه، وذلك كما لو أردت أن تعبر عن حضور زيد فى الماضى  
فتقول (حضر).

فمثل هذا ونحوه من المعانى الوظيفية قد لا يستطيع المبدع التعبير عنه إلا بصيغة واحدة  
لا يحتمل المعنى غيرها، أما المعنى الفنى أو البلاغى، فمداره على حسن الاختيار للصيغ  
والألفاظ، فالمعنى الفنية معان دقيقة اختيرت صيغها وألفاظها من بين بدائل عديدة يمكن  
أن تعبر عن أصل المعنى المراد أو عن المعنى فى أبهى صورة، وأحلى حلة، وما يكون أكثر  
مواءمة وموافقة للمعنى الفنى الدقيق الذى يريد أن يعبر عنه أو يبالغ فيه أو يعمقه أو يعرضه  
فى صورة طريقة لم يسبق إليها.

والأمثلة على ذلك كثيرة باتى ذكرها، والمقصود أن نبين أن الأساس الأول الذى يبنى  
عليه المعنى الفنى والبلاغى وتوظف به الصيغ توظيفا بلاغيا إنما هو الاختيار بين البدائل  
وبين الأشباه والنظائر<sup>(٢)</sup>.

وذلك نتيجة لما سبق أن رجحه البحث فى الفصل الخاص بالحديث عن تعدد المعنى من  
أن التطابق التام يكاد يكون منعدما أو نادرا بين الصيغ؛ فالصيغ التى تبدو وكأنها مترادفة -  
فى جالة الأفراد - لا بد أن يظهر بينها فى الغالب بعض الفروق الدلالية الدقيقة التى تميز  
بين تلك الصيغ المتشابهة أو المتقاربة عند التركيب بحيث لا تكاد تتشابه تلك الصيغ إلا فى  
حالة الأفراد فقط؛ بينما يظهر تميزها واستقلالها الدلالى واضحا فى حالة التركيب؛ ومن ثم  
باتى دور المبدع فى ضرورة التأنى والوقوف للموازنة بين تلك الصيغ التى تبدو مترادفة أو  
متقاربة لاختيار الصيغة الأكثر مناسبة لسياقها.

(١) دلائل الإعجاز ص ٩٨.

(٢) هذا النوع من الاختيار يعرف فى الدراسات الأسلوبية الحديثة بالاختيار الاستبدالى انظر د/ علم الأسلوب ص



ومن ثم فهو يراعى فى اختياره تلك الأسس التى سبق الإشارة إليها فى الباب الأول من المناسبة بين المبنى والمعنى من حيث الزيادة والنقصان، ومن حيث اختلاف السياقات والتراكيب.

وذلك أن غاية المشتغل بالبيان أن يفصح عن دقيق المعنى بدقيق اللفظ المطابق له الفارق له عن معنى سوى ما أرادته وقصد إليه، فعامة المتكلمين باللغة من غير البيانيين لا يكادون يفرقون فى كلامهم بين دلالة الاسم ودلالة الفعل، ولذا يهتم عبد القاهر بتأكيد الفارق بينهما فيقول:

"وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضى تجرده شيئاً بعد شيء.

وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضى تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء"<sup>(١)</sup>.  
ويوضح ذلك عبد القاهر بضرب أمثلة له فيقول: فإذا قلت: (زيد منطلق)، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى فى قولك: (زيد طويل) و(عمرو قصير): فكما لا تقصد هنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجههما فقط، وتقتضى بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض فى قولك: (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد. وأما الفعل، فإنه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت: (زيد ها هو ذا ينطلق) فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً، وجعلته يزاوله ويترجمه"<sup>(٢)</sup>.

إذا، كل من الاسم والفعل هنا يشتركان فى الدلالة على الانطلاق، ولكن المبدع الواعى بدلالة الألفاظ التى يقتضيتها النظام اللغوى هو الذى يختار الصيغة المناسبة للمعنى الدقيق الذى يريده، وهذا المعنى الدقيق لا يعبر إلا بصيغة واحدة، وهذا بناء على القول بمنع الترادف الصيغى.

ويستشهد عبد القاهر لما قرره بشاهدين، أحدهما يُلطَّف فيه إدراك الفرق بين الاسم والفعل، والثانى الفرق فيه واضح بحيث لا يخفى. فاستشهد لما يُلطف بقول الشاعر:

(١) دلالات الإعجاز ص ١٧٤.

(٢) دلالات الإعجاز ص ١٧٤.

لا يَأْلَفُ الدرهمُ المَضْرُوبُ خِرْقَتَنَا لَكِن يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ

ثم يعلق عليه بقوله:

"هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل: "لكن يمر عليها وهو ينطلق" لم يحسن". ثم يمثل لما لا يخفى بقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف: ١٨) ثم يعلق عليه قائلا: "فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: ﴿كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضى مزاوله وتجدد الصفة فى الوقت، ويقتضى الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاوله وترجية فعل، ومعنى يحدث شيئا فشيئا، ولا فرق بين "وكلبهم باسط" وبين أن يقول: "وكلبهم واحد" مثلا فى إنك لا تثبت مزاوله، ولا تجعل الكلب بفعل شيئا، بل تثبت بصفة هو عليها. فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب"<sup>(١)</sup>.

فتأمل تلك التحليلات للأساليب يكشف بوضوح عن أن الصيغة لا تكتسب المزية فى نظر البلاغيين إلا إذا كانت هناك صيغة أخرى صالحة لأداء وظيفتها العامة من جهة، وقاصرة عن أداء ما تؤدبه فى سياقها الخاص من جهة أخرى. ومن ثم كانت المقارنة بين الصيغتين الأصلية أو المنتقاة والبديلة أو المفترضة هى المنهج الذى سار عليه البلاغيون فى تحليل مزية الأولى<sup>(٢)</sup>. فبعد القاهر يقف أمام الصيغة التى أتى بها المبدع فى كلامه ويقارنها بما يشترك معها فى أداء أصل المعنى أو إن شئت قلت: إنه يبحث عن البدائل أو الإمكانيات التى يتيحها نظام اللغة فى مثل هذا المقام والتى يصح بها كلام المتكلم إذا ما أراد مجرد الصحة اللغوية المعبرة عن أصول المعانى دون دقيقتها وخاصيتها.

فقول الشاعر: (لكن يمر عليها وهو منطلق) يصح فيه - من جهة الوضع اللغوى المعبر عن إثبات الانطلاق فى هذا البيت -، أن نعتبر عنه مثلا بصيغة الفعل المصارع (ينطلق)؛ هذا إذا ما أردنا مجرد الصحة اللغوية، أو الدلالة النمطية؛ أما من جهة الدلالة الفنية فلا شك أن صيغة اسم الفاعل التى اختارها الشاعر هى أكثر صوابا من الناحية الفنية. ولذا ينظر عبد القاهر فى اللفظ المختار ويقارن بينه وبين بديله أو شبيهه فى هذا الموضع بناء على المعانى الوظيفية المستقرة لتلك الصيغ.

(١) دلال الإعجاز ص ١٧٥.

(٢) د/ حسن طبل/ المعنى فى البلاغة العربية ص ٢٣٠.

ولما كان المراد في البيت هو المبالغة في الإنفاق حتى لا يكون للدرهم قرار بصرة المشى عليه كذلك، كان الأنسب أن يعبر بالاسم (منطلق) الذي يفيد ثبوت المعنى من غير أن يقتضى تجدده شيئا بعد شيء؛ لأنه لو اقتضى ذلك بدلالة الفعل لكان فيه دليل على أن القرار غير دائم ولكنه ينقطع ويتجدد مما ينافي تمام المبالغة في نفي القرار عن الدرهم بصرة الممدوح، وهذه الطريقة هي أكثر مبالغة في تأدية المعنى وأوفى بحق البلاغة من الطريق الأخرى، فكان الحكم لها، والقضاء برجحانها على غيرها.

وعلى نحو ذلك مضى عبد القاهر في المقارنة بين التعبير بالاسم والتعبير بالفعل في قوله

تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف: ١٨)

ويرى عبد القاهر أن الفرق هنا بين التعبير بالاسم والفعل واضح بين؛ فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وإن قولنا: "كلبهم يسط ذراعيه" لا يؤدي الغرض.

ويعمل ذلك بما للاسم والفعل من وظيفة محددة، لدى العارفين باللغة.

ولقد حظى التفريق بين دلالتى الاسم والفعل باهتمام كثير من البلاغيين<sup>(١)</sup>.

كما يدخل في الاختيار كذلك وقوف البلاغيين على المناسبة بين المبنى والمعنى من حيث الزيادة والنقصان، وقد سبق أن بينت ذلك بالتفضيل في المبحث الخاص بالعلاقة بين الصيغة والمعنى.

وثة إشارات تأتي بعد ذلك متناثرة من نحو وقوف السكاكي وغيره من البلاغيين حول الاستغراق في المفرد والجمع ليقدر أن استغراق المفرد يكون أشمل من استغراق الجمع، ثم يقول "ومن هذا يعرف لطف ما يحكيه تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِيَّيْ وَهَنْ الْعَظْمُ يَمِينِي﴾ (مريم: ٤). دون وهنت العظام، حيث توصل باختيار اللفظ إلى الإطناب في معناه".

(١) وذلك عند حديثهم عن الحائلة التي تقتضى كون المسند اسما أو فعلا. وسيأتي التعرض لبعض ما ذكره من الأمثلة عند تطبيق أسس التوظيف البلاغى للصيغة على الأسماء والأفعال والصفات. انظر على سبيل المثال: المفتاح، المطبعة الأدبية ص ١١٢ الإيضاح بتعليق د/ خفاجي ص ١٧٧، ٢٤١-٢٤٥، الإشارات والتشبيهات ص ٦٥، شروط التخصيص ص ١٩٠-٢٠٠-٢٠٥، شرح عقود الجمان ص ١٠٦/١٠٦، مفتاح العلوم ص ١٢٢-١٢٣ مصطفى الخلبى- ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م، وانظر التبيان للطي ص ١٦٠/١٦٠.

وهذا - إن دل على شيء - فإنما يدل على مدى وعى هؤلاء البلاغيين بما بين الصيغ من فروق دلالية، حيث استطاعوا أن يفيدوا من تلك الفروق فى تحليلاتهم البلاغية لتلك الصيغ القائمة على اعتبار الاختيار بين تلك الصيغ - بما تحمله من تلك الفروق الدلالية - هو الأساس الأول للتوظيف الفنى أو البلاغى لصيغة الكلمة.

وعلى أساس الوعى بهذا التمايز الدلالى بين البدائل المتشابهة فى جانب الصيغ تتلاقى الدراسات الأسلوبية الحديثة مع الدراسات البلاغية القديمة فى ترانسا البلاغى فى هذه النقطة.

وتبين ذلك إذا عرفنا أن الأسلوب له محاور ثلاثة هى المرسل والمستقبل والرسالة<sup>(١)</sup>.  
نقطة طائفة نظروا إلى الأسلوب من جهة المرسل باعتبار ما بينهما من تلاحم تام، حيث تم "إدماج المؤلف صاحب الاختيار فى تعريف الأسلوب على أنه اختيار"<sup>(٢)</sup>.  
حتى إن أصحاب هذا الاتجاه قد طابقوا بين الأسلوب وصاحبه فقالوا: "الأسلوب هو الرجل"<sup>(٣)</sup>.

فبالأسلوب على ذلك ما هو إلا سمات تعبيرية مميزة لصاحبه، فالمبدع يختار ويؤثر من الوسائل التعبيرية التى يختارها من بين أنماط اللغة العديدة ما يصير سمة مميزة له، وعلمنا دالا عليه، وبصمة خاصة أو صوتا ينفرد به لا يخلط بغيره من الأصوات؛ ومن ثم عرفوا الأسلوب بأنه:

"اختيار واع يسلطه المؤلف على ما توفره اللغة من سعة وطاقات"<sup>(٤)</sup>.

أو هو "طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى بقصد الإيضاح والتأثير..."<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر د/ عبد السلام المسدى - الأسلوبية والأسلوب - الدار العربية للكتاب - تونس ١٩٧٧ ص ٥٧.

(٢) انظر/ برندينو/ علم اللغة والدراسات الأدبية/ ترجمة د/ محمود جاد الرب ص ٨١.

(٣) انظر د/ أحمد درويش - النص البلاغى فى التراث العربى والأدبى - ط مكتبة النصر - داخل جامعة القاهرة، مقال فى الأسلوب - جورج بوفون ص ١٨٩-١٩٤، وأنظر مقالة بعنوان الأسلوب والأسلوبية، فى فصول ١/٨٤، ص ٦٠.

(٤) عبد السلام المسدى - الأسلوبية والأسلوب - ص ٧٠-٧١ - الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس ١٩٧٧.

(٥) أحمد الشاب - الأسلوب ص ٣٦ - مكتبة النهضة المصرية - ٩ ش عدل بالقاهرة ط٣.

وعلى أساس تلك النظرة إلى الأسلوب تشابهت تعريفات الأسلوبيين الذين نظروا إليه من جهة المبدع، (فجيرو) تلميذ (هالي) يعرف الأسلوب بأنه "هو مظهر القول الذى ينجم عن اختيار وسائل التعبير. هذه الوسائل التى تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب" ونادى كذلك بتصور الأسلوب على أنه اختيار ماروزو، روسل، هل، ديفوتو، أنطوانى، كريسوت وغيرهم<sup>(١)</sup>.

والحق "أن الأصول النظرية لهذا الاتجاه الذى نغن بصدده تنجذر فى تفرقة (دوسوسير) العالم اللغوى الشهير بين اللغة والكلام"<sup>(٢)</sup>.

فاللغة عند سوسير هى مجموعة النظم والرموز المجردة المختزنة فى أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، أما الكلام فهو التحقق الفعلى لتلك النظم والرموز فى استعمال (منطوق أو مكتوب) بعينه<sup>(٣)</sup>.

فاللغة هى المعين الذى يفترق الجميع منه، أو قل هى الأصباغ التى يأخذ منها المبدعون جميعا ولكنهم يشكلونها فى صور شتى بحسب ما يتميز به كل منهم من سمات الفن وخصائصه، ولا شك أن للاختيار المناسب للصيغ ووضعها موضعها من الصورة أثرا لا ينكر فى تشكيل تلك الصورة وتميز مبدع عن آخر، مع اتحاد مادتهما؛ ومن ثم يتلاقى الدارسون الذين نظروا إلى الأسلوب من هذه الزاوية فى تعريف الأسلوب بأنه اختيار.

ويوضح /الشايب حقيقة الاختيار ببيان" أن الأسلوب الأدبى ينحل إلى عناصر ثلاث:

١- الأفكار

٢- والصور

٣- والعبارات

---

(١) د/ صلاح فضل/ علم الأسلوب / ١١٠ / مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، ونادى كذلك بتصور الأسلوب على أنه اختيار ماروزو، روسل، هل، ديفوتو، أنطوانى، كريسوت وغيرهم. انظر الأسلوبية والأسلوب ص ٩٨، برند شيلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصى، ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ محمد جاد الرب/ كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض ط ١ ص ١٩٨٧ نشر الدار الفنية بالقاهرة ص ٨١.

(٢) د/ حسن طيل أسلوب الانتفاة فى البلاغة القرآنية ص ١٩٩٠ ص ٣٥، وانظر علم الأسلوب ص ١٠٣، وقد سبق أن نقلنا كلام دوسوسير فى التفرقة بين اللغة والكلام عند حديثنا عن دلالة النصيفة بين الأفراد والتركيب.

(٣) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٢-٣١٧، د/ كمال بشر دور الكلم فى اللغة ص ١٢، وانظر عالم المعرفة. أحمد الشايب - الأسلوب ص ٣٦ - مكتبة النهضة المصرية - ٩ ش عدلى بالقاهرة ط ٣.

وكذلك يكون (الاختيار) الذى يتناول الأفكار والصور والعبارات عملاً أسلوبياً، هو طريقة الصياغة التى تتصرف فى تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام"<sup>(١)</sup> ويوضح ذلك د/ شكرى عباد فيقول: "فى معظم مواقف الحياة العادية قد يتفق للمرء أن يتوقف لاختيار كلماته. والتفسير الأعم لذلك هو أن معرفة المتكلم باللغة ( أو أدائه اللغوى على حسب اصطلاح تشومسكى) تشتمل على عدد من الكلمات والجمل التى تصلح جميعها، بصورة مقاربة، لأداء غرضه. فهو يفتش عن أقربها لذلك الغرض، ومعنى ذلك أنه يحدد غرضه فى نفس الوقت الذى يحدد فيه ألفاظه. أما فى الكتابة الفنية فهناك عامل آخر يتدخل فى الاختيار ويكاد يسيطر على سائر العوامل، وهو الرغبة فى إيصال انطباع وجدانى إلى القارئ أو السامع. والمترادفات هى المحك الأكبر للاختيار"<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم يمكن تطبيق ذلك الاختيار على مستوى الصيغ فنقول هو أن تشترك صيغتان أو أكثر فى الدلالة على معنى من المعانى الوظيفية، يصح التعبير بإحداها عن هذا المعنى لغة، ويتم ترجيح إحداها وفق الدلالة الفنية المقصودة من الكلام القائمة على المعنى الوظيفى لتلك الصيغة.

ويمكننا أن نفسر عملية الاختيار الأسلوبى على أساس ثنائية سوسير فى التفرقة بين اللغة والكلام، وذلك باعتبار أن البدائل التى يتم الاختيار بينها هى ما يسمع به نظام اللغة، أما على مستوى الكلام فإن الكلام هو الذى يرجح أو يحتم اختيار أحد هذه البدائل.

وفى رأى أن هذا التفسير للاختيار لا يكاد يبعد كثيراً كذلك عن تفسيره على أساس ثنائية النحو التولىدى عند تشومسكى"<sup>(٣)</sup>.

فى أول صورة لهذا المنهج قدمها "تشومسكى" عام ١٩٥٧ يوضح أن العنصر المكون للبنية التركيبية يخلق مجموعة من سلاسل الأطراف التى تخضع فى عنصرها التحولى لتوعين مختلفين من التحولات: أحدهما إجبارى والآخر اختياري، وهما ينتجان مع الجمل اللغوية. ويمكن للتحولات الاختيارية أن تدخل عناصر دلالية جديدة مما يودى إلى تعديل الدلالة.

(١) د/ شكرى عباد/ اللغة والإبداع/ مبادئ علم الأسلوب العربى انترناشيونال برس ط ١٩٨٨ ص ٦٨.

(٢) انظر علم الأسلوب ص ١٠٠، ١٠١، ١١٨.

أما الجمل التي لم تمارس سوى التحولات الاضطرابية فحسب ولم تتجاوز ذلك إلى الاختيارية فهي التي يطلق عليها "الجمل النووية" وتتميز بشكلها البسيط الشديد الفعالية وإمكانية الانطلاق منها لبناء مجموعة من الجمل المختلفة<sup>(١)</sup>.

وبوسعنا أن نترجم ذلك إلى مجال الصيغ، وحينئذ تكون جملة (كرم زيد) التي سبق أن عبرنا عنها بأصل المعنى في المثال السابق هي المعادل الحقيقي لما سماه تشومسكي (بالجملة النووية).

وعلى الجملة فإن تعريف الأسلوب باعتباره اختيارا بين مجموعة، البدائل والإمكانات قد عاد إلى الظهور بين الباحثين في الآونة الأخيرة على أساس أن الاختيار بين التحويلات البديلة ينتج بعدا إضافيا للدلالة يمكن تسميته بالمدلول السطحي فالأسلوب إنما هو نتيجة الاختيار اللغوي والمدلول السطحي هو نتيجة الأسلوب.

وذلك أن كثيرا من الأسلوبيين الذين تصوروا الأسلوب بناء على ثنائية سوسير على أنه اختيار قد وجدوا "ما يدعم هذا التصور لديهم في نظرية "النحو التحويلي أو التوليدى" لا سيما في تمييز تشومسكي (مؤسس هذه النظرية) بين مستويين في الجملة هما: "البنية العميقة والبنية السطحية" فالمستوى الأول هو النمط المثالي التجريدى (المقدر فى الذهن) للجملة الكاملة الصحيحة نحويا ودلاليا، أما المستوى الثانى فهو الصورة اللغوية المحسوسة (نطقا أو كتابة) لتلك الجملة، وتلك البنية السطحية هي فرع عن البنية العميقة وهي في تفرعها عنها قد تتخذ أشكالا أو أوضاعا عديدة عن طريق إدخال بعض التحويلات الاضطرابية حيناً والاختيارية حيناً آخر على نمطها المثالى فى الذهن، ولكن هذه الأشكال أو الأوضاع وإن تمايزت من حيث القيمة الجمالية أو الشحنة التأثيرية تظل ذات جذر دلالى واحد أو بنية عميقة واحدة<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم يكون فى التمييز بين هذين المستويين ما يدعم تصور الأسلوب بوصفه اختيارا أو استثمارا وتوظيفا للطاقات الكامنة فى اللغة إذ إنه يمكن تحديده هذه الطاقات وكشف أبعادها عن طريق "قواعد التحويل" وبذلك تكون "السمة الأسلوبية" هي الصورة المنتقاة من

(١) انظر د/ صلاح فضل/ علم الأسلوب ص ٩٩.

(٢) د/ حسن ضيل أسلوب الانصات ص ٣٧، ٣٦ وانظر علم الأسلوب ١٠١، ٩٩ واللفظ والإبداع ٥٣-٥٢.

بين التحويلات الاختيارية المتعادلة معها دلاليا والتي تعد من هذه الزاوية بدائل لها<sup>(١)</sup> ويمكننا أن نتوسع في تحديد السمة الأسلوبية، وبالتالي يتم التوسع في مفهوم الاختيار؛ وذلك بناء على اتساع النظرة إلى مفهوم البدائل التي يتم الاختيار بينها.

ففى رأى - حسب ما بينته الأمثلة التطبيقية فى البحث - أن الاختيار قد يقع بين اختيار صيغة من الصيغ وبين عدمها، أى يكون الاختيار بين الحذف والذكر لتلك الصيغة، وتقع الموازنة والاختيار بين حاجة السياق إلى تلك الصيغة وعدمها.

والذى يجعلنا ندخل ذلك فى مفهوم الاختيار أن شمة صيغاً يؤتى بها فى سياقها كان يمكن الاستغناء عنها بحسب نظرة النحاة إلى أركان الجملة الأساسية حيث تعد تلك الجملة أو الكلمات - عموماً - التى تأتى بعد استيفاء الجملة لتلك الأركان زيادة على القدر الذى يصح به الكلام؛ ولذا فقد أطلق عليها فى الدراسات النحوية مصطلح (فضلة).

وذلك من نحو التوكيد بالمصدر فى قول الله تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا \* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا... ﴾ .

فقد كان يمكن أن يأتى الأسلوب بغير التوكيد بتلك المصادر.

ومن ثم أرى أنه ينبغى أن تتسع نظرتنا للاختيار الأسلوبى إلى الاختيار بين الحذف والذكر؛ فبهد تكون السمة الأسلوبية المميزة للأسلوب، أو التى تنم بها المطابقة فى حذف صيغة أو فى ذكرها.

### أنماط الاختيار:

يفرق الباحثون الأسلوبيون بين أنماط من الاختيار لعل أهمها فيما يخص بحثنا:

١- التفرقة بين ما سموه بالاختيار النحوى والاختيار النفعى. أو الأسلوب وغير الأسلوبى.

٢- التفرقة بين الاختيار الواعى، والاختيار اللاشعورى.

وتفسر التفرقة الأولى "أن بعض اللغويين الذين قالوا فى تعريف الأسلوب إنه اختيار يقسمون هذا الاختيار إلى نوعين من الاختيار:

أحدهما: اختيار محكوم بالموقف والمقام، ويسمى الاختيار النفعى.

(١) انظر علم الأسلوب ص ٣٧، وانظر الأسلوبية الحديثة د/ محمود عباد. مقالة فى مجلة "فصول" المجلد الأول. العدد

الثانى يناير سنة ١٩٨١.



والآخر اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة، ويسمى الاختيار النحوى. والنوع الأول ربما يؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة أخرى لأنها أكثر مطابقة فى رأيه للحقيقة، أو لأنه على عكس ذلك يريد أن يضلل سامعه، أو يتفادى الاصطدام بحاسيته تجاه عبارة أو كلمة معينة.

وأما النوع الثانى وهو الاختيار النحوى فالمراد بالنحو ما هو أعم من القواعد المعروفة بحيث يشمل قواعد اللغة بعامه فى أصواتها وصرفها ومعجمها ونظم الجمل فيها، ويكون هذا الانتقاء حين يؤثر المنشئ كلمة على كلمة، أو تركيبا على تركيب لأنها عربية، أو أدق فى توصيل ما يريد.

ويرى أصحاب هذا رأى كما يذكر الدكتور سعد أن الشكل النهائى للنص يتحدد بهذين النوعين من الاختيار إلا أن مصطلح الأسلوب ينصرف أساسا إلى النوع الثانى ثم يخلص أخيرا إلى التمييز بين النوعين فيقول: "إن الاختيار يكون نفعيا حين يكون بين سمات مختلفة تعنى دلالات مختلفة ويكون أسلوبيا إذا كان بين سمات مختلفة تعنى دلالة واحدة وحين تقول: "دلالة واحدة" فمن الواضح أننا نستثنى اختلافها فى الدلالة الأسلوبية والتي ينبغى أن تكون جزءا من المعنى الكلى للكلام" وفى محاولة منه لتوضيح الفرق بين النوعين بالأمثلة أشار إلى تحكم الغرض النفعى فى اختيار الكلام الذى يصدر عن جهتين متعاديتين فعلى حين يصف رجال المنظمات الفلسطينية عملياتهم العسكرية ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلى على أرض فلسطين المحتلة بأنها عمليات ثورية، تسمى قوات الاحتلال تلك العمليات نفسها تخريبا وإرهابا كذلك المجاهدون الأفغان تمنعهم بلاغات السلطة الحاكمة بالعصابات والمتمردين.

وهكذا يتضح أن الاختيار النفعى يكون بين سمات مختلفة ذات دلالات مختلفة، بل متناقضة فى أكثر الأحيان. أما حين يكون الاختيار تقديما وتأخيرا كما فى الآيات الكريمة ﴿وَإِذِ اتَّخَذْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ رِثَةً﴾ (البقرة: ١٢٤) و﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ (طه: ٦٧) و﴿إِنَّهَا تَكْبَدُ﴾: أو حين يكون اختيارا بين صيغة وصيغة فى مثل قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ﴾ (إنياسين) (الصافات: ١٣١) بدلا من (إنياس): أو عدولا عن اختيار ضمير إلى ضمير آخر

كقوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا﴾ (الحجرات: ٩) فإن هذا الاختيار يقع فى دائرة الاختيار النحوى أو الأسلوبى<sup>(١)</sup>.

وقد أشار د/ سعد إلى صعوبة التمييز فى كثير من الأحيان، بين سمات الصياغة التى تعنى نفس الدلالة، وتلك التى تعنى دلالات مختلفة<sup>(٢)</sup>.

ويعلق د/ شفيح على ذلك قائلا "يهيد أننى أتقدم خطوة أبعد مما ذكر فأقول إن كلا الاختيارين متداخل مع الآخر إلى الحد الذى يسوغ معه التشكيك فى صحة هذا التقسيم أساسا، وفى كلام الدكتور سعد نفسه ما يدل على تشابه الاختيارين بل تطابقهما فقد جعل من بين الأسباب التى تدفع المنشئ فى الاختيار النغوى إلى إظهار كلمة أو عبارة على أخرى أن يكون ما اختاره "أكثر مطابقة للحقيقة" وفى الوقت نفسه جعل من بين دوافع الاختيار النحوى لكلمة أو تركيب، كون كل منهما أدق فى توصيل ما يريد المنشئ، وليس ثمة فارق فيما نرى بين الدافعين، ولا يمكن وصف الاختيار الثانى بأنه من مقتضيات التعبير الخالصة، الذى هو معنى الاختيار النحوى على نحو ما يرى هؤلاء الباحثون<sup>(٣)</sup>.

وتزيد الأمر وضوحا بالنسبة لبيان انعدام ذلك الفارق فى جانب الصيغ فنقول: إن ما يسمى بالاختيار النحوى (وهو يدخل فيه اختيار الصيغ لا محالة) لا يكون اختيارا فيها إلا إذا كان مطابقا لمقتضى الحال، وهذا يعنى أنه محكوم بالموقف والمقام كما اشترط فى الاختيار النغوى، ومن ثمة فلا فارق من هذه الجهة؛ ولكن يبقى أنه يمكننا التمييز بين النوعين من جهة أخرى وهى أن أصل المعنى فيما سموه بالاختيار النحوى أو الأسلوبى يكون واحدا أو على حد تعبير تشومسكى يكون له (جملة نووية واحدة) أما أصل المعنى فيما سموه بالنغوى أو غير الأسلوبى يكون متعددًا أو يكون له أكثر من جملة نووية، إذ إن تعبيرًا نحو:

(استرد المجاهدون الشيشان بعض المواقع التى احتلتها القوات الروسية)

حينما تعبر عنه إذاعة روسيا بالتعبير التالى:

(١) انظر د/ شفيح السيد/ الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) انظر د/ سعد مصلوح الأسلوب دراسة لغوية إحصائية (دار البحوث العلمية الكويت ط ١٩٨٠٠١ ص

٢٦، ٢٥، ٢٣.

(٣) د/ شفيح اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١٣٤.

(استطاع المتمردون الشيشان الاستيلاء على بعض المواقع)

لا يكون من الدقة أن نغير عن العبارتين بمجمل واحدة إلا بإهدار بعض المعاني الأساسية كوصف الشيشان بأنهم مجاهدون، أو متمردون، استردوا مواقعهم، أو استولوا على مواقع روسية وهكذا ...

ولكن يبدو أن هذا التمييز يتسم بالصعوبة في كثير من الأحيان كما أشار د/ سعد<sup>(١)</sup>. وأرى أن التمييز بين هذين النوعين يكون أشد صعوبة في جانب الصيغ؛ وذلك لدقة الجانب الدلالي في الصيغة لكونه وظيفيا وليس معجميا. ومن ثم فبالنسبة لما يخص دراسة الصيغ أرى أن يقتصر البحث على دائرة الاختيار النحوي فقط إذا صح تمييزه بذلك. بقى أن نفرق بعد ذلك بين نوعين آخرين من الاختيار هما: الاختيار الواعى واللاشعورى<sup>(٢)</sup>.

فئة نوعان من الاختيار: أحدهما يكون عن قصد وتدبر والآخر غالبا ما ينساق في زحمة الكلمات أو المشاعر أو الشحنة الانفعالية الغالبة على المبدع، أو بتأثير الإيقاع المتسلط عليه في كثير من الأحيان. ومن ثم "فينبغي ألا تظن أن المؤلف عند كتابة النص يطرح أمامه جميع إمكانات النظام اللغوي ليختار من بينها ما يشاء"<sup>(٣)</sup>. فقد يقع الاختيار بطريقة لا شعورية في كثير من الأحيان مما يبطل هذا الغرض من أساسه.

ويرى بعض الباحثين "أن هذا التمييز بين الاختيار الواعى واللاشعورى أمر ضرورى فكلنا يعرف بتجربته الخاصة أن هناك اختيارات لا شعورية تأتيها بطريقة عفوية غريزية للوهلة الأولى وبشكل آلى تقريبا. بينما هناك اختيارات أخرى متدبرة ومقصودة نتردد في القيام بها ونصحح ما انتهينا إليه منها ونأمل الكلمة أو العبارة الملائمة حتى نعتز منها على الشكل المناسب"<sup>(٤)</sup>.

(١) وذلك على نحو تعبير د/ سعد في مثيله السابق بالمجاهدين الأفغان وغيرهم.

(٢) انظر د/ صلاح فضل/ علم الأسلوب ص ١٠٦.

(٣) انظر د/ صلاح فضل ص ١٠٣.

(٤) انظر د/ صلاح فضل ص ١٠٧.

فالمبدع وخاصة الشاعر قد يخرج عن اختياريته للأسلوب ويكون شعبة عوامل آخر غير الفكرة والغرض هي التي أثرت في اختيار الصيغ والألفاظ، وذلك كوقوع الشاعر أو المبدع تحت تأثير إيقاع بعينه يجرف الشاعر بطريقة لا شعورية نحو صيغ بعينها تتناسب مع هذا الإيقاع وتنميه.

وهناك بعض الحالات الخاصة في الشعر التي تسبق فيه اللغة الفكرة التي تعبر عنها وتحددها حتى ليصبح من المشروع أن نتصور انعكاس الترتيب فبدلا من اختيار التعبير المناسب لفكرة سابقة الوجود يتم ضبط الفكرة على هيكل لغوي موجود من قبل بشكل ما. وهناك مشهد من "فاليوى" ذو دلالة هامة في هذا الصدد إذ يقول عن الإلهام اللغوي " ذات يوم وجدت نفسى خاضعا لإخاح إيقاع معين لم يلبث أن اتضح في ذهني بعد فترة كنت أكاد أشعر فيها بلون من النشاط العقلي الجانبى وفرض على هذا الإيقاع نفسه كضرورة ملزمة وكان يبدو لى أنه يريد أن يتجسد، أن يصل إلى كمال وجوده، ولم يستطع أن يتمثل فى وعى إلا بانحاذ شكل بعض العناصر الضعيفة من مقاطع وكلمات. وكان الذى يحدد تلك المقاطع والكلمات بدون شك فى هذه المرحلة إنسا هي قيمتها وجاذبيتها الموسيقية فحسب.

ويمكن مطابقة هذا المشهد بما قاله "اليوت" أيضا: أنا أعرف أن القصيدة أو المقطوعة الشعرية يمكن أن تنحو إلى أن تتحقق أولا كإيقاع خاص قبل أن تدرك حياتها فى كلمات وان هذا الإيقاع ربما هو الذى يقوم بتوليد الفكرة والصورة ولا أظن أن هذه تجربة متميزة لى عن غيرى من الشعراء<sup>(١)</sup>.

ومن ثم فإن هذا الاختيار اللاشعورى قد ينتج فى كثير من الأحيان عما يمكن أن نسميه بالاختيار الإيقاعى" وبكفى هذا لنذكر أن الاتكاء الشديد على فكرة الاختيار الأسلوبى يمكن أن يعوق فهمنا لطبيعة التعبير الخلاق فى الشعر مما يدعونا إلى الاحتياط فى استخدام مفهوم الاختيار والتميز بقدر الإمكان بين الاختيار الواعى واللاشعورى حتى نستطيع تجويله إلى تحليلية جيدة ونلقى به ضوا غامرا عل كثير من الإمكانيات التعبيرية للغة وكيفية استخدامها لدى بعض المؤلفين، مما قد يودى بنا أيضا إلى فهم نفسية المؤلف أيضا وإدراك نظريته وممارساته الجمالية.

(١) انظر صلاح فضل علم الأسلوب ص ١٠٦.

ويقرر الباحثون "أنه إذا كان التمييز بين هذين اللونين من الاختيار صالحا نظريا فغالبا ما يصعب تطبيقه من الجهة العملية" (١).

والحق أننا ما دمنا في دائرة النصوص الأدبية، فإن ما يعيننا هنا هو مدى مطابقة الوسائل التعبيرية المستخدمة للفكرة أو الغرض موضوع النص. وإن كان ثمة فائدة يمكن أن نفيد بها من هذه التفرقة على الأقل في دراستنا لموضوع الصيغ، فهي أن نضع في حساباتنا عند دراسة تلك الصيغ وتحليلها أن وعى المؤلف لا يشمل كل ملامح القول ومن ثم نرتب على ذلك فائدة مهمة:

وهي ألا نتردد كثيرا في الحكم على صيغة ما من الصيغ بعدم مناسبتها لفكرة النص لأننا يمكننا حينئذ عزو ذلك إلى عملية الاختيار اللاشعوري من جانب المبدع؛ بمعنى أنه ليس من الضروري أن يكون لكل صيغة معنى وظيفي مقصود؛ بحيث يدعوننا ذلك إلى تكلف الجمع بين معنى هذه الصيغة وبين السياق الذي وردت فيه.

وعلى أن ذلك لا يعنى أن هذا الاختيار اللاشعوري يجانبه الصواب دائما، بل يفوق هذا الاختيار اللاشعوري في كثير من الأحيان من النماذج التي تمثل درجة الوعي عند المبدع، ولعل السبب في ذلك هو غلبة الشحنة التأثرية أو الانفعالية لدى الشاعر أو المبدع مع وصوله إلى ما يمكن تسميته بالطبع أو الموهبة.

أما ما يمكن تسميته بالاختيار المتكلف ففي رأي أن هذا النوع غالبا ما يقع في دائرة الوعي وذلك حينما يقصد الشاعر أو المبدع إليه بوعي منه نحو تحقيق نوع من الزينة أو الزخرف اللفظي أو الإيقاع المتكلف.

وقبل أن ننهي حديثنا عن الاختيار فإنه يحسن بنا أن نبين أثر النظرة إلى الأسلوب على أنه اختيار على التحليل الأسلوبى حيث يمكن أن نعيد بسهولة بناء الإمكانيات الاختيارية التي كانت في متناول المؤلف وهذا يقتضى مراعاة نظام اللغة في عصر تأليف النص وربطه بالتفسير الأسلوبى (٢).

ومن ثم يقوم التحليل الأسلوبى على عقد نوع من الموازنة بين الصيغة المختارة لدى المبدع وبين تلك الإمكانيات التي يسمح بها نظام اللغة في عصر المؤلف. وعن طريق هذه

(١) انظر علم الأسلوب ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) علم الأسلوب ص ١٠٣.

الموازنة نستطيع الوقوف على مدى نجاح المبدع فى توظيف الوسائل التعبيرية ومنها الصيغ موضوع البحث فى التعبير عن أفكاره وتجاربه وأغراضه وتوصيلها إلى المتلقى بطريقة فنية ومما يعنينا على ذلك أن النظام النحوى لأمة لغة يجعل عدد البدائل التى ينبغى الاختيار من بينها محدودا بشكل واضح ومن ثم فإن إجراء تلك الموازنة التحليلية بين ما هو ممكن الاختيار وما هو مختار فعلا من السهل تنفيذها فى التحليل الأسلوبى لصيغة الكلمة.

شمة تصنيف آخر يختص بموضوع بحثنا، فقد "ميز بعض الباحثين بين أربعة أنماط من الاختيار:

استبدالية، ونحوية، وأسلوبية، وغير أسلوبية<sup>(١)</sup> وقد سبق الحديث عن نوعى الاختيار الأسلوبى بأنه اختيار نحوى كما سبق.

والاختيار النحوى يشمل كذلك اختيار الصيغ، وعملية المبادلة بين الصيغ المتعادلة دلاليا (من جهة المعنى النمطى طبعاً) تمثل حقيقة الاختيار الاستبدالى، ومن ثم يمكن وصف الاختيار الواقع فى دراسة الصيغة بأنه (اختيار استبدالى أسلوبى نحوى) أما الاختيار غير الأسلوبى بمعنى الاختيار النفعى فقد سبق أن رجحنا عدم استحقيقه بأن يستقل نوعاً من أنواع الاختيار، ومن جهة أخرى لا يوجد كبير فارق بينه وبين ما وصف بأنه اختيار أسلوبى أو نحوى.

---

(١) علم الأسلوب ص ١٠٢.

# النماذج التفصيلية للاختيار في الصيغ

## تمهيد

يقوم البحث هنا بعرض عدد من النماذج التي تم توظيف الصيغ فيها توظيفاً بلاغياً على أساس الاختيار، وذلك بغية الوقوف على الدلالات الفنية لتلك الصيغ في سياقاتها الأدبية الرفيعة القرآنية والشعرية، مراعيًا في تحليلها ما انتهى إليه البحث في فصوله السابقة، ومنتمفاً بتحليلات البلاغيين في مباحث البلاغة النظرية، وتحليلات المفسرين وشرح الحديث والدواوين الشعرية التي كانت أوسع أفقاً - وأكثر تناولاً للعديد من الصيغ المتنوعة التي وردت في سياقات مختلفة - من تلك الدراسة النظرية التي اقتصرت - غالباً - على عدد محدود من النماذج، فضلاً عن عدم تجاوزها - غالباً - صيغتي الاسم والفعل إلى ما يندرج تحت كل منهما من صيغ عديدة حفلت بها كثير من النماذج الأدبية الرفيعة مع توظيفها توظيفاً فنياً وبلاغياً يصل إلى حد الإعجاز في نماذجها القرآنية، وإلى درجات عالية من البلاغة في ما عداه من النماذج، مما سيرعرض البحث أمثله فيما يلي.

### ١- اختيار صيغ الاسم:

أحب أن أشير هنا إلى أمر يتعلق بطبيعة المعالجة للأمثلة التي يتعرض لها البحث في هذا الموضوع، وهي أن البحث قد عني بعرض أمثلة الاختيار للصيغة المختارة دون تقييد بالبدل المطروح لها في تلك السياقات؛ وذلك لأن البدائل للصيغة الواحدة قد تعدد، وتتنوع؛ فالمصدر مثلاً قد يحل محله الفعل أو اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو غير ذلك على نحو ما سبق بيانه في مبحث الدلالة بين تعدد الصيغة وتعدد المعنى.

ومن ثم سيكون العنوان لتلك المعالجة مثلاً (اختيار صيغة المصدر) دون أن نقيّد ذلك بالبدل، وذلك تفادياً للتكرار، وكثرة التقسيمات والعناوين، ولكيلا يتشتت بحث الظاهرة الواحدة في أكثر من موضع.

كما أشير هنا إلى أن هذا المنهج هو ما سوف تتبعه كذلك عند عرض أمثلة العدول، والتكرار.

وقد استغنيت بالإشارة هنا عن إعادة ذلك في موضعه.

اختيار صيغة المصدر (فعلان)

فمن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَتَعْوَبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

حيث جاء اختيار صيغة (الفعالن) للتعبير عن الحياة فى الدار الآخرة بما تشتمل عليه من حركة ونشاط وابتهاج وخفة النفس واهتزازها مع دوام ذلك واستمراره وتجدد ألوانه، وذلك فى مقابل الحياة الدنيا - حياة اللهو واللعب - بما تشتمل عليه من انكسار وسأم من رتابة صور الحياة وتكرارها بلا تجديد، مع سرعة انقطاع لذاتها، وزوال نعيمها، وتحول عافيتها.

ولذا قال الزمخشري "وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهى ما فى بناء فعالن من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهيان وما أشبه ذلك، والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئوه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة<sup>(١)</sup>.

### من أمثلة اختيار المصدر فى الشعر

ومما جاء فى الشعر من أمثلة اختيار المصدر، قول الخنساء:

ترتع ما رتعت، حتى إذا ذكرت فإنما هى إقبال وإدبار

قال الإمام عبد القاهر "جعلها لكثرة ما تقبل وتدبر، ولغلبة ذاك عليها، واتصاله منها، وأنه لم يكن لها حال غيرها، كأنها قد تجسست من الإقبال والإدبار"<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم فقد جعلتها حقيقة الإقبال والإدبار وكأنها قد تحضنت إقبالا وإدبارا، وقد حسن وصفها بذلك للدلالة على تكرار هذا الفعل منها وغلبته عليها، وملازمتها له، وثبوتها عليه؛ حتى لم يكن لها شغل غيره؛ ومن ثم حسن اختيار صيغة المصدر هنا على ما عداها كصيغة الفعل، كما لو قالت: فإذا هى تقبل وتدبر.  
ومن ذلك قول النابغة:

فعد عما ترى، إذ لا ارتجاع له وإنم القنود على عيرانه أجد<sup>(٣)</sup>

(١) انظر الكشاف ١٥٩/٣ وانظر أبو السعود ٤٧/٧، وانظر ما سبق نقله عن سبويه فى معنى الفعالن فى الفصل الخاص بالناسية بين الصيغة والمعنى.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٣٠٠ بتحقيق الشيخ محمود شاكر.

(٣) ديوان النابغة ص ١٠.



حيث استخدم الشاعر صيغة المصدر (ارتجاع) وهي من الفعل (افتعل) الذى يأتي لمعان منها المبالغة كما فى هذا السياق، وقد زاد هذه المبالغة اختيار صيغة المصدر منفية لنعى الارتجاع فى حقيقته وأصله، وجاء به على صيغة الافتعال ليدل على المبالغة فى نعى رجوع هذا الشيء حتى مع الاجتهاد والمبالغة فى إرجاعه. ومن ثم تميز يظهر تلك الصيغة على غيرها من الصيغ كالرجوع أو الإرجاع.

ومن ذلك قول المتنبي:

وقد تقبل العذر الخفى تكرماً فما بال عذرى واقفا وهو واضح<sup>(١)</sup>

حيث جاءت صيغة المصدر (تكرماً) فى هذا الموضع بما تحمله من معنى التكلف<sup>(٢)</sup> مناسبة للغرض الذى سبقت لأجله وهو المبالغة فى كرم المدحوح؛ حيث يحمل نفسه على الكرم فى الموضع الذى لا يكون فيه الكرم عادة لخفاء عذر صاحبه فيه، ومن ثم يعمل بذلك بمدوحه على قبول عذره من باب أولى لوضوحه، وظهور حجته.

ومن ثم يظهر فضل اختيار تلك الصيغة على غيرها كالمصدر كرماء، أو كاسم الفاعل مكرماً. ومن ذلك قول المتنبي أيضاً:

أمن ازدبارك فى الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

قلق المليحة وهى مسك هتكها ومسيرها بالليل وهى ذكاء

استخدم المتنبي فى هذين البيتين المصادر: (ازدبار - قلق - هتك) وقد وظف المصدرين الأولين توظيفاً فنياً جيداً، أما المصدر الثالث فهو مما يؤخذ عليه.

والازدبار افتعال من الزبارة، والمعنى أن الرقباء قد أمنوا أن تزورنى ليلاً؛ لأنك بدل من الضياء فى الليل؛ لأن نورك يزيل الظلمة كما يزيلها نور الصبح<sup>(٣)</sup>. وأفادت صيغة الافتعال هنا أنها مجبولة على العفاف والتصون وأنها إن أقبلت على الزبارة لا تقبل إلا عن تكلف وحينئذ يعرفها الرقباء بالليل؛ لأنها كالبيدر لا تخفى على ناظر.

وأما استخدامه للمصدر (قلق) على وزن (فعل) فهذا المصدر من المصادر التى تأتى دالة على الحركة والاضطراب كالخبب والرمل والعنق ونحوها، ومن ثم فقد جاءت هذه الصيغة

(١) شرح التبيين للمكبرى ١/١٦٨.

(٢) انظر شرح انشافية ١/١٠٤.

(٣) شرح التبيين للمكبرى ١/١١١.

مناسبة للمعنى المراد التعبير عنه وهو أن تحرك هذه الجميلة واضطرابها يكون كشفا لها ودلالة عليها.

أما قوله هتكها: قال ابن فورجة: "اهتك مصدر متعد ولو أتى بمصدر لازم لكان أقرب إلى الفهم، بأن قال انتهاكها، ولكنه راعى الوزن، ومثل هذا كثير في شعر المحدثين". وما ذكره ابن فورجة هنا متجه؛ فالمتنبى يريد أن الجميلة المليحة - وهى كالمسك فى الاستدلال عليه برائحته إذا أثير فتضوع - هذه الجميلة إذا ما تحركت فإن تحركها يكون هتكاً لها، وكشفا لحالها، ونما بها، وكذا سيرها بالليل وهى ذكاه أى شمس لا تخفى على راء.

وهذا المعنى يدل عليه التعبير بالمصدر اللازم (انتهاك) بدرجة أقوى من المصدر المتعدى؛ وذلك لأنه يجعل نفس القلق والتحرك انتهاكا للمليحة؛ كأنه يحدث بغير فاعل له، فضلا عما فيه من معنى المطاوعة، وذلك بخلاف المصدر المتعدى فإن فيه مهلة وتراخيا لإشعاره بتوقف الهتك على فاعل له.

ولعل انتقاد ابن فورجة لهذا المصدر من جهة كونه متعديا يرجع إلى ما قد يسببه من اللبس فى المعنى؛ إذ إنه قد يشعر بأن للمليحة فعل اهتك فى غيرها؛ فالضمير فى (هتكها) يكون صالحا حينئذ لأن يكون فاعلا أو مفعولاً؛ أى يكون المعنى هتك المليحة لغيرها أو هتك القلق لها. فلو عبر بمصدر لازم كـ (انتهاك) لزال الاحتمال المذكور.

ويترجح عندى ما ذكره ابن فورجة بوجه آخر، وهو أن المتنبى لو استخدم هنا مصدرا لازما كالتهتك أو الانتهاك لكان أبلغ لأنه يجعل قلق المليحة وتحركها هو عين انتهاكها أما المصدر المتعدى هتك فهو يجعل القلق هتكاً لها، والفارق بينهما كالفارق بين حدوث الفعل وحدوث أثره.

ومن ثم فالمصدر من الفعل اللازم أولى لأنه أدل على حدوث الأثر مباشرة، لا بواسطة فعل؛ إلا أن المتنبى قد اختار صيغة المصدر (هتك) رعاية للوزن؛ ومن ثم يكون شاهدا لما سميناه بالاختيار الإيقاعى المتكلف.

### اختيار صيغة اسم المودة

من المواضع التى وظفت فيها صيغة اسم المرة توظيفا بليغا قول الله تعالى فى سورة الدخان: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جِثَاتٍ وَعُيُونٍ • وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ﴾

(الدخان ٢٥-٢٧ وفى سورة المزمل: ﴿وَدَرَّيْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النُّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَبِيلاً \* إِنَّ لَدَيْنَا أُنْكُلًا وَجَحِيمًا \* وَطَعَامًا ذَا غُصْبٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (المزمل: ١١-١٣) حيث جاء بناء النعمة فى الآيتين بناء اسم المرة، وكان يمكن مجيؤه على غيرها من المصادر كالنعم أو الإنعام أو النعمة بالكسر أو غير ذلك، إلا أن الآية قد أثرت هذه الصيغة، قال السرازى "والنعمة والنعم وبنائها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمه" ولم يزد الزمخشري فى هذا الموضوع على أن بين أن "النعمة بالفتح النعم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المسرة" وتابعه على ذلك أغلب المفسرين بعده، ناقلين كلامه بنصه<sup>(١)</sup>.

وزاد الألوسى فى موضع آخر<sup>(٢)</sup> على كلام الزمخشري فى قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جِثَاتٍ وَعَيْبُونَ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (الدخان: ٢٥-٢٧) فقال "واختيار ههنا تفسير النعمة بالشيء المنعم به لأنه أنسب للترك، وهى كثيرا ما تكون بهذا المعنى" وذلك بعد نقله لكلام الراغب فى مجيئها على بناء المرة.

وهذا التعليل ليس تعليلا محيىء بنائها على صيغة المرة، كما أشار إليه الراغب، وإن كان هو الآخر لم يعلل كذلك كجملة المفسرين: لم جاءت الكلمة على هذه الصيغة دون غيرها من صيغ المصادر؟.

والذى أراه فى تعليل ذلك - والله أعلم أن وجه الأفراد فى سورة الدخان شبيه بما وجه به الزمخشري الأفراد فى قوله تعالى: ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ﴾ (التكوير: ١٤) وحاصله أنه "من عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه... إلخ كلامه"<sup>(٣)</sup>.

فكان المتكلم هنا سبحانه يتبرأ من التزبد عليهم وأنه يستقل كثير نعمه على عباده فضلا أن يتزبد، فكان قال (ورب نعمة كانوا فيها فاكهين)، فيقول السامع (بل كانوا فى نعم كثيرة)، فيكون من باب تقرير المخاطب بالحجة والزامه بها بطريق غير مباشر، وهو من البلاغة بمكان.

(١) انظر المفردات ص ٤٩٩، الكشاف ٤/١٥٥، وانظر ٣/٤٣٢، وانظر مفاتيح الغيب ١٤/١٤٩، ١٥/٨٠٩، روح

المعاني ٢٩/١٠٧، المحرر الوجيز ٥/٧٢، الدر المنصون ٦/١١٤، ٥/٤٠٧، بصائر ذوى النعميز ص ٩٠.

(٢) انظر روح المعاني ٢٥/١٢٣.

(٣) انظر الكشاف ٤/١٨٩ وسبأنى بتمامه فى اختيار صيغة المفرد.

فضلا عما فى الأفراد بصيغة المرة من الدلالة على كونها نعمة محتقرة لدى الرب لا وزن لها عنده لأنها نعمة الدنيا لا نعمة الآخرة، وإن كانت عند المخاطب بمكان عظيم. وقد يقال إن المقام هنا مقام تكثير النعم لا تقليلها لا ابتدائه بكم الخبرية المفيدة للكثرة؛ فنقول لذا فإن النكتة فى الأفراد هى احتقار تلك النعم على كثرتها وتوحيدها بدل على أنها فى مجموعها لا تكاد توازى نعمة مفردة من نعم الآخرة.

ولعل هذا هو الوجه فى مجيئها على بناء المرة كذلك فى الموضع الثانى فى قوله تعالى فى سورة الزمل: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النُّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ (المزمل: ١١) فكانه قال "ذرنى وهولاء المكذبين أصحاب تلك النعمة المحتقرة نعمة الدنيا ومهلهم قليلا حيث تزول عنهم تلك النعمة فى الآخرة، فإنما هى نعمة واحدة يتمتعون بها فى الدنيا ولذا فقد قرر رسول الله ﷺ أن لنا الآخرة" ويزداد الإحساس بجمال صيغة المرة فى هذا الموضع بمقابلتها بما أعده الله تعالى لهؤلاء المكذبين من العذاب فى الدار الآخرة بمجموعا لا مفردا مما يدل على أنهم مضاعف هم العذاب فى الآخرة جزاء إعراضهم عن شكر نعمة المنعم فى الدنيا، ولذا عقب الله تعالى تلك الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أُنكَاثًا وَمَطْعَمًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ومن ثم يظهر التقابل بين هذه النعمة الحقيرة المفردة، وما جلبته عليهم من صنوف العذاب وألوانه المتعددة.

كما يظهر جليا فى هذين الموضعين دور صيغة المرة فى الدلالة على التحقير، وعكسه وهو المبالغة والتكثير كما فى الموضع الأول. ومن أمثلة ذلك فى الشعر قول ابن المعتز:

وإنى على إشفاق عينى من العدى لتجمع منى نظرة ثم أطسرق  
قال عبد القاهر معلقا عليه: "فترى أن هذه الطلاوة وهذا الطرف، إنما هو لأن جعل النظر "بجمع" وليس هو لذلك. بل لأن قال أول البيت "وإنى حتى اللام فى قوله "لتجمع" ثم قوله: "منى" ثم لأن قال "نظرة" ولم يقل "النظر" مثلا ثم لمكان "ثم" فى قوله: "ثم أطرق" وللطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف وهى اعتراضه بين اسم "إن" وخبرها بقوله: "على إشفاق عينى من العدى"<sup>(١)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز بتحقيق شاعر ص ٩٨-٩٩.

فاختيار الشاعر لصيغة اسم المرة (نظرة) دون المصدر (نظر) جاء مناسباً لمقام الخوف والإشفاق من العدى، حيث يسترق النظر، فناسب ذلك التعبير باسم المرة (نظرة) ونحوه كذلك قول المجنون:

وإني لأستغشى وما بهى نعسة لعل خيالاً منك يلقى خيالها<sup>(١)</sup>

حيث جاء التعبير فيه باسم المرة منفياً متجاوباً مع مقام المبالغة فى الأرق والسهاد لكثرة الوجد والشوق؛ ومن ثم يكون استغشاء الشاعر وطلبه للنوم واجتهاده فى تحصيله مجرد محاولة فاشلة منه لا للرغبة فى النوم بل لتمنى أن يطوف خيال محبوبته بخياله؛ ومن ثم يبدو تميز تلك الصيغة على نظائرها كـ (نعاس) مثلاً.

### اختيار اسم الهيئة

فمن ذلك لفظ النعمة جاء على بناء الهيئة فى سبعة وأربعين موضعاً فى القرآن للفت الأنظار إلى هيئة النعمة الواحدة وما اشتملت عليه من نعم عديدة هى تفاصيل تلك النعمة، ولعل هذا يرجع عدم مجيئه على غيرها من الصيغ كاسم المرة أو الإنعام أو غير ذلك<sup>(٢)</sup>. ومن أمثله فى الشعر، قول الأعشى:

كأن مِشِيَّتَهَا من بيت جارتها مرُّ السحابة لا ريث ولا عجل<sup>(٣)</sup>

حيث لعب التعبير باسم الهيئة دوره فى استحضار هيئة تلك المرأة وهى تمر كمر السحاب، ولا تقوم صيغة أخرى فى هذا الموضع كاسم المرة أو غيره من المصادر فى الدلالة على المعنى المراد تصويره. ومنه أيضاً قول زهير:

بها العينُ والآرامُ يَمْشِينِ (خِلْفَةً) وأُطْلَاهَا يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْجَمٍ<sup>(٤)</sup>

اختار الشاعر اسم الهيئة (خلفة) ليصور هيئة ذهاب البقر والظباء ومجيئهن حيث (تذهب هذه وتجيء هذه)<sup>(٥)</sup>، مما يودى إلى استحضار تلك الصورة العجيبة وتصويرها فى المخيلة،

(١) انظر أسرار البلاغة لعبد القاهر ص ٢٧٦ بتحقيق رينر/ استانبول مطبعة المعارف س ١٩٥٤.

(٢) انظر فى تفصيل ذلك بحث التعديل إلى المفرد فى لفظ النعمة.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٧ الشركة اللبنانية للكتاب بيروت.

(٤) انظر المملقات بشرح الزوزنى ص ٥٨.

(٥) انظر لسان العرب ١٢٤٣/٢.

وقد ساعد على ذلك التعبير بصيغة المضارع فى قوله (بمشمين) (بنهضين) كما نسم تلك الصورة التى يريد استحضار النفس لها وتخيّلها بذكر اسم المكان بصيغة العموم (من كل مجثم) ولو اقتصر على ذكر النهوض لمدلّ عليه، إلا أنه أراد استيفاء عناصر تلك الصورة، فكان الأنسب لذلك كله اختيار اسم الهيئة حيث لا يسد عنه غيره فى هذا السياق؛ ومن ثم فلاختيار هنا اختيار للذكر على الحذف.

### اختيار صيغة اسم الفاعل

من أمثلة اختيار اسم الفاعل قول النابغة فى اعتذاره إلى النعمان:

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع<sup>(١)</sup>

استخدام النابغة فى هذا البيت صيغة اسم الفاعل (مدركى) مؤثرا على صيغة المضارع (يدرك) مثلا، وذلك لأنه ليس بصدد مجرد إثبات الحدث (الإدراك)، وإنما هو بصدد إثبات وقوع ذلك الإدراك لا محالة، ومن ثم فالتعبير عنها باسم الفاعل قد دل على زيادة وقوع الحدث ودل على ثبات هذا الوصف أيضا وعدم تحوله.

وقد ناسب ذلك السياق أتم مناسبة حيث يقول النابغة فى الأبيات قبله:

لكلفتى ذنب امرئ، وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

فإن كنت لا ذو الضغن عنى ولا حلفى على البراءة نافع

ولا أنا مأمون بشيء أقولسه وأنت بأمر لا محالة واقع

فإنك كالليل الذى هو مدركى

أى كأنه يقول له لئن كان الأمر كذلك ولا ينفعنى اعتذارى ولا حلفى لديك، فإنك سوف تدركنى بعقابك لا محالة، فإدراكك لى شة ثابت ثبوت الليل فى مجيئه بلا تخلف.

وقد حسن التعبير هنا اسم الفاعل فى قوله (مدركى) بعد تعبيره باسم الفاعل.

فى الأبيات السابقة، حيث رتب ثبوت إدراكه له بعقوبته على ثبوت وقوع أمر النعمان فيه، وعدم انتفاعه بحلفه واعتذاره.

ومن ذلك قوله فى قصيدة أخرى:

(١) ديوان النابغة/ شرح وتقديم عباس عبد الساتر ط دار الكتب العلمية ص ٥٦.

ولست بمستيق أخا لا تلمّه على شعث أى الرجال المهذب<sup>(١)</sup>

حيث اختار صيغة اسم الفاعل (مستيق) على غيرها من الصيغ كالمضارع مثلا؛ وذلك للغرض السابق نفسه، وهو الدلالة على الاتصاف بهذا الفعل على جهة الثبات، وقد سبقه بأداة النفي (لست) ليدل على عدم ثبات ذلك واطراده. وقد جاء متسقا مع غرض الاعتذار فى القصيدة ليقرر للنعمان أن المودة الصادقة لا تذهب بها اهتات، ولا تنزع من دوامها، وفيه ترقيق لقلب النعمان وتهوين عليه ما ساءه منه.

ومن ذلك أيضا قوله:

كِلَيْنِي لَهْمٌ بِمَا أُمِيمَةٌ نَاصِبٌ      وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ، بَطْيَاءُ الْكُوكُوبِ

تطاول حتى قلت ليس بمنقضى      وليس الذى برعى النجوم بأبي<sup>(٢)</sup>

حيث اختار فى وصف هذا الليل صيغة اسم الفاعل منفية (ليس بمنقضى) (ليس بأبي) ليعبر عن شعوره بتطاول هذا الليل حتى كأنه ليس بمنقضى، وكأن الذى برعى النجوم قد ذهب بها إلى الأبد.

ومن ذلك أيضا قوله معتذرا:

ها إن ذى عذرة إلا تكن نفعت      فإن صاحبها مشارك النكد<sup>(٣)</sup>

حيث عبر بصيغة اسم الفاعل (مشارك) ليدل بها على دوام حزنه ونكده إن لم يقبل النعمان اعتذاره، مما يودى إلى استعطافه وترقيق قلبه، كما قد أتى بصيغة اسم الفاعل من المفاعلة ليجعل نفسه أصيلا فى الحزن والنكد؛ لأن المشاركة إنما تكون من اثنين؛ ومن ثم فهو ضارب فيه بسهم لا محالة.

من أمثلة الاختيار المتكلف لاسم الفاعل قول البيهقي:

إذا ملك لم يكن ذا هبة      فدعه فدولته ذاهبه<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق ص ٢٨.

(٢) ديوانه ص ٢٩.

(٣) ديوانه ص ١٧.

(٤) انظر نهاية الإيجاز ص ١٣٢.

حيث تعتمد الشاعر الإتيان بصيغة اسم الفاعل (ذاهبة) لإحداث إيقاع متكلف، وليس هذا تكرر لنصيغة لأن (ذاهية) الأولى بمعنى صاحب هبة.  
أو كقول البيهقي أيضاً:

كلكم قد أخذ الجمام ولا جام لنا ما الذى ضر مدير الجمام لو جاملنا<sup>(١)</sup>  
حيث أتى بصيغة الماضى (جاملنا) ليجانس قافية البيت الأول (جام لنا) متكلفاً لأجل الإيقاع. ولا يحسن ذلك بغير استكرهه ولا تكلف.

### اختيار صيغة المبالغة

فمن ذلك صيغة (فعلال):

ومن أمثلتها ما ورد فى سورة الشعراء فى قصة موسى على لسان فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوَالَهُ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ • قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَا تَوَكُّبْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ﴾ (الشعراء: ٣٤-٣٧)  
حيث جاء التعبير بصيغة المبالغة سحَّار فى هذا الموضع دالاً على مقابلة المأل وصف فرعون لموسى بالسحر وتأكيده على أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم (بسحره) فناسب ذلك أن يقابلوا ذلك بالوصية بالإتيان بكل سحَّار عليهم بفوق سحره سحر موسى.

وتتضح هذه النكتة حينما نقف على سياق القصة المشابهة فى سورة الأعراف حيث يقول الله تعالى عنى لسان المأل من قوم فرعون: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ • قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَا تَوَكُّبْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف: ١٠٩-١١٢).

وقد علل بعضهم مجيء صيغة المبالغة فى الشعراء دون الأعراف بان المبالغة فى الشعراء مناسبة لقول فرعون (إن هذا لساحر عليم)<sup>(٢)</sup>.

ولكن يضعف من هذا التعليل أن المأل قد وصف موسى كذلك فى الشعراء بأنه (ساحر عليم) وأرى أنه لم تأت المبالغة (سحَّار) فى سورة الأعراف؛ لأنه لم ينص على أن المحذور -

(١) انظر نهاية الإيجاز ص ١٢٢.

(٢) انظر تفسير الرازى ١٢/١٢٠ والكرمانى ص ٨١.



وهو إخراج موسى لهم من أرضهم - إنما يقع (بسحره) فلم تذكر هذه الكلمة فى سورة الأعراف، ومن ثم لم تقابل بصيغة المبالغة (سحار) فى وصف السحرة، فكأن المألوفى هذا الموضع لم يتصور أن ما جاء به موسى - وهو ما وصفوه بكونه سحرا - يكون له من القوة والتأثير أن يخرجهم من أرضهم، فمن لا يحتاج لإبطال سحره إلى الإتيان بمهرة السحرة. أما فى سورة الشعراء فإن الكلام فيها على لسان فرعون - لا الملائم - وهو يؤكد لهم أن معجزة موسى - عليه السلام - والتي سماها فرعون سحرا - تبلغ من القوة والتأثير أن يخرجهم موسى من أرضهم بها.

ومن ثم بالفعله فى وصف السحرة الذين يوتى بهم لإبطال معجزة موسى عليه السلام.

ويمكن أن يقال إنه لما كان الواصف لموسى عليه السلام فى هذا الموضع بالسحر هو فرعون؛ لذا "جاءوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه، وليسكنوا بعض قلقه"<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة الاختيار فى صيغ المبالغة أيضا اختيار صيغة المبالغة (فَعَال):

من ذلك ما جاء فى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام فى وصف حال قومه ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (نوح: ٢٢)

(وَكَبِيرًا) بناء مبالغة أبلغ من كبار بالضم والتخفيف<sup>(٢)</sup>

قال الألوسى "مَكْرًا كَبِيرًا" أى كبيرا فى الغاية فهو من صيغ المبالغة... وقد سمع بعض الأعراب الجفاة رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية فقال "ما أفصح ربك يا محمد"<sup>(٣)</sup>. وقد كان مكر قوم نوح من "الروءساء ومكرهم احتياهم فى الدين وكيدهم لنوح، وتحريش الناس على أذاه، وصدتهم عن الميل إليه والاستماع منه"<sup>(٤)</sup>.

(١) الرازى ١٢/١٢٠، وأحب أن أنه إلى أن أكثر المفسرين قد انشغلوا فى هنا الموضع بمعنى الكلام المذكور على لسان فرعون فى سورة الشعراء؛ وعلى لسان الملائم فى سورة الأعراف، فانشغلوا بذلك عن تأمل ما ذكرت، وقد التفت بعضهم إلى اختلاف الصيغة فى السورتين ولكنه لم يحسن توجيه ذلك للاختلاف. (انظر على سبيل المثال الكشف ٨١/٢، الألوسى ٢٢/٩-٢٣، مفاتيح الغيب ٢٢٨/٧، مسائل الرازى ص ٩٧.

(٢) انظر الدر المنون ٦/٣٨٥، وانظر الكشف ٤/١٤٣، والنهر الوجيز ٥/٣٧٥، روح المعاني ٢٩/٧٦٧.

(٣) انظر الألوسى ٢٩/٧٦.

(٤) انظر الكشف ٤/١٤٣.

وإذا كان هذا هو مكرهم فلا جرم كان هذا المكر مكرًا كبيرًا، ولذا أثر القرآن هذه الصيغة المشددة دون الصيغة المخففة كبيرًا أو كبيرًا للدلالة على شدة هذا المكر وقوته. فإذا أضفنا إلى ذلك مجيء تلك الصيغة موافقة للفاصلة التي قبلها وأغلب الفواصل بعدها، فلا جرم كانت تلك الصيغة قد وظفت لتوظيف بليغا حسن به الشكل والمعنى فضلا عما دلت عليه من تلك النكتة البليغة.

### اختيار الصفة المشبهة

من ذلك ما جاء في قول الله تعالى في وصف قوم نوح ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٤) حيث آثرت الآية التعبير عن وصف هؤلاء المكذبين بالصفة المشبهة على غيرها من الصيغ كاسم الفاعل مثلا (عامين).

ونستطيع أن نبين سر اختيار هذه الصيغة إذا ما راجعنا سياق الآية من أوله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف: ٥٩-٦٠) حيث نجد أن الملأ من قوم نوح قد برروا تكذيبهم لنبيهم بادعائهم ضلاله، وكان طريق إثبات هذه الدعوى الكاذبة هو افتراءهم عليه بإثبات رؤيتهم له في ضلال مبين، ولما كان أساس تلك الدعوى الكاذبة هو ادعاء الرؤية المبالغ في إثباتها بإن واللام، واستخدم حرف الجر (في) الدال على انغماسه في الضلال وإحاطته به، فضلا عن ادعاء كون ذلك الضلال بينا واضحا - أقول لما كان أساس تلك الدعوى هو تلك الرؤية الكاذبة المبالغ فيها على هذا النحو؛ ناسب هذا السياق أن يبالغ في وصف هؤلاء المكذبين بوصف مقابل لذلك بطريقة أبلغ مما يقتضى إثبات العمى فهم بصيغة دالة على الثبات والزرور تناسب ما هم عليه من انطماس بصائرهم.

ولذا قال الزمخشري: "عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ (عامين)، والفرق بين العمى والعمى أن العمى يدل على عمى ثابت والعمى على عمى حادث"<sup>(١)</sup>. ويوضح الطيبي ذلك ويعلله بقول: "لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت... ولأن اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت"<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشف ٦٨/٢ وانظر الألويسي ١٥٤/٨، الدر المنون ٢٨٩/٣.

(٢) نوح الغيب للطبي تحقيق د/ جميل الحسن الحمد/١/٥٧٥.

## اختيار صيغة (فعليل) بمعنى (مفعول)

من المعانى التى تأتى ها صيغة فعيل أن تكون بمعنى اسم المفعول<sup>(١)</sup>.  
ومن المواضع التى اختيرت فيها صيغة فعيل على اسم المفعول: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لُحْمًا  
جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٣٢)  
وقوله تعالى ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَمَّحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٥٣)  
وقوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (القمر: ٤٤)  
لفظ (جميع) فى هذه الآيات هو فعيل بمعنى مفعول فهو بمعنى (مجموع)<sup>(٢)</sup>.  
وقال الرازى فى قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ فيه فائدتان: إحداهما  
الكثرة والأخرى الاتفاق. كأنه قال نحن كثير متفقون فلنا الانتصار. ولا يقوم غير هذه  
اللفظة مقامها من الألفاظ المفردة. إنما قلنا فيه فائدتان لأن الجمع يدل على الجماعة بحروفه  
الأصلية من "ج م ع" وبوزنه وهو فعيل بمعنى مفعول على أنهم جمعوا جمعيتهم العصبية<sup>(٣)</sup>.  
ولعل فيما ذكره د/ محمود ياقوت فى التفرقة بين فعيل ومفعول ما يسر الطريق إلى فهم  
سر الاختيار فى هذه الآيات حيث يقول "ولقد رأينا أن صيغة (فعليل) تأتى بمعنى (مفعول)،  
وبين الصيغتين فرق من حيث المعنى، وهو أن فعيلاً أبلغ.. فإنه يقال لمن جرح فى أناملته  
(مجروح) ولا يقال (جريح) فعلى هذا (كحيل) (أبلغ) من (مكحول)<sup>(٤)</sup>.  
وهذا يعنى أن (كحيل) وإن كانت بمعنى اسم المفعول إلا أن مجيئها على صيغة من صيغ  
المبالغة قد أفاد معنى المبالغة مع معنى المفعولية وهو ما سميناه من قبل بالترائب الصيغى.  
وفى رأبى أن السر فى ذلك هو - والله أعلم - أن صيغة فعيل لها ظلال وإيماءات  
متعددة فهى تأتى للمبالغة، وتأتى صفة مشبهة وتأتى مصدرا وغير ذلك، فقد يكون السر  
فى اختيارها هو الإفادة من ظلال تلك الصيغة المتعددة المعنى، حيث يتسلل إلى المعنى  
الأصلى فى هذا الموضع - وهو دلالتها على معنى اسم المفعول (مجموع) - يتسلل معنى  
المبالغة، كما يتسلل معنى الصفة المشبهة الدالة على الثبات والازم.

(١) انظر د/ على طلب/ صيغة فعيل واستعمالاتها ص ١٣.

(٢) انظر الكشاف ٣/٢٨٥، الدر المنصور ٥/٤٨٣، روح المعانى ٢٣/٦.

(٣) انظر الرازى ٢٣/٦.

(٤) انظر د/ محمود سليمان ياقوت - ظاهرة التحويل ص ٧٨ ٧٩ - دار المعرفة الإسكندرية.

فأقول إن هذه المعاني تتسلل إلى الصيغة وإن كانت هي في نفسها ليست صيغة مبالغة ولا صفة مشبهة، ولكنها قد جاءت على وزن شبه بأوزانها ومن ثم توحى صيغتها بمعاني تلك الصيغ أيضا من المبالغة وثبات صفة الاجتماع لهم وغير ذلك. وثمة علة أخرى أراها لهذا الاختيار، وهي أن اسم المفعول يوحى بمعنى الحدث أكثر من الصفة المشبهة الدالة على ثبات الحدث وتأصله، فالصفات: عظيم كريم شريف، لا تدل على الحدوث بقدر ما تدل على تأصل الصفة في صاحبها.

ولما كان المعنى المقصود في تلك الآيات ونظائرها هو صفة الجمع نفسها لا حدث الجمع، لذا اختارت الآيات عن صيغة (فعليل) التي توحى بثبات الصفة وتأصلها أكثر من إيجائها بمعنى الحدث.

من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ \* وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ (الشعراء: ٥٣-٥٦).

حيث قرئ (حذرون وحاذرون) بالصفة المشبهة واسم الفاعل - قال الرازي: "أما الذي وصف فرعون به قومه فهو قوله (وإنا لجميع حاذرون) وفيه ثلاث قراءات حذرون، وحاذرون، وحاذرون بالبدال غير المعجمة.

واعلم أن الصفة إذا كانت جارية على الفعل وهي اسم الفاعل واسم المفعول - كالضارب والمضروب - أفادت الحدوث - وإذا لم تكن كذلك - وهي المشبهة - أفادت الثبوت.

فمن قرأ (حذرون) ذهب إلى أنا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم. ومن قرأ (حاذرون) فكانه ذهب إلى معنى إنا قوم ما عهدنا أن نحذر إلا في عصرنا هذا<sup>(١)</sup>.

فكان قراءة الصفة المشبهة إنما جاءت لتعبر عن كون الحذر عادة لآل فرعون، أو هكذا يدعى فرعون ليكون ذلك عذرا يعتذر به إلى أهل المدائن عن ذلك الاحتشاد الهائل من فرعون وجنده لموسى ومن معه من المؤمنين. قال الزمخشري: (ونحن قوم من عادتنا التيقظ

(١) الرازي ١٢/١٢٦٦ - الكشاف ٣/١١٥ وانظر الأتوسي ١٩/٨٢ - فتح القدير ٤/١٠١.

والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده. وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لثلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطان<sup>(١)</sup>.

فعلى قراءة (حذرون) أفادت الآية كون الحذر صفة ثابتة لفرعون وآله، أو هكذا يدعى. أما على قراءة (حاذرون) فإنها تدل على حدوث الحذر وتجدده لديهم وأن شئ ما يقتضى تجديد هذا الحذر لديهم وهو ظهور شوكة موسى ومن معه<sup>(٢)</sup>.

### اختيار اسم المفعول:

من ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ (البقرة: ٢٥) حيث اختير اسم المفعول (مطهرة) على اسم الفاعل (طاهرة)، وقد بحث الزمخشري سر الاختيار لتلك الصيغة فقال: "فإن قلت هلا قيل طاهرة! قلت) فى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فى (طاهرة) وهى الإشعار بأن مطهرا طهرهن، وليس ذلك إلا الله عز وجل المرید بعباده الصالحين أن يخونهم كل مزبة فيما أعد لهم"<sup>(٣)</sup> سبب اختيار صيغة المفعول إذا؛ أن صيغة الفاعل هنا تثبت صفة الطهر للأزواج، أما صيغة المفعول تثبت تلك الصيغة وزيادة، إذ تدل كذلك على أن شئ فاعلا لها، وليس ذلك إلا الله عز وجل فكان فى ذلك مزيد تفخيم وتشريف لتلك الأزواج الموصوفة.

### اختيار صيغة المفرد:

من أمثله البليغة قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ... عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ﴾ (التكوير: ١، ٢، ١٤) اختلفت أقوال العلماء فى هذا الموضع، وأطالوا الوقوف عنده: قال الزمخشري "فإن قلت كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله (علمت نفس) (قلت) هو

(١) الكشاف/٣/١١٥ وانظر الأوكسى ٨٣/١٩.

(٢) اكتفينا بتوجه الآية على القراءتين المشهورتين (حاذرون) و(حذرون) دون القراءة الثالثة (حاذرون) فهى قراءة ابن السمين وابن أبى عمار، قال الطبرى عن القراءتين الأوليين: "والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستقبستان فى فراء الأعمار". انظر نفاهر: الظبرى ٤٨/١٩- أبى حيان ١٨/٧- ابن عطية ٢٣٢/٤- السمين الحلبى ٢٧٤/٥- الرازى ١٢/١٢٦- الشوكانى ١٠١/٤.

(٣) الكشاف/١/٥٣.

من عكس كلامهم الذى بقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه، ومنه قوله عز وجل: ﴿رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: ٣) ومعناه معنى كم وأبلغ منه، وقول القائل:  
قد أترك القرن مصفرا أنامله

وتقول لبعض قواد المساكر كم عندك من الفرسان فيقول (رب فارس عندى) أو (لا تعدم عندى فارسا) وعنده (المقانب)<sup>(١)</sup>، وقصده بذلك التمداد فى تكثير فرسانه؛ ولكنه أراد إظهار براءته من التزديد، وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزدد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين<sup>(٢)</sup>. ومعنى هذا أن اللفظ فى هذا الموضع قد استعير لضعف معناه للدلالة على المبالغة وهو ما يقرره صاحب الكشف فيما نقله الألويسى عنه من أن "الأصل فى هذا الباب أن استعارة أحد الضدين للآخر تفيد المبالغة للتعكيس"<sup>(٣)</sup> وقال ابن عطية فى المهر "نفس: هنا اسم جنس، أى علمت النفوس، ووقع الإفراد لتنبية الذهن على حقايرة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه"<sup>(٤)</sup> وذهب الشهاب إلى أنه "تهويل لذلك اليوم وإظهار لكبرياء الله وعظمته، حتى كأن جميع النفوس البشرية فى جنب ما خلقه من الأجرام العظام أمور قليلة، ونفوس حقيرة"<sup>(٥)</sup> ويرى باحث معاصر التعبير بالمفرد هنا دون الجمع واستعارته لعكس معناه "بتجاوب مع الانقلاب الهائل الذى يحدث فى جميع ظواهر الكون والانمكاس فى حركة الخلق"<sup>(٦)</sup>.

والذى أذهب إليه أن إعجاز القرآن فى هذه اللفظة يحتمل هذه الأقوال جميعا. فما ذهب إليه الزمخشري ومن تابعه يدل على أن المتكلم "أراد إظهار براءته من التزديد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزدد... الخ" فكانه ترك تقدير الأمر لوضوحه لسامعه، فكان المرء إذا سمع "علمت نفس" قال فى نفسه: (سنعلم جميعا) ففيه من البلاغة تقرير المخاطب بما عليه والإزامة بإقامة الحججة على نفسه.

(١) المقانب: جمع يقنب، والمقنب من الخبل ما بين الثلاثين إلى الأربعين؛ وقبل زهاء ثلثمائة. (اللسان (قنب)

(٢) الكشف/٤/١٨٩.

(٣) انظر روح المعاني ٨/١٤ و ٥٧/٣٠، مقالته الغيب ٢٤١/١٦.

(٤) المهر الوجيز/٥/٤٤٣.

(٥) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى ٣٢٨/٨.

(٦) د/ محمود أمين المحضرى - الإعجاز البياني ص ٦٧.

وأما ما ذهب إليه ابن عطية من دلالة المفرد في هذا الموضع على الجنس، فيفيد اتحاد الجنس البشرى جميعا في هذه الحقيقة الثابتة في هذا اليوم حيث يحضى كل امرئ ما كسبت يده، مع ما يقتضون بذلك من شعور عام بالخوف والقلق والترقب لنتيجة تلك الأعمال ومعرفة عاقبتها ومآلها.

وكذلك تعليل ابن عطية والشهاب أن الإفراد للتحقير مما يدل على حقارة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه كما ذهب إليه ابن عطية، فكان الآية تلمح إلى معنى هذا المرء إلى المحشر وحيدا ليس معه أعوان ولا شفعاء كما قرره الله تعالى في أكثر من موضع كقوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم: ٨٠) وقوله: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٩٥).

فكان قوله تعالى ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ﴾ (التكوير: ٤) أى علمت نفس متجردة وحيدة منفردة ما أحضرت، فما قلة دفاعها عن نفسها، وما قلة أعوانها وحينئذ يقال للمجرمين المحضرين في هذا الموقف ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٤).

يقول الأستاذ سيد قطب "كل نفس تعلم في هذا اليوم المائل ما معها وما لها وما عليها.. تعلم وهذا المول يحيط بها ويغمرها.. تعلم وهى لا تملك أن تغير شيئا مما أحضرت، ولا أن تزيد عليه ولا أن تنقص منه.. تعلم وقد انفصلت عن كل ما هو مألوف لها، معهود في حياتها أو تصورها. قد انقطعت عن عالمها وانقطع عنها عالمها<sup>(١)</sup>.

وكان القرطبي قد أراد الإشارة إلى هذا المعنى كذلك حيث أورد في هذا الموضع حديث عدى بن حاتم في الصحيحين قال، قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ما بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع أن يتقى النار ولو بشق ثمرة فليفعل"<sup>(٢)</sup>.

وأما إشارة الشهاب إلى ان التحقير للنفوس جميعا فى مقابل عظم مخلوقات الله تعالى حيث تتضاهل هذه النفوس فى ذلك المشهد أما الملك فتصير كأنها نفس واحدة، وهذا ما

(١) انظر الظلال/٦/٣٨٤١.

(٢) القرطبي ٧٠٢٧/١٠ ط الريان.

يعبر عنه رب العزة جل وعلا فى قوله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَمْلِكُكُمْ إِلَّا كُفَيْسُ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (لقمان: ٢٨) فهذه النفوس جميعا هى أمام عين الله تعالى سواء، فلا يلتبس عليه رؤيتهم، ولا تختلط عليه أصواتهم فهم أمامه كنفوس واحدة، حيث " يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى، وينفذهم البصر" كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> من ثم يتخرج هذا الوجه على رعاية حال المتكلم، وذلك أن الحق سبحانه قد عبر عن كثرة النفوس فى ذلك المشهد بالوحدة لأنها كذلك بالنسبة له سبحانه، وفيه من رعاية حال المخاطب كذلك تهويل الأمر له وتخويله حيث يعلم أنه لا يخفى على الله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (غافر: ١٦) أو كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَلْعَبُونَ لَأَلْخَفَى مِنْكُمْ خَافِيَةً﴾ (الحاقة: ١٨) وعندى أنه يجوز فى الآية وجه آخر، وهو أن يكون المقصود بنفس؟ نفس مهملة مغيبة من الخطاب محتقرة، ويعرض بها رب العزة جل وعلا، كأنه قال: علمت نفس مفرطة معرضة مقصرة فيما كلفت به ما أحضرت من العمل حينما توقف للحساب.

والذى أراه أن الآية تحتمل بصيغتها تلك الوجوه جميعا، ولا مانع من أن تكون تلك المعانى مراده جميعا لا سيما وأن لكل منها وجها صحيحا غير معارض، مع اتساقها جميعا مع مشهد هذا اليوم.

وقد تكرر ذلك الاختيار لتلك الصيغة بنفس الأسلوب فى سورة الانفطار التالية لتلك السورة فى قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ وما قيل فى الموضوع الأول يمكن أن يقال فى هذا الموضوع كذلك؛ ومن ثم تتعدد دلالات المفرد فى هذا الموضوع ما بين الدلالة على التكثير أو التحقير أو التقليل أو التعريض إلى غير ذلك من المعانى.

من الأمثلة البليغة التى تحققت فيها المزاوجة بين صيغتي الإفراد والجمع: قول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: ١٣-١٤) فقد جمع "خالدين" فى وصف ثواب

(١) الحديث أخرجه البخارى ٣/١٦٤، ٦/١٠٥ ط الشعب، مسلم فى الإيمان ١/٤٦٩ بشرح النووي ط الشعب.



الطائعين، وأفرده في وصف عقاب "العاصين"<sup>(١)</sup> وهنا لا يكاد يشك صاحب الذوق الرفيع أن لإفراد العاصي هنا فيه من معاني الإذلال والتعذيب بالوحشة والإنفراد ما فيه. وقد التفت إلى هذا المعنى العلامة أبو السعود حيث قال "ولعل إشار الإفراد ههنا نظرا إلى ظاهر اللفظ، واختيار الجمع هناك نظرا إلى المعنى للإيدان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة"<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالذكر أن هذه المزاوجة المذكورة في هذا الموضع هي طريقة القرآن ونهجه في التعبير عن عذاب الكافر، ونعيم المتقين، حيث يطرد الإفراد بالنسبة للكافر والجمع بالنسبة للمؤمن للفرس نفسه، وهذا ما نلمحه في المثال التالي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّمُورِ • طَعَامَ الْأَيْمِمْ • كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ • كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ • خَذْوَةٌ فَاغْتِيلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ • ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ • ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان: ٤٣-٤٩) حيث نلمح في هذه الآيات إفراد الأئيم في مقابل جمع المتقين في الآيات التالية في المشهد التالي من السورة نفسها: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَيْمِمْ • فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونِ • يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ • كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِيمِمْ • يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينِمْ﴾ (الدخان: ٥١-٥٥) وهنا تؤدي صيغة المفرد دورها في إحداث ذلك التقابل البديع بين الأفراد الكافر ومعاناته عذاب الوحشة والوحدة فوق عذاب الجحيم في مقابل التناس المؤمن بصحبته ورفاقه في جنات النعيم، فنرى التقابل بين ذلك العذاب المضاعف، وذلك النعيم المضاعف.

وبهذا تؤدي صيغة المفرد في مثل هذا السياق معنى الوحشة والوحدة ومعاناة ألم الغربة والافتراق.

ومن الأمثلة البليغة أيضا في اختيار صيغة المفرد قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ (مریم: ٤) قال الزمخشري في بيان سر اختيار المفرد دون الجمع (عظام) في هذه الآية "وإنما ذكر العظم...، ووحده لأنه هو الدال على معنى

(١) سورة النساء/١٣/١٤.

(٢) تفسير أبي السعود/٢/١٥٤.

الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركيب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها<sup>(١)</sup>.

ومن ثم كان لصيغة المفرد دورها فى إبراز معنى الجنسية بخلاف صيغة الجمع التى قد تصرف الذهن إلى إرادة معنى الشمول، وهو غير مراد فى هذا المقام.

### اختيار صيغة الجمع

قد باتى اختيار صيغة الجمع وإثارها على المفرد لمعنى المبالغة أو التكرير، فمن ذلك قوله تعالى فى تشييل حال المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: ١٧) ففى هذا الموضع يمثل الله تعالى نكائر الشبهات على المنافقين بتخليهم عن الإيمان، بمن انطفأ نوره فصار فى ظلمة حالكة ولكنه جمع هذه الظلمة ليناسب بها كثرة الشبهات التى تعرض للمناق وتحيط به حتى ينخلع عن ريقة الإيمان والإسلام. أو يكون تكثر انظلمات باعتبار محالها فى القلب والبصر والحال، قال البقاعى: "وتركهم فى ظلمات: "أى بالضلالة من قلوبهم وأبصارهم وليهم أى ظلمات لا ينفذ فيها بصر، فلذا كانت نتيجة "لا يبصرون" أى لا إبصار لهم أصلاً يبصر ولا بصيرة"<sup>(٢)</sup> وقد يكون تكثر الظلمات هنا إنما هو باعتبار عظم ما هم فيه من الكفر والضلال، فهى "وإن كانت ظلمة واحدة لكنها لشدتها استعير لها صيغة الجمع مبالغة"<sup>(٣)</sup> تكثر الظلمات هنا إنما هو إما باعتبار قوتها وإما باعتبار كثرتها، وعلى النحو من ذلك يمكن أن يفسر أيضاً جمع الظلمات دون الرعد والبرق فى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْمَعُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حُدُورَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٩) ومن الأمثلة كذلك: قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: ٨٤)، وبينما أثر التعبير القرآنى صيغة المفرد فى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ

(١) انظر الكشاف/٢/٤٠٥.

(٢) البقاعى ص ١١٩/١٢٠ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاع ط مجلس دائرة المعارف العثمانية بمبدر آباد الدكن.

(٣) انظر روح المعانى/١/١٩٧.

عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مَنِيٌّ وَلِتَصْتَعِ عَلَيَّ عَيْتِي﴾ (طه: ٣٩) نراه يؤثر هنا صيغة الجمع في مقام تسلية النبي ﷺ وتبئته إزاء إيذاء المشركين له.

كما نجد إظهار صيغة الجمع كذلك في خطابه تعالى لنوح عليه السلام في مثل هذا المقام أيضا مقام التثبيت في قوله تعالى: ﴿وَأَصْتَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا وَلَا نُمَخِّطِيْهِ فِي الْذَلِيْنَ ظَلَمُوا إِلَيْهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (هود: ٣٧).

ومن ذلك قول المهلهل بن ربيعه في رثاء أخيه كليب:

على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت بحياة الحدور<sup>(١)</sup>

حيث اختار الجمع (الحدور) على التعبير بالمفرد (الحدرد) وذلك دلالة على المبالغة في استنارها، ولذا اختار صيغة اسم المفعول (مخياة) مشتقة من الفعل (خيا) المضعف الدال على المبالغة في الفعل كذلك، وصيغة المفعول تدل على أن شمة أهلا قد خباؤها وأخفوها وبالغوا في سترها ومن كانت بمثل هذا النوصف في تخبيثها وتخديرها وإخفائها لفرط حسننها وجمالها فإنها إذا برزت يوما فإن الرجال لا يتطلعون إلى اجتلاء محاسنها، والنظر إلى مفاتنها المخياة خلف الحدور، وهذا كله يعمق ما في الشاعر بصده من المبالغة في وصف أخيه كليب بصفات المروءة ومن بينها صفة العفة التي قصد إلى المبالغة في وصفه بها في هذا البيت.

### اختيار صيغة الجمع بين القلة والكثرة

شمة مواضع يوظف فيها جمع القلة لأغراض ومعان لا يعبر عنها جمع الكثرة، فمن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبا: ٣٧) حيث جاءت الآية هنا على صيغة القلة غرفات، بينما اختيرت صيغة الكثرة في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرُفًا تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (العنكبوت: ٥٨) وقوله ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيْبُتَةٌ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا مُخْلِفَ لِلَّهِ الْمِيْعَادَ﴾ (الزمر: ٢٠) وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن جمع القلة في الآية الأولى قد أريد به الكثرة وذلك حتى

(١) انظر موسوعة الشعر العربي ١/١٩٥.

يمكن الجمع بين هذه الآية والآيتين الأخريين اللتين جاء التعبير فيهما بصيغة الكثرة، بل أنهم يرون أنه لا فارق بين هذه الآيات التي جاءت بصيغة الجمع، وبين ما جاء بصيغة المفرد في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (الفرقان : ٧٥)؛ إذ الجمع في الدلالة على الكثرة سواء، إذ الشأن ألا تفاوت<sup>(١)</sup>. والحق أن هذا القول قد وقف في التسوية بين معاني تلك الصيغ (جمع القلة - جمع الكثرة - المفرد) عند المستوى اللغوي دون المستوى الكلامي؛ إذ إن المفرد يصح التعبير به لإرادة الجنس فبدل على الكثرة، وجمع القلة ينوب عن المفرد كذلك في الدلالة على الجنس<sup>(٢)</sup> ومن ثم فهذه الصيغ من جهة المستوى اللغوي سواء لا اشتراكها جميعا في الدلالة على الكثرة.

أما البحث في الخصوصية الدلالية لكل صيغة من تلك الصيغ، فهذا هو ما يتميز به المستوى الفنى الكلامي لدلالة الصيغة ولكي ندرك الخصوصية الدلالية لكل صيغة من تلك الصيغ لا بد لنا من مراجعة سياقها الذى وردت فيه. ففي الموضوع الأول جاء سبب الجزاء مقتضرا على الإيمان والعمل الصالح مما يشعر أن أصحاب هذه المنزلة هم المقتصدون أصحاب منزلة الوسط في العمل فهم في المنزلة الثانية من منازل العابدين التى بينها الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ • جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾ (فاطر ٣٢-٣٣). ومن ثم جاء جزاؤهم محدودا كما أن عملهم كان محدودا كذلك فهي منزلة من أدى الواجبات وترك المحرمات، فهؤلاء هم أصحاب اليمين.

وأما الموصوفون في الآيات الأخرى فهم السابقون (على نحو تفرقة سورة الواقعة بين الفريقين، انظر الآيات الأولى من سورة الواقعة) وإذا راجعنا سياق آية العنكبوت نجد أن قول الله تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِبْرَائِي فَاغْبِثُوا﴾ (العنكبوت/٥٦) يشعر بوصفهم بالهجرة، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٩) صريح في وصفهم بصفة الصابرين، وقد قال تعالى في جزاء هؤلاء المهاجرين الصابرين: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ

(١) انظر تفسير البهزادى وحاشية الشهاب ٤٣٨/٦، وانظر د/ محمد الأمين الحفصرى - الإعجاز البياني في صيغ

الألناظ ص ١٤٥.

(٢) انظر المحسن لابن جنى ١٨٧/١ ١٨٨ وسأبى نقله تقريبا.

اللَّهُ وَسِعَتْ إِلمَّا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠) حيث جاءت الإشارة كذلك إلى وصفهم بالهجرة والتصريح بوصفهم بالصبر، وكان ذلك إشارة إلى تلازم الأمرين. وينتهي سياق النداء لهؤلاء المتقين في سورة الزمر ببيان حسن جزائهم بقوله ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ﴾ ... الآية، وبهذا يتناسب تكثير الغرف، ومجيؤه بصيغة الكثرة مع جزاء هؤلاء الصابرين الذي جعله الله تعالى لهم بغير حساب ولا حد، أما حينما كان العمل محدوداً، جاء الجزاء محدوداً بالضعف، وجاءت الغرفات موصوفة بصيغة الجمع الدال على عدد محدود، لا على كثرة غير متناهية. وإن كان القارئ يظلم مغتبطاً على كل حال بجزء الضعف وتلك الغرفات بقوله ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مِّثْلُهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ حقاً إنه وعد الله للسابقين المهاجرين والمؤمنين الصابرين أن يوفيههم أجرهم بغير حساب.

وينحو هذا الإعجاز القرآني الذي يغبط المقتصد، ويهيج السابق على ما بينهما من بون شاسع في الجزاء يأتي الإعجاز النبوي ينحو هذا الأسلوب كذلك في تعبيره ص عن جزاء قارئ القرآن حيث يقول:

"من يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق فله أجران" فانظر كيف رغب النبي ﷺ ذلك المتتبع حتى ظن أنه أفضل من الماهر بالقراءة في الأجر، ولكن إن هولاء المهرة أجزا بغير حساب، فمن ثم ناسب التعبير بالغرفات حيث كان العمل والجزاء محدوداً، وناسب التعبير بالغرف حيث كان العمل والجزاء بغير حدود.

أما أصحاب الغرفة فهم سابقو السابقين، ومقربو المقربين، فهم أصحاب الغرفة الفريدة بما لهم من صفات فريدة، ولم لا وهم صفوة الصفوة، ومن ثم فقد امتازوا بتلك الغرفة وكأنها غرفة عجيبة فريدة قد وعدوها في الدنيا، فالإلام فيها للعهد، وقد جاء في بعض الأخبار أنها من زمرد وماقوت وأنها مبنية لبنة ذهب ولبنة فضة ونحو ذلك

قال ابن كثير "وفي الصحيح" إن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها "فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال ﷺ " لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام"، وروى الإمام أحمد عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله قال: " إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء" ومن

ثم فاختيار التعبير بالمفرد في هذا الموضوع دليل على الخصوصية والتمييز وإن كان ذلك لا ينفي مجيء المفرد في هذا الموضوع دالاً على الجنسية كذلك.

هذه الخصوصية في الجزاء تناسبها تلك الخصوصية في العمل الذي كان عليه عباد الرحمن الذين وعدهم الله تلك الغرفة في الدنيا، حيث قال الله تعالى في وصفهم: ﴿وَجِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \* وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا \* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا \* ... أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (الفرقان ٦٣-٧٥) ومن ذلك أيضاً امتنان الله تعالى على المؤمنين بنصر بدر إذ يقول ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣) والمؤمنون المخاطبون بذلك كثير، فلماذا اختار الله تعالى صيغة جمع القلة (أذلة) على صيغة الكثرة (أذلاء) أو (ذلان)؟

قال الزمخشري " والأذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضع يعتقد النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد، وقتلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس"<sup>(١)</sup>.

وقال الألوسي: (وأذلة) جمع قلة لذليل، واختير على ذلائل ليدل على قنتهم مع ذلتهم، والمراد بها عدم العدة لا الذل المعروف فلا يشكل دخول النبي ﷺ في هذا الخطاب إن قلنا به، وقيل لا مانع من أن يراد المعنى المعروف ويكون المراد (وأنتم أذلة) في أعين غيركم وإن كنتم أعزّة في أنفسكم<sup>(٢)</sup> من ثم جاء اختيار صيغة القلة هنا مناسباً لقلة العدد فعدهم وإن كان كثيراً في نفسه، فإنه قليل بالنسبة لعدد أعدائه وكذلك قلة العتاد والسلاح وراثته الحال.

(١) انظر الألوسي ٥٣/١٩، ابن كثير ٢١٦/٤.

(٢) انظر الكشاف ٢١٥/١، وانظر الرازي ٤٣٤/٤ فقد تابعه على ذلك ونقل كلامه.

فمن ذلك قوله تعالى مخاطبا اليهود: ﴿أَنكَلْنَا جَانِعَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة : ٨٧).

حيث انشغل المفسرون ببيان سر العدول إلى المضارع (تقتلون)، ولكنى لم أجد فيما اطلعت عليه من التفت إلى سر اختيار صيغة الماضي في قوله تعالى (كذبتم) والسر فيه فيما أرى - والله أعلم - أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ، وقد كان تكذيبهم له وقت الخطاب حاصلًا فالتكذيب حصل قبل الخطاب ومن ثم الماضي في التكذيب على حقيقته ولا رسول بعد محمد ﷺ يكذبه فلا معنى للمضارع إذا.

أما فعل القتل فإنه لم يكن قد انتهى منهم بعد، وذلك لشروعهم في قتل محمد ﷺ على تقدير أن الآية قد نزلت قبل فعلتهم الخبيثة؛ أما على تقدير نزولها بعد تلك الفعلة فهي تقرير للحال الحاضر وخير ما يدل على الحقيقة هو المضارع، فلا جرم جاء الخطاب بصيغة المضارع التي تدل على أنهم لم ينتهوا بعد من عاداتهم في قتل الأنبياء، بشروعهم في قتل محمد ﷺ؛ ومن ثم دسوا له السم في الشاة التي دعوه إليها بخير. وعلى هذا النحو أيضا ورد قوله تعالى في سورة المائدة ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاهِبْكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَقَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (المائدة : ٧٠).

### اختيار صيغة المضارع

من أمثلة اختيار صيغة المضارع ما جاء في قوله تعالى في وصف المنافقين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة : ١٤) فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ بِمَتْنُونٍ﴾ (البقرة : ١٥) حيث جاء التعبير في جواب الله تعالى بصيغة المضارع دون اسم الفاعل مستهزئ مثلا قال الزمخشري "فإن قلت فهلا قيل الله يستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله "إنما نحن مستهزئون" (قلت) لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكبات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم "أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين" وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أstar وتكشف أسرار، ونزول في

شأنهم، واستشعار حذر من أن ينزل فيهم ﴿يَحذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً لَتُبَيِّنُنَّهَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَخِرُوا إِنْ أَلَّ اللَّهُ مَخْرَجًا مَا نَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> (التوبة: ٦٤). وقال الزمخشري في قوله تعالى ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ \* وَالطُّبَيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أُوَابٌ﴾ (سورة ص: ١٨-١٩) "ويسبحن في معنى ومسبحات على الحال (فإن قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسييح من الجبال شيئا بعد شيء، وحالاً وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسيح مثله قول الأعشى: "إلى ضوء نار في يفاع تحرق" ولو قال محرقة لم يكن شيئاً<sup>(٢)</sup> وقد علق ابن المنير على الموضوع السابق ذكره عن الزمخشري في آية البقرة مقرراً كلام الزمخشري في هذا الموضوع ومويده بأمثلة آخر فقال "ولهذا الفرق بين الفعل والاسم ورد قوله تعالى ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ \* وَالطُّبَيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أُوَابٌ﴾ (سورة ص: ١٨-١٩) لما كان التسييح من الطوائف متكرراً متجدداً شيئاً فشيئاً، وحشر الطير معه أمر دائم؛ ذكر التسييح بصيغة الفعل والحشر بصيغة الاسم<sup>(٣)</sup> ويناسب ما قيل أن التسييح إنما يكون غالباً بتكرار جملة أو أكثر يراد بها تنزيه الله تعالى وتمجيده، ومعنى ذلك أن تلك الجملة ينتهي ترتيبها ثم يتجدد، وهذا هو الواقع من داود عليه السلام فناسب ذلك أن يكون تسييح الجبال والطيور بصيغة تدل على التجدد كذلك.

(١) انظر الكشاف ص ٣٥/١ قلت والذي ذكره الزمخشري في غابة الجودة ولكنه ترك الكلام على اختيار صيغة المضارع في الفعل التالى" وبمدهم في طغيانهم بعمهون" وهو بدل على عقاب الله تعالى لأولئك المنافقين الذين أعرضوا عن قبول الهدى مراراً فعاقبهم الله على ذلك بأن صرف قلوبهم عن الحق، وطبع عندها، وأمدهم في طغيانهم بعمهون، والآيات اندالة على ذلك كثيرة: فمنها قوله تعالى: "قل من كان فى الضلالة فليمد له الرحمن مداً" مريم: ٧٥ وقوله: ﴿ وَتَقَلَّبَ أَلْبَابَهُمْ وَانْبَصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يَلْمِئُوا بِهِ أَوْلَىٰ مَرَّةً وَتَدْرَهُمْ فِي طَغْيَانِهِم بِغَمْتُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٠) وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِقَوْلِي لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٢١) وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣) إغ ما ورد فى ذلك من الآيات ولعل الزمخشري قد فر من انعرض هذه النقطة لما فيها من المخالفة لعقيدة الاعتزال.

(٢) انظر الكشاف ص ٣٢٠/٣.

(٣) انظر الكشاف ص ٣٥/١.



## اختيار صيغة المبني للمجهول

من أمثله في القرآن، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (ق: ٣٠) ، وذلك بالبناء للمجهول على قراءة ابن مسعود والحسن والأعمش<sup>(١)</sup> قال ابن جنى: "هذا يدل على أن قولنا : ضرب زيد ونحوه لم يترك ذكر الفاعل للجهد به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بزيد، عرف الفاعل به أو جهل لقراءة الجماعة: (يوم نقول) وهذا يؤكد عندك قوة العناية بالمفعول به" فالغرض البلاغى من اختيار صيغة المبني للمجهول فى هذه الآية على غيرها من الصيغ هو - كما ذكر ابن جنى - لفت الأنظار إلى جهنم وامتلائها بصرف النظر عن قائل ذلك لها. ومن ثم ففائدة البناء للمجهول غالباً هى تغييب الفاعل إلى هامش الشعور لغرض بلاغى هو إفساح الاهتمام بالمفعول. ومن ثم يأتى مناسب لجو التهيب الذى يقتضيه مقام الآيات وسياقها. وعلى هذا النحو جاء التعبير بصيغة البناء للمجهول فى قوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران: ١٨٥) وذلك للغرض السابق وهو تركيز الاهتمام على ما هو أهم وهو هنا نجات هذا العبد من تلك النار، ودخوله الجنة، بصرف النظر عن فاعل ذلك له.

فضلاً عما يفيد البناء للمجهول من فائدة تعميم الفاعل وهذا يناسب حال العبد فى هذا الموقف ورغبته فى النجاة بأى وسيلة، من مغفرة الله عز وجل أو شفاعته النبى ﷺ، أو عمل صالح يكون قد ادخره لهذا اليوم.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ كَيْفَ خُلِقَتْ • وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ • وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠). والنكتة هنا فى البناء للمجهول هى تغييب الفاعل الذى يمجده هؤلاء الكافرون، ليفسح مجال النظر إلى دلائل قدرته التى لا يدعيها أحد غيره سبحانه، فإذا سلم هؤلاء الجاحدون بما فى هذه المخلوقات من حكمة وقدرة وإبداع لا يدعيها أحد غيره سبحانه ولا يصح نسبتها إلى أحد سواه، فقد سلموا بأنه لا خالق غيره ولا رب سواه. ومن ثم جاء اختيار البناء للمجهول لإفساح المجال للنظر فى الأدلة الدالة على الفاعل الصانع ليتوصل إليه المشركون ويقولوا به بأنفسهم فيكون هذا الطريق أقوى فى إقامة الحجة عليهم من طريق التصريح بالفاعل.

(١) انظر المحتسب ٣/٢٨٤.

ومن الأمثلة القرآنية أيضا: قول الله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (البقرة: ٢١٢) وقوله تعالى ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ (آل عمران: ١٤) حيث يطيل المفسرون والمتكلمون الوقوف في البحث عن فاعل التزيين هل هو الله أم الشيطان؟<sup>(١)</sup> وتأتي الآيات بالبناء للمجهول في تلك المواضع لتفسح المجال لتأمل حقيقة أمر هذه الحياة الدنيا وهو أنه مجرد تزيين وتغريب ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥) ومدع القرآن أولئك المتكلمين فيما يخوضون فيه فلا يبالى بإجابتهم عن المزين هل هو الله أم الشيطان.

ومن الأمثلة في الشعر قول المتنبي:

وَقِيَّ الْأَمِيرَ هُوَى الْعَيُونَ فَإِنَّهُ مَالًا يَزُولُ بِبَاسِهِ وَسَخَاةِ

حيث بنى الفعل (وقى) للمجهول وذلك لشيوع العلم بالفعل وهو الله سبحانه وتعالى، وهو مناسب للإيجاز، وهو من البلاغة بمكان<sup>(٢)</sup>.

### اختيار صيغة أفعال

تأتي صيغة (أفعل) لأغراض ودلالات بلغ بها "أبو حيان" عشرين ونيفا، أشهرها التعدية ومنها الدلالة على الصيرورة والسلب والتمكين والتعريض. وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الحاجب "وأفعل للتعدية غالبا نحو أجلسته، وللتعريض نحو أبعته ... ولوجوده على صفة نحو أحمده وأجلته..."<sup>(٤)</sup> فمما جاء للتعدية قوله تعالى عن مريم عليها السلام ﴿فَأَجَابَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ (مريم: ٢٣)، حيث جاءت صيغة أفعل للتعدية لتعبر عن معنى الاضطراب والإجاء، وهذا يناسب حالة الضيق والكرامية لهذا الأمر من مريم عليها السلام حيث عبرت عن ذلك بقولها ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ تُسْمِيًا مُسْمِيًا﴾<sup>(٥)</sup> (مريم: ٢٣)

(١) انظر الكشف ١/١٢٨ ١٧٨.

(٢) انظر شرح التبيان للكبيري ١/٧.

(٣) انظر البحر المحیط ١/٢٦.

(٤) انظر شرح الشافية ١/٨٣.

(٥) انظر أهنية الأفعال/ نجاة الكوفي ص ١٠٢، ٣٢، وانظر الدر المنصور ٤/ص ٤٩٧/٤٩٨، المهر الوجيز ٤/ص ١٠.

روح المعاني ٦/ص ٨٦، المصائر ٢/٤١٣، مفاتيح الغيب ١٠/ص ٤١٣، النقرطبي ٦/٤١٣١.

وقد انفردت صيغة أفعل من بين صيغ الفعل المزيد بالدلالة على معنى التعريض، والمراد به: جعل ما كان مفعولا لثلاثي معرضا لأن يكون مفعولا لأصل الحدث كقوهم أسقيته بمعنى: وفرت له ما يشربه، أو عرضت له الشراب، شرب أم لم يشرب ومثله أقبرته: أى جعلت له قبرا يقبر فيه فى الحال أو الاستقبال.

والملاحظ فى مثل هذه الأفعال: (سقى وأسقى) (قبر وأقبر) أنها كانت متعددة قبل دخول الهمزة وظلت على حافا من التعدى بعد زيادتها، بمعنى أن الهمزة لم تؤثر فى عمل الفعل كما هو الشأن فى همزة التعدية لكنها أثرت على حكم المفعول به، لأن الحدث مع الثلاثى واقع على المفعول، فإذا دخلت الهمزة صار وقوع الفعل محتملا بعد أن كان محققا. فقولنا مثلا: (باع التاجر تجارته) يفيد إتمام البيع، وأما: (أباع التاجر تجارته) فإنما يفيد أنه عرضها للبيع. واستشهد" الزجاج" على ذلك بقول الشاعر:

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع فرسا فليس جوادنا بمباع

والمعنى: فليس جوادنا بمعرض للبيع

ومن مجيء الهمزة للتعريض قوهم: أقتلت الرجل عرضته للقتل، وأحبسه إذا فعل به فعلا عرضه به لأن يجبس، قال ثعلب: "(حبست الرجل عن حاجته... إذا منعت من التصرف فى أموره وأحبست فرسا فى سبيل الله... إذا جعلته وقفا على الغزاة يجاهدون عليه ومنعت من بيعه وهبته) وقد اختلفت الأقوال فى قولهم: سقاه، بمعنى قدم له الشراب فتناوله، وأسقاه بمعنى وفر الشراب وجعله معرضا للشاربين، فقييل: هما لغتان أى أن الفعل المزيد استعمل فى معنى مجردة فى بعض اللغات<sup>(١)</sup>. وقال سيبويه: "وتجىء أفعلته على أن تعرضه لأمر وذلك قولك أقتلته أى عرضته للقتل وتجىء مثل قبرته وأقبرته فقبرته دفنته وأقبرته جعلت له قبرا وتقول سقيته فشرب وأسقيته جعلت له ماء وسقيا ألا ترى أنك تقول أسقيته نهرا<sup>(٢)</sup> وقال الفيروزابادى" والسقى والسقيا: أن تعطيه ما يشرب والإسقاء: أن تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء. والإسقاء أبلغ من السقى لأن

(١) انظر د/ بحاة الكوفى - أبنية الأفعال ص ٣٥/٣٦.

(٢) انظر سيبويه ٢/٢٣٥.

الإسقاء: هو أن تجعل له ما يستقى منه وبشرب، تقول: أسقيته نهراً. قال تعالى:

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٣١) وقال ﴿فَأَسْقَيْنَا كُمُوهُ﴾ (الحجر: ٢٢)

وقال ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ (النحل: ٦٦) أى جعلناه سقياً لكم وقيل: سقاه

لشفته، وأسقاه لدابته<sup>(١)</sup>.

وقد ورد الفعل المجرد والمزيد فى القرآن الكريم فى عدة مواضع.

أما المجرد فجاء مسنداً لله تعالى ولغيره نحو ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾، وفى قصة موسى عليه

السلام ﴿فَمَسَى لَهْمًا﴾ وأما المزيد فجاء فى جميع المواضع مسنداً إلى ضمير لفظ الجلالة مراداً

به توفير الشراب فى الحياة الدنيا، وكونه معروضاً لطلبه، مبذولاً لحاجته، لا فرق بين ما

كان من بطون الأنعام أو من النهر أو ماء السماء، ولا فرق أيضاً بين شراب الحيوان أو

الإنسان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ (المرسلات:

٢٧) ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُمُوهُ﴾ (الحجر: ٢٢) وقوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا

عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦) ﴿وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا

فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٦) ﴿لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً

مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَلْعَامًا وَأَنَابِيءَ كَثِيرًا﴾ (الفرقان: ٤٩) والمعنى فى هذه الآيات

الكريمة أن الله سبحانه وفر للإنسان والحيوان ما يستقى منه فى الحياة الدنيا، وجعله

معروضاً لحاجته، معروضاً لليل منه، فكان المقصود هنا ليس هو مجرد الامتنان بالماء بل

الامتنان هنا يجعله مهياً للشرب والتناول، وذلك على نحو امتنانه سبحانه على عباده فى

سورة الواقعة فى قوله ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ \* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ

الْمُنزِلُونَ \* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٦٨-٧٠).

وما ذكرته هنا إنما هو استناد إلى أن من معانى (أفعل) التعريض، كما يقال (أبعته) أى

عرضته للبيع.

أما الثلاثى المجرد فقد جاء مسنداً إلى الخالق عز وجل فى موضعين: قال تعالى: ﴿وَحَلُّوا

أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾

(الشعراء: ٧٩).

(١) انظر بصائر ذوى التمييز ص ٢٣١-٢٣٢.

والفعل فى الآفة الأولى جاء فى موضع الامتتان على الأبرار فى الآخرة، وجاء فى الآفة الثانية فى مقام شكر النعمة فى الحياة الدنيا، وربما كان الغرض من مجىء الفعل مجرداً، الدلالة على أن المقصود هنا هو الامتتان بنعمة الماء نفسها، ويؤيد ذلك وصفه بالظهور فى الآفة الأولى، ووروده مقروناً بالطعام الذى هو قوام الحياة فى الآفة الثانية<sup>(١)</sup>.

وجاء الثلاثى المجرد فى بقية المواضع مسنداً إلى المخلوقين، مراداً به تقديم الشراب للإنسان أو الحيوان فى الحياة الدنيا نحو ﴿بِمَا صَاحَبِي السُّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ سَقِي رَبُّهُ خَمْرًا﴾ (يوسف: ٤١)،<sup>(٢)</sup> ولا شك أن شمة فارقالين تقديم الشيء وبين جعله معروضاً لمن أرادته ورغب فيه؛ ولذا جاء التعبير بالفعل المجرد فى وصف حال أهل الجنة منسوباً إلى رب العزة حل وعلا تكريماً منه سبحانه وتشريفاً لأصحاب النعيم.

ومما جاءت فيع أفعل للدلالة على وجدان الشيء على صفة قوله تعالى فى وصف النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ٣١) قال ابن عطية: أكبرته معنا: أعظمته واستهولن جماله" ونسبه إلى الجمهور.

وشمة قوله آخر أن أكبرته بمعنى حرضن، والهاء للسكت وقد ضعفه الطبرى وابن عطية وغيرهما من المحققين<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشرى: (أكبرته) أعظمته وهين ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق<sup>(٤)</sup> قال الرازى إنما أكبرته لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيماً الرسالة، وآثار الخضوع والاحتشام، وشاهدن منه مهابة النبوة وهيبة الملكية، وهى عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح، وعدم الاعتداد بهن، وكان الجمال العظيم مقروناً بتلك الهيبة والهيئة فتعجبين من تلك الحالة فلا جرم أكبرته وأعظمته، ووقع الرعب والمهابة منه فى قلوبهن، وعندى أن حمل الآفة على هذا الوجه أولى<sup>(٥)</sup>. ومعنى ذلك أن النسوة توسمن فى يوسف العظيمة، وصادفته ملكاً فى صورة

(١) انظر أبنية الأفعال ص ٣٦ ٣٧.

(٢) انظر أبنية الأفعال ص ٣٧.

(٣) انظر الطبرى ٧٧/٦ والمهرج الوجيز ٢٣٩/٣، الدر المصون ١٧٥/٤ والرازى ٤١/٩، القرطى ٣٤٠٩/٥.

(٤) الكشف ٢٥٣/٢.

(٥) الرازى ٤٢/٩.

البشر، فكان المعنى أنهم وجدته كبيرا فى الهيبة والوقار والجمال والملكية وغير ذلك من الصفات فوق ما كن يتصورنه فى مخيلتهن ومن ثم أصابتهم الدهشة فقطمن أيديهن لما فوجئن به وصادفنه من هذا الجمال الباهر، والخلق الوافر.

ومن ثم جاءت صيغة (أفعل) فى هذا السياق أكثر مناسبة من نظائرها كصيغة (فعل) على سبيل المثال، التى تدل على وجود الشيء ومصادفته على صفة ما.

### اختيار صيغة (فَاعَلٌ)

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩) حيث جاء وصف المنافقين بأنهم (يخادعون الله) بصيغة المفاعلة وهذه الصيغة تأتى لمعان منها التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلا، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ فينسب للبادى نسبة المفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية. فإذا كان أصل الفعل لازما صار بهذه الصيغة متعدبا نحو ماشيته، والأصل: مشيت ومشى. وتأتى هذه الصيغة لمعان منها: المغالبة.

والمالاة: فيكون بمعنى أفعل المتعدى، كواليت الصوم وتابعته بمعنى أوليت وأتبعته وأتبع بعضه بعضا<sup>(١٧)</sup> وقد استشكل حمل الآية على هذه المعانى، ومن ثم قيل "ربما كانت المفاعلة بتزويل غير الفعل منزله كيخادعون الله، جعلت معاملتهم لله بما انطوت عليه نفوسهم من إخفاء الكفر وإظهار الإسلام، ومجازاته لهم، مخادعة.

وقد أطل الزمخشري فى هذا الموضع فقال "الخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارس يده على باب حجره أو همه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر (فإن قلت) كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنون لا تصح؛ لأن العالم الذى لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذى لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنين وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا" ثم ذكر فى جواب ذلك وجوها أربعة: أحدها: أن يقال: كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده فى عداد شرارة الكفرة.. صورة صنع الخادع، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم.

(١٧) انظر شذا العرف ص ٤٢-٤٣.

والثاني: أن يكون ذلك ترجمة عن معتقداتهم وظنهم أن الله مسمى يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقاً لم يكن عارفاً بالله ولا بصفاته...  
والثالث: أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول ﷺ لأنه خليفته في أرضه والناطق عن عنه بأوامره...

والرابع: أن يكون من قوهم (أعجبني زيد وكرمه) فيكون المعنى (يتخادعون الذين آمنوا بالله، وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص، ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك...) (١)

هذه الوجوه التي ذكرها الزمخشري في هذا الموضع - في رأيي - أن المقام يحتملها جميعاً، وأرى ألا تنافي بينها، بل أنها تمثل نوعاً من التراء الدلالي لتلك الصيغة ويعد ذلك دليلاً على جمال توظيفها الفني في هذا السياق.  
ومن ثم كان للتعبير بهذه الصيغة في هذا الموضع أثره في الكشف عن سوء طوية هؤلاء المنافقين.

وإذا كان لا بد لنا من ترجيح فأرى أن الوجه الأول الذي ذكره الزمخشري هو أرجح تلك الوجوه التي تعلق لاختيار تلك الصيغة في هذا الموضع؛ وذلك لأنه أوضحها وأسلمها عن المعارضة، وإن كان ذلك لا يمنعنا من الإفادة من الظلال الأخرى لتلك الصيغة. وقد تأتي هذه الصيغة دالة على الكثرة، ومن أمثلتها في الشعر: قول النابغة:  
وقفت فيها أصيلاًنا (أسألها) عيت جواباً وما بالربع من أحد (٢)  
وكذا قول المهلهل بن ربيعة:

(تسألني) أميمة عن أبيها وما تدرى أميمة عن ضمير (٣)

ومن الشعر الحديث، قول نجيب الكيلاني في ديوانه مهاجر:

(تسألني) عن القلب المعتي وعن قلبي المعدب واتمائي (٤)

(١) انظر الكشاف ١/٣٠.

(٢) ديوان النابغة ص ٩.

(٣) موسوعة الشعر العربي ١/١٩٤.

(٤) نجيب الكيلاني/ديوان مهاجر/مؤسسة الرسالة ص ٥.

حيث اختيرت صيغة (فاعل) للدلالة على كثرة السؤال والإلحاح فيها، ففي البيت الأول وقف الشاعر بلح على الديار بالسؤال ويكرره عليها عليها تعيره جوابا، وما ذلك إلا لتعلق قلبه بتلك المعاهد وأهلها الذين ارتحلوا عنها وفي بيت المهلهل، وكذا بيت نجيب الكيلاني يدل التعبير بصيغة المفاعلة على كثرة المسألة الدالة على إشفاق السائل وتحنانه على الشاعر، وذلك ليصور الشاعر مدى معاناته التي ترقى لها القلوب.

### اختيار صيغة (فعل)

من ذلك ما جاء في القرآن في قوله تعالى ﴿وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ﴾ (يوسف: ٢٣)

حيث جاء التعبير بصيغة (فعل) دون (أفعل) ، والسر في اختيار تلك الصيغة دون غيرها أن (فعل) إنما تأتي للتكثير غالبا<sup>(١)</sup> ومن ثم ناسب ذلك الدلالة على كثرة الأبواب التي غلقتها امرأة العزيز لتحول دون تغلبت يوسف منها، وكذا على إحكام التغليف. ولذا قال بعضهم: "التشديد في (غَلَّقَتِ) للتكثير لتعدد المحال"<sup>(٢)</sup> فقد قيل كانت سبعة أبواب.

ومعنى ذلك أنها قد تتبعت أبواب القصر تغلقها بابا بابا حتى بلغت باب الحجر، وذلك لكي تأمن إذا استطاع يوسف أن يفتح بعض الأبواب أن يأتي على جميعها إلا بعد أن تنال حاجتها منه بالمرادة. ويمكن حمل المعنى على المبالغة في الغلق قال صاحب المهرر "وقوله (غَلَّقَتِ) تضعيف مبالغة لا تعدية"<sup>(٣)</sup>.

وجاء كلام الألوسى معبرا عن المعنيين فقال "وغلقت الأبواب" أى أبواب البيت، وتشديد الفعل للتكثير في المفعول إن قلنا: إن الأبواب كانت سبعة كما قيل، فإن لم نقل به فهو لتكثير الفعل فكأنه غلَّقَ مرة بعد مرة أو بمغلاق بعد مغلاق وجمع (الأبواب) حيثنذ إما لجعل كل جزء منه كأنه باب أو لجعل تعدد إغلاقه بمنزلة تعدده، وزعم بعضهم أنه لم يخلق إلا بابان: باب الدار وباب الحجر التي هما فيها، وادعى بعض المتأخرين أن التشديد

(١) شرح الشافعية ١/٩٢.

(٢) الدر المصون ٤/١٦٧.

(٣) المهرر الوجيز ٣/٢٣٢.



للتعدية وأن كونه للتكثير وهم، معللا ذلك بأن (غلفت الأبواب) غلقا لغة رديشة متروكة حسبما ذكره الجوهري، ورد بأن إفادة التعدية لا تنافي إفادة التكثير معها فإن مجرد التعدية يحصل بباب الأفعال فاختيار التفعيل عليه لأحد الأمرين، ولذا قال الجوهري أيضا (غلقت الأبواب) شُدِّدَ للتكثير<sup>(١)</sup>.

ومن ثم جاءت هذه الصيغة معبرة عن كثرة الأبواب التي غلقت، وكثرة التغليف وإحكامه والمبالغة فيه" والسبب أن ذلك العمل لا يؤتى به إلا في الموضع المستور لا سيما إذا كان حراما ومع قيام الخوف الشديد"<sup>(٢)</sup>.

قلت ومن ثم كان الحرص على إحكامه التغليف والمبالغة فيه.

وعلى هذا النحو أيضا جاء قول الله تعالى في وصف الطوفان الذي أهلك قوم نوح ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَيَّ أُمْرٌ قَدٌ قَلِيلٌ﴾ (القمر: ١٢) حيث جاءت صيغة (فعل) لتتلاقى مع ظلال التكثير في هذا البيت الناشئة من العناصر الأخرى، قال الألوسي: "جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله فجرنا عيون الأرض، فغير إلى التمييز للمبالغة بجعل الأرض كلها متفجرة مع الإيهام والتفسير"<sup>(٣)</sup>، فناسب تلك المبالغة وذلك التكثير مجيء الفعل على صيغة (فعل) الدالة على التكثير والمبالغة كذلك.

ومن ذلك في الشعر قول اليزيدي:

مَلِكُهُ جَلِيسِي، وَلَكِنَّهُ أَلْفَاهُ مِنْ زَهْدِ عَلِيِّ غَارِبِي<sup>(٤)</sup>

حيث اختار الشاعر صيغة (فعل) في قوله (مَلِكُهُ) للدلالة على إفراط تمكنه إياه من قلبه حتى استولى عليه وامتلكه تمام الامتلاك، ليقابل ذلك بتخليه عنه تمام التخلي واللقاء جبل مودته زاهدا في وصله غير حريص على ما ملكه إياه<sup>(٥)</sup>.

ومن الأمثلة كذلك قول النابغة معتذرا للنعمان:

(١) روح المعاني ١٦/٢١١.

(٢) انظر الرازي ٩/٢١١.

(٣) انظر روح المعاني ٢٧/٨٢.

(٤) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٣٧.

(٥) انظر اختيار اسم المكان حيث وردت هذه الصيغة في أبيات للمنتنبي غلقت عليها هنالك.

مهلا فداء لك الأقوام كلهم وما (أَثُرُ) من مال ومن ولد<sup>(١)</sup>

حيث عبر بصيغة (فعل) في المضارع (أَثُرُ) ليدل على فدائه إياه بكل ما يملك، وقد أتى بصيغة فعل ليكثر بها ما يفديه به ليليق بمقام المخاطب، وأتى بها في المضارع ليدل على دوام تفديته له بذلك.

وقد حسنت هذه المبالغة لمناسبتها لمقام الاعتذار وما يقتضيه من استمالة المخاطب بالمبالغة في مدحه وإرضاله.

### اختيار صيغة (انفعل)

تأتى هذه الصيغة لمعنى واحد هو المطاوعة، ويختص بما كان فيه علاج وتأثير والمطاوعة عند علماء التصريف هي قبول الأثر، وذلك فيما يظهر للعيون كالكسر والقطع والجذب<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم جاءت هذه الصيغة دالة على ذلك المعنى في جميع سياقاتها، فمما جاء من ذلك في القرآن قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ (التكوير: ٢) وقوله: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ (الانفطار: ١) وقوله: ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ ﴾ (الانفطار: ٢) وقوله: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق: ١) حيث جاءت هذه الصيغة الدالة على المطاوعة مناسبة أتم المناسبة لسياقها حيث دلت على استجابة ذلك الكون وطواعيته وتأثره بكلمة الله تعالى له (كن) فإذا السماء انفطرت وانشقت، وإذا الكواكب انتشرت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا عقد الكون كله قد انفرط في لحظة واحدة طواعية لأمر الله تعالى فصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَمَا أُمِرْنَا إِلَّا بِوَاحِدَةٍ كَلَّمْنَحُ بِالبَصْرِ ﴾ (القمر: ٥٠) ويؤكد هذا المعنى أن استقرار هذه الصيغة في مواقعها يدل على "أن هذه الصيغة إنما تسند للفاعل الذي يفعل للحدث بسرعة وطواعية لحظة البدء فيه فلا يصح أن نقول: فتحته فانفتح فيما أحكم إغلاقه"<sup>(٣)</sup>.

(١) ديوانه ص ١٦.

(٢) انظر شرح الشافية ١٠٨/١.

(٣) انظر أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية دار الثقافة ص ٦١ د/ نجاة الكونى. وعلى هذا النحو جاءت الآيات التالية الدالة على سرعة التأثر والاستجابة والمطاوعة لأمر الله تعالى وفعله: ﴿ فَلَقْنَا اضْرِبْ بِمُصَاحِ الْمَجْرُ فَاَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عُنْبًا ﴾ (البقرة: ٦٠) ﴿ اَنْ اضْرِبْ بِمُصَاحِ الْمَجْرُ فَاْتَجَسَّتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عُنْبًا ﴾ (الأعراف: ١٦٠) ﴿ قَاوْحَتَا إِلَى مَوْسَى اِنْ اضْرِبْ بِمُصَاحِ الْمَجْرُ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣) ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ اَنْ يَنْفُضَ فَاَقَامَتْ ﴾ (الكهف: ٧٧) ﴿ كَلَّمْتِ نِسْوَةً لَطِيفَاتًا اِذِ الْهَيْمَنُ اسْتَقَامَتْ ﴾ (الشمس: ١٢).

## اختيار صيغة (افتعل)

يأتى التعبير بصيغة افتعل لأغراض ومعان فنية، منها من ذلك ما جاء فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦) حيث نلاحظ أن الآية اختارت (اكتسبت) على (كسبت) فى الدلالة على فعل الشر، فاختارت صيغة افتعل على صيغة (فعل) وهذه الصيغة افتعل تأتي لعدة معان، منها مما يناسب السياق: الاجتهاد والطلب والتصرف والمبالغة فى معنى الفعل<sup>(١)</sup>.

قال سيويه "وأما كسب فإنه يقول أصاب، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب والاجتهاد بمنزلة الاضطراب"<sup>(٢)</sup> ومن ثم فقد عدلت الآية فى التعبير عن الشر إلى الاكتساب للدلالة على التكلف والاجتهاد والتعمل والاضطراب والتصرف لأجل تحصيل المعصية ويناسب ذلك ما فى المعصية من مخالفة للأعراف واللفظ السليمة، مما يدعو العاصى إلى الاحتيال فيها. قال جماعة من العلماء "افتعل يدل على شدة الكلفة، وفعل السيئة شديد لما يؤول إليه"<sup>(٣)</sup> وقال الزمخشري "فإن قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت فى الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشبهه النفس وهى منجذبة إليه وأماره به كانت فى تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال"<sup>(٤)</sup>.

فالتفت الزمخشري هنا إلى ما تدل عليه الصيغة من المبالغة فى الفعل ومناسبة ذلك لغلبة الشر على الطباع، واجتهاد الإنسان فيما فيه هواه، ومضيه قدما فى سبيل الفجور، كما قال تعالى ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (القيامة: ٥) قال الطبرى "يريد أن يمضى أمامه قدما فى معاصى الله لا يثنيه عنها شيء"<sup>(٥)</sup> وقال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يريد من الحسنات ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يريد من السيئات، قاله السدى وجماعة من المفسرين لا خلاف فى ذلك والخواطر ونحوها ليس من كسب الإنسان. وجاءت العبارة فى الحسنات بـ

(١) انظر الكتاب لسيويه ٢٤١/٢ وانظر شرح الشافعية ١٠٨/١ وانظر الحملاوى شذا العرف ص ٤٤.

(٢) انظر سيويه ٢٤١/٣.

(٣) انظر الدر المصون ٦٩٧/١.

(٤) انظر الكشاف ١٧٢/١ وانظر الرازى ٥٢/٥١/٤.

(٥) انظر الطبرى ١١١/٢٩.

(ها) من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر بها فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات بـ (عليها) من حيث هي أوزار وأثقال ومتمحلات صعبة. وهذا كما تقول لي مال وعلى دين، وكما قال المتصدق باللقطة: (اللهم عن فلان فإن أبي فلي وعلى) وكرر فعل انكسب فخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام. كما قال ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤُودًا﴾ (الطلاق: ١٧) هذا وجه، والذي يظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما يكسب دون تكلف، إذ كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهى الله تعالى ويتخطاه إليها فيحسن في الآية بجيء التصريفين إحرزا لهذا المعنى<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي استظهره ابن عطية هو قول حسن، ولا يعترض عليه إلا بما قيل من أنه لا فرق، وقد جاء القرآن بالكسب والاكْتِسَاب في مورد واحد. قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا تُكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ وقال تعالى ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ وقال تعالى ﴿بِمَقْرَرٍ مَا اكْتَسَبُوا﴾ فقد استعمل انكسب والاكْتِسَاب في الشر وقال أبو البقاء وقال قوم: لا فرق بينهما... وذكر نحو ما تقدم وقال الواحدي الصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكْتِسَاب واحد لا فرق بينهما قال ذو الرمة:

..... ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

قلت إنما أتى في الكسب باللام وفي الاكْتِسَاب بـ "على" لأن اللام تقتضي الملك، والخير يحب ويسر به فجيء معه بما يقتضي الملك، ولما كان الشر يحذر وهو ثقل ووزر على صاحبه جيء معه بـ "على" المقتضية لاستعلائه عليه وقال بعضهم "فيه إيذان أن أدنى فعل الخير يكون للإنسان تكريما من الله على عبده حتى يصل إليه ما يفعله معه ابنه من غير علمه به، لأنه من كسبه في الجملة، بخلاف العقوبة فإنه لا يؤخذ إلا من وجد فيها واجتهد وهذا منى على القول بالفرق بين البنائين وهو الأظهر"<sup>(٢)</sup>. ويمكن التوفيق بين ما ذكر بحمل الفعل المجرد كسب في حق العاصي على معنى إلفه لارتكاب تلك المعاصي فلم يعد يتكلفها<sup>(٣)</sup>. أما اكتسب فقد تبعت مواضعها في القرآن فلم أجدها قد جاءت بمعنى كسب

(١) انظر المحرر الوجيز ١/٣٩٣، وقد نقل كلامه كل من القرطبي ٢/١٢٣٨، ١٢٣٩، والسمين الحلبي

١/٦٩٧/٦٩٦

(٢) انظر الدر المصون ١/٦٩٧.

(٣) انظر د/ نجاة الكوفي/ أبنية الأفعال ص ٥٩.

الحسنات. ومن ثم لم يعبر القرآن عن كسب الطاعة إلا بصيغة (فعل) أما فى المعصية فقد عبر بفعل وافتعل ليشمل كل معصية سواء ما كان باعتمال وتكلف واجتهاد ومبالغة، أو ما كان بلا مبالاة ولا تكلف فيها.

ويؤيد ذلك أنى تتبعت ما ورد فيه الفعل (كسب) المجرد فوجدت أن أغلبه يأتى فى وصف الكافرين أو الفاسقين الذين تجرأوا على المعصية فصاروا لا يبالون بها أما الفعل (اكتسب) فلم يأت فى القرآن إلا فى أربعة مواضع اثنان منهما فى آية واحدة يتحدثان عن اكتساب المال، وهما قوله تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ وَأَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ﴾ (النساء: ٣٢) وواضح أن اختيار صيغة افتعل فى هذا الموضوع مناسب لاكتساب المال وما يلزم له من تصرف واجتهاد وكلفة.

أما الموضوعان الآخران فهما آية البقرة التى معنا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وهى التى نخرج لها والحديث فيها فى حق من يفترض فيه امثاله للشرع واستجابته لتكليفه بدليل ما قبلها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فهى فى حق المومن بهذا التكليف، وهو لا يقدم على المعصية إلا بتكلف ومارودة لنفسه التى تتأبى على العصيان، ولا يحملها عليه إلا غلبة الشهوة والهوى، فكان نفس المومن لا تقدم على المعصية إلا بنوع تردد وتكلف، بخلاف نفس الكافر والفاجر الذى جروء على المعاصى.

وأما الموضوع الثانى فهو قوله تعالى فى جزاء من خاض فى عرض عائشة (رضى الله عنها) ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ (النور: ١١) وهؤلاء الذين خاضوا فى عرض عائشة ليسوا كفارا بل هم من المسلمين بدلالة قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ (النور: ١١). وإن كان الذى تولى كبره منافق، وإن كان منافقا فإنه مسلم فى الظاهر كذلك والخطاب إنما يراعى فيه الأغلب وهم جماعة المومنين، ومن ثم جاء التعبير عن اكتساب المعصية هنا بصيغة افتعل مناسبة لحال هؤلاء المسلمين الذين ضعف إيمانهم وزلت ألسنتهم فحاضوا مع ذلك المنافق فى عرض أم المومنين فهم لم يقدموا على تلك القولة الشنيعة مع ما عندهم من إسلام وتعظيم لبيت النبوة إلا بقدر كبير من التكلف والتحرج والاعتمال، أما ذلك المنافق فقد أقدم عليها بملء فيه ملتوبا فى قلبها متصرفا فيه، ومبالغا فيه أشد المبالغة، ومن ثم فقد ناسب صيغة افتعل بدلالتها على التكلف والاعتمال والمبالغة والاجتهاد حال الفريقين من المسلمين والمنافقين الخائضين فى عرض أم المومنين أتم المناسبة.

ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى ﴿الْيَعُودُوا مَا نُزِّلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ  
أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٣)

وسياق الآية هنا فى أمر المؤمنين باتباع ما أنزل إليهم من الله ونهيهم عن اتباع الأولياء  
من دونه سبحانه<sup>(١)</sup>.

حيث يأتى التعبير بصيغة افتعل الدالة على الاجتهاد والكلفة والتحرى<sup>(٢)</sup>.  
وهذا يعنى تحرى شرع الله عز وجل والاجتهاد فى اتباعه والالتزام بأوامره. وأما التعبير  
بصيغة (افتعل) فى النهى عن اتخاذ شركاء بشرعون من دون الله تعالى فالتكئة فيه أنه إنما  
نهى عما تكلفه صاحبه وقصد إليه دون ما وقع بغير كلفة ولا قصد.

فعلعه عبر بالافتعال إيماة إلى ما كان دون علاج بل هفوة وبنوع غفلة فى محل العفو<sup>(٣)</sup>  
وشبهه بذلك أيضا التعبير بصيغة (افتعل) فى قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي  
الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦) أى لا تتبع هوى النفس فى الحكومات<sup>(٤)</sup>.

ويفيد كلام البقاعى فى هذا الموضوع أن التعبير بصيغة الافتعال أفاد أنه سبحانه وتعالى  
عفا عن الخطرات وما يبادر الإنسان الرجوع عنه والخلاص منه توبة إلى الله<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك أيضا ما جاء فى رد الرسول ﷺ على الكافرين حينما طلبوا منه أن يأتهم  
بآية فاجابهم بأنه إنما يتبع ما يوحى إليه<sup>(٦)</sup> حيث قال عز وجل ﴿وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا  
اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُ الْبَشَرَ الْبَاطِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٣).

قال الزمخشري "اجتبنى الشيء معنى جباه لنفسه أى جمعه كقولك أى جمعه أو جسي إليه  
فاجتياه أى أخذه كقولك جلبت إليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا  
اجتمعتها افتعال من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو هلا أخذتها

(١) انظر الكشاف ٥٢/٢، روح المعاني ٧٧/٨، نظم الدرر ٣٥٥/٧.

(٢) انظر العنود إلى صيغة افتعل وانظر الكتاب سيره ٢٤١/٢، شرح الشافية ١٠٨/١، شفا العرف من ٤٤.

(٣) انظر نظم الدرر ٣٥٥/٧.

(٤) انظر روح المعاني ١٨٧/٢٣.

(٥) انظر نظم الدرر ٣٦/١٦.

(٦) انظر الكشاف ١١١/٢.

منزلة عليك مقترحة (قل إنما يوحى إلى من ربي) ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها<sup>(١)</sup>.

فالمشركون قد طلبوا من النبي ﷺ أن يفتعل الآيات سحرية منهم ﷺ أو يتكلف طلبها لهم ويعتمده لأجلهم فناسب ذلك أن يقابل القرآن هذا التكلف والتعمد المقترح فى الاقتراح على الله تعالى والتقدم بين يديه بقوله " قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي" أى أتعمد وأتكلف الاتباع<sup>(٢)</sup>.

### اختيار صيغة (تَفَعَّلَ)

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْرِيْثَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧) تأتي هذه الصيغة لمعان، مما يناسب السياق التكلف كتنصير وتحلم: أى تكلف الصبر والحلم، والتدرج فى الشيء وللعمل المتكرر فى مهلة، وتأتى بمعنى استفعل دالة على الطلب<sup>(٣)</sup> والمتأمل فى سياق الآية السابقة على لسان يعقوب عليه السلام يجد أن الصيغة قد وظفت بتلك المعانى السابقة لتطابق مقتضى الحال الذى سيقى لأجله، فيعقوب عليه السلام قد أحدىس بفطنته، ونور بصيرته أن وراء الأمر شيئاً لذا فهو يوصى بنيه وأخيه، وتأتى هذه الصيغة (التفعل) هنا لتعبر عن معنى الخيطة والحذر والتمهل فى تحسس الخير وتجسسه، كما تأتى بمعنى الطلب، إذا التحسس (طلب الشيء بالحواس من البصر والسمع)<sup>(٤)</sup> كما عبرت الصيغة كذلك عن تكرر الحدث، مما يدل على الاجتهاد فى استقصاء خير يوسف وأخيه، وتكرار المحاولة مرة بعد مرة وهذا ما يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧). ومن ثم جاءت تلك الصيغة معبرة تماماً عن الأمر المطلوب وهو تقصى الخير مع الخيطة والحذر، وتكرار المحاولة مع عدم اليأس. وانظر أيضاً ما جاء منها على صيغة المصدر (تَفَعَّلَ).

(١) انظر الكشاف ١١١/٢.

(٢) انظر صيغة افتعل فى القرآن الكريم فى المجالات الدالية د/ زين الحولى دار المعارف ص ٧٦.

(٣) انظر شرح الشافية ١٠٤/١٠٦، وشذا العرف ص ٤٥.

(٤) انظر المهر الوجيز ٣/ ٢٧٤، وانظر مفاتيح الغيب ١٣٥/٩-١٣٦، روح المعانى ٤٤/١٣، الدرر المصون ٤/ ٢١٠.

## اختيار صيغة (استفعل)

من المعانى التى تأتى لها صيغة استفعل:

١- الطلب حقيقة كاستغفرت الله: أى طلبت مغفرته، أو مجازا كاستخرجت الذهب من المعدن، سميت الممارسة فى إخراجه، والاجتهاد فى الحصول عليه طلبا حيث لا يمكن الطلب الحقيقى<sup>(١)</sup>.

٢- القوة كاستهتر واستكبر: أى قوى هترة وكبره<sup>(٢)</sup>.

فمن ذلك قول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأَيُّ كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا نُجَاتَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح: ٧) والمقام هنا مقام تصوير مدى مبالغة هؤلاء الكافرين المعاندين فى الإعراض عن دعوة نوح عليه السلام، وصدودهم عنها، وتأتى صيغة استفعل فى تصوير اجتهادهم ومبالغتهم فى تغشية وجوههم وتغطيتها لكلا براهم نوح عليه السلام مع تصويره قوة استكبارهم واستنكافهم كذلك عن قبول دعوته، جاء ذلك متجاوبا مع مقام الإعراض ومع تلك الصورة المجازية التى تصور القوم وقد جعلوا أصابهم جميعها فى آذانهم دون الأنامل مبالغة فى الصدود والإعراض، كما يأتى ذلك متجاوبا مع ذلك الإصرار على الكفر والإعراض الذى وصفتهم به الآية الكريمة.

## ٣- اختيار صيغة ذات معنى متعدد

بعد هذا المبحث تطبيقا لظاهرة المشترك الصيغى أو تعدد المعنى الواحد للصيغة الواحدة،

التي سبق أن تعرضنا لتأصيلها فى مبحث الدلالة بين تعدد الصيغة وتعدد المعنى.

وقد أحببت أن أفرّد نماذج تلك الظاهرة فى مبحثٍ خاص بها؛ لأنى رأيت أن أمثلة ونماذج تلك الظاهرة من الكثرة بحيث تكاد تمثل ظاهرة أسلوبية يتميز بها التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة فى القرآن الكريم خاصة؛ بل رأيت أن هذه الظاهرة من أوضح البراهين الدالة على الإعجاز البياني لكتاب الله المعجز.

(١) انظر شذا العرف ص ٤٦.

(٢) انظر شذا العرف ص ٤٧.



فمن أمثلتها: قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبُّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩) عبرت الآية بصيغة (مفعول) في (منزلا) وهذه الصيغة صالحة لكي تكون اسم مفعول من الفعل (أنزل) ومصدرا منه واسم مكان<sup>(١)</sup>.

وهي هنا في الآية تختمل أن تكون مصدرا أى: أنزلنى إنزالا مباركا، وتختمل أن تكون اسم مكان أى أنزلنى مكانا مباركا<sup>(٢)</sup>. ويصعب فى مثل هذا الموضوع أن نجزم بأحد المعنيين، والذى نرجحه والله أعلم بمراده أن كلا المعنيين مراد فالسياق لا يأبى أحدهما، فالحمل على المصدر يجعل المراد طلب البركة من الله فى الحدث نفسه فىكون هبوطه ونزوله مباركا من الله تعالى، والحمل على المكان يجعل المراد طلب البركة من الله تعالى فى المكان الجديد الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام، ولا شك أن كلا الأمرين كانا مطلوبين لنوح عليه السلام أن يبارك الله له فى إنزاله وفى مكان نزوله، ومن ثم فلا مانع هنا فى هذا السياق من حمل الصيغة على كلا معنيها ويكون ذلك من بلاغة القرآن وإعجازه وحسن إيجازه ومن ثم يكون اختيار تلك الصيغة هنا فى غاية الجودة لما تشتمل عليه من إجماعات وظلال معنوية تغطى كافة المعانى المحتملة فى ذلك الموقف.

وعلى كل نقول: إن كان لا بد لنا من ترجيح أحد معانى تلك الصيغة هنا، فنحن نرجح إرادة المكان على المصدر وذلك لأن هذا الموقف فيما نرى يعبر عن جانب نفسى لدى نوح عليه السلام وهو تلك المشاعر التى يمكن أن تستولى عليه عند رسو السفينة فى ذلك المكان الجديد الموحش حيث أهلك الله تعالى قوم نوح عليه السلام، وغدت الأرض بعدهم بلاقع لا حياة فيها ولا أنيس حتى من الوحش أو الطير، فلا شك أن يكون ذلك المكان الجديد مصدرا للخوف والقلق يدعوا المرء أن يتوجه إلى ربه بطلب بركته على هذا المكان حتى يستطيع نوح ومن معه من المؤمنين أن يستأنفوا فيه حياة جديدة وهذا بلا شك موقوف على أن يأذن الله تعالى لتلك الأرض الجديدة أن تخرج خيرها، وأن يبارك فيها.

ومع هذه المحاولة منا لترجيح أحد معنى الصيغة، فإن الصيغة تظل بعد ذلك محتملة كلا المعنيين أو نقول إنها تدل على أحد المعنيين بالأصالة وتفيد فى الوقت نفسه من ظلال المعنى الآخر مما يودى إلى إثراء المعنى.

وهذه الصيغة لها نظائر فى قول الله تعالى:

(١) انظر نزهة الطرف لابن هشام ص ١٠٦.

(٢) انظر نزهة الطرف لابن هشام ص ١٠٦، وانظر الكشاف ٤٦/٣، والحرر الوجيز ٤/١٤٢، والدر المصون ٥

١٨٠، والألوسي ١٧/٢٨.

﴿ إِن تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ لَكُمْ سَهَابٌ مِّنَ السَّمَاءِ وَمُدْخَلٌ لَّكُمْ مِّنَ الْجَهَنَّمَ وَمُدْخَلٌ لَّكُمْ مِّنَ الْجَهَنَّمَ ﴾

(النساء: ٣١) هي تختمل كسابقتها كذلك أن تكون مصدرا أو اسم مكان<sup>(١)</sup> والمصدر له وجه وهو أن يكون الإدخال نفسه كريما، ألا ترى كيف غاير الله تعالى في التعبير عن إدخال كل من الفريقين إلى مستقره في سورة الزمر فقال: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ... ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ... (الزمر: ٧١-٧٣) فأتى بواو الحال مع أهل الجنة كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها<sup>(٢)</sup> فهذا يدل على أن الحمل على المصدر في قوله تعالى ﴿ مُدْخَلٌ لَّكُمْ ﴾ ليس بعيدا، وكذلك الحمل على المكان وهو الجنة وحسبك به مدخلا كريما. فالحمل على المعنيين في مثل هذا الموضع من الإعجاز القرآني بمكان كذلك لما فيه من تناغم المعاني واتساقها وتأزرها على توفية المقام حقه، وهو الترغيب في اجتناب مناهيه وزواجره سبحانه وتعالى.

ومن نظائر ذلك الموضع كذلك قوله تعالى في سورة الحج في وصف الشهداء والمهاجرين في سبيل الله ﴿ لِيَدْخُلْتَهُمْ مُدْخَلًا بِرُضُونِهِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (الحج: ٥٩) تختمل المعنيين كذلك: المصدر أو اسم المكان<sup>(٣)</sup> وفيما ذكره الألوسي ترشيح لكل المعنيين قال: "مدخلا إما اسم مكان أريد به الجنة كما قال السدي وغيره أو درجات فيها مخصوصة بأولئك المهاجرين كما قيل، وقيل هو خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وسم لها سبعون ألف مصراع، أو مصدر ميمي وهو على الاحتمال الأول مفعول ثان للإدخال وعلى الثاني مفعول مطلق، ووصفه بروضونه على الاحتمالين لما أنهم يرون إذا أدخلوا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقيل على الثاني: إن رضاهم لما أن إدخالهم من غير مشقة تناههم بل براحة واحترام<sup>(٤)</sup>.

وأرى والله أعلى وأعلم أن هذه المواضع السابقة كلها يجوز فيها الحمل على المعنيين جميعا أو ترجيح الحمل على المكان مع إفادة الصيغة بظلال معنى المصدر.

(١) انظر النذر المصون ٢/٣٥٣.

(٢) انظر الكشاف ٣/٣٥٨، وانظر الجلالين ص ٦١٦.

(٣) انظر الألوسي ١٧/١٨٩، والجلالين ٤٤١.

(٤) انظر الألوسي ١٧/١٨٩.

وبينما يترجم هنا في هذه المواضع السابقة معنى الحمل على المكان، فثمة موضع آخر يترجم فيها الحمل على المصدر، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبُّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠) قال ابن جرير "واختلف أهل التأويل في معنى مدخل الصدق الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يدخله إياه وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرج به إياه"<sup>(١)</sup>.

ثم حكى هذه الأقوال وعقب عليها بقوله: وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال معنى ذلك وأدخلني المدينة مدخل صدق وأخرجني من مكة مخرج صدق وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لأن ذلك عقيب قوله ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيْسَتِفِرْوَنكُ مِنَ الْأَرْضِ يُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يُؤْمِنُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقد دللنا فيما مضى على أنه عنى بذلك أهل مكة فإذا كان ذلك عقيب خير الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ ليخرجوه عن مكة كان بيننا إذا كان الله قد أخرجه منها أن قوله وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرج من البلدة التي هم المشركون بإخراجه منها مخرج صدق وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مدخل صدق<sup>(٢)</sup>.

والراجع من أقوال المفسرين في الآية هو ما رجحه الطبري وهو ترجيح الجلالين<sup>(٣)</sup> وهو ما يدل عليه السياق كما بينه إمام المفسرين الطبري (رحمه الله) والذي يرجح لدينا معنى الحمل على المصدرية في الآية هو الوصف بالصدق، فحمله على المصدر أولى وأليق من حمله على المكان، لأن المعنى كما قال في الجلالين (أدخلني) المدينة (مدخل صدق) بإدخاله مرضيا لا أرى فيه ما أكره (وأخرجني) من مكة (مخرج صدق) إخراجا لا ألتفت بقلبي إليها<sup>(٤)</sup> ومن ثم جاء الوصف للإدخال والإخراج نفسه بالصدق لأنه منظور فيه إلى حال المدخل والمخرج وهو محمد ﷺ ومدى انقياده لأمر الله تعالى واستسلامه له، وعدم تعلق قلبه بوضئه ومهده الأول، والتفاتة عن ذلك كله بهجرة صادقة إلى الله تعالى.

(١) انظر الطبري ١٥/١٠٠.

(٢) انظر الطبري ١٥/١٠١، وانظر الكشاف ٣٧٢/٢.

(٣) انظر الجلالين ص ٣٧٥.

(٤) انظر الجلالين ص ٣٧٥.

ومن ثم يترجم المصدر مع الإفادة بظلال وصف المكان الذى سيدخله النبي ﷺ وهو المدينة بكونه مدخل صدق وحق، وبصدقه الله فيه ما وعده من النصر والفتح والظهور.

وقد يحتمل السياق - والله أعلم - جواز حمل (مخرج) على المكان أيضا مرادا به المكان الذى سيخرج إليه النبي ﷺ كذلك ويكون ذلك من باب التوكيد المعنوى، وإن كان المعنى الأرجح الواضح وعليه كلام المفسرين هو الحمل على المصدر وهو واضح.

ومن أمثلة اختيار صيغة ذات معنى متعددة كذلك: قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤)

حيث ذكروا فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أن البصيرة اسم مصدر، وهو قول الأخفش: جعله هو البصيرة كما تقول للرجل: أنت حجة على نفسك<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنه وصف مبالغة، وهو قول أبى عبيدة" جاءت هذه الهاء فى صفة الذكر كما جاءت فى رواية وعلامة وطاقية"<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أن البصيرة هى "جوارحه تشهد عليه بما عمل"<sup>(٣)</sup>.

وهذه الأقوال الثلاثة مما يحتملها سياق الآية، ولا مانع من حمل المعنى عليها جميعا، فالسياق لا يباهى بل يأنف معها أتم الالتفاف؛ فالإنسان فى هذا اليوم بصير على نفسه أتم البصر فقد انكشف عنه غطاء الغفلة والشهوات حيث قال له ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢) حيث جاء البصر موصوفاً بمحدد على سبيل المبالغة، مما يشعر بقوة البصر والبصيرة فى هذا اليوم وله من جوارحه بصيرة تشهد له وعليه<sup>(٤)</sup> وهو نفسه بصيرة أى حجة على نفسه، ومن ثم تتلاقى ظلال تلك المعانى جميعا لإثراء المعنى<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر عانى القرآن ٥٧١/٢.

(٢) انظر مجاز القرآن ٢٧٧/٢.

(٣) انظر الرازى ٢٧/١٦ وقد ذكر هذه الأقوال الثلاثة بشئىء من التفصيل، وانظر بصائر ذوى التمييز، وأحب أن أشير

إل أن المعنى الثالث: ليس من المعانى الوظيفية للصيغة ولكنه داخل فيما تحتمله الصيغة.

(٤) انظر المفردات للراغب ص ٤٩.

(٥) انظر الفيروزآبادى ٢/٢٢٢.

ومن ذلك أيضا الاشتراك الواقع فى صيغة (فعليل) فى قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَقِيقٌ﴾ (ق: ٤) صيغة فعليل هنا (حفيظ) هى إما بمعنى (حافظ) أو بمعنى (محموظ) وهاتان الصفتان ليستا لشئين مختلفين وليستا متناقضتين معا؛ بل يصح وصف الشئ الواحد بهما معا، فلا يمتنع أن يوصف الكتاب وهو اللوح المحفوظ بأنه "محموظ من الشياطين ومن التغير، أو حافظ لما أودعه وكتب فيه"<sup>(١)</sup>. كما قال الزمخشري.

وبصعب الترجيح فى مثل هذا الموضع كذلك؛ وإن كانت قرينة السياق يمكن أن تعيننا فى ترجيح المعنى الثانى دون الأول.

قال تعالى: ﴿قِ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ \* بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ \* إِذْآ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ \* قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَقِيقٌ \* بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٌ﴾ (ق: ١-٥) فسياق الآيات يدل على أنهم يستعدون إحصاء الله تعالى لذرات أجسادهم بعد أن تغيب فى الأرض، وذلك كما ذكر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا إِذْآ ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ إِثْنَا لَقِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (السجدة: ١٠) أى أئذا" غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها"<sup>(٢)</sup> فكان مشار الشك أو الجدل لذى هؤلاء الكافرين هو فى كون الكتاب حافظا لذرات أجسادهم؛ لا فى كونه محموظا؛ ولكن أثر التعبير القرآنى المعجز صيغة (فعليل) لكى يثبت كلا المعنيين: كونه حافظا، وكونه محموظا؛ وذلك لأنه إذا كان المراد هو إثبات كونه حافظا؛ فإن مما يتم به المعنى أن يكون الكتاب محموظا كذلك من التغير والتبدل؛ إذ لا يتم الحفظ إلا بذلك.

ومن ثم نرى أن اختيار القرآن الكريم للصيغة ذات المعنى المتعدد على بدالها ذات المعنى الواحد يعد من الأدلة الواضحة على الإعجاز البيانى لهذا الكتاب الخالد.

(١) الكشاف ٤/٨.

(٢) تفسير الجلالين ص ٥٤٦.

## الأساس الثاني

### العدول

شمة أساس آخر للتوظيف البلاغى لصيغة الكلمة نستطيع أن نلمح وقوف البلاغيين عليه واعتماده لديهم أساسا للكشف عن الدور البلاغى لصيغة الكلمة وهذا الأساس الثانى هو ما أطلق عليه فى تراثنا البلاغى مصطلح العدول. فإذا كانت البلاغة ترجع فى سائر تعريفات البلاغيين التى سبق ذكرها إلى حسن تغير اللفظ، فإنه مما يجدر بنا التنبيه إليه أن هذا التغير أو الاختيار للفظ يمثل فى غالب الأحيان أنواعا من العدول.

فالاختيار فى حقيقته إنما هو عدول عن المستوى النمطى أو العادى من اللغة إلى المستوى الفنى من الكلام وقد يمثل تغير اللفظ نوعا من العدول عن النظام اللغوى أو عن الاستخدام الشائع، أو عدولا داخليا وهو ما يسميه ريفاتير بالعدول السياقى، وذلك فيما سوف نبينه قريبا عنه.

وفى الحقيقة أن النظرة إلى العدول على أنه عدول عن المستوى النمطى إلى المستوى الفنى نظرة لا تكاد تفرق بينه وبين الاختيار أما العدول الجدير بإفراده بمصطلح خاص يميزه عن الاختيار وإن كان يشترك مع الاختيار فى كونه انتقاء للفظ وإثارة له على غيره هذا العدول هو ما كان يمثل فى رأى نوعا من العدول عن النظام أو الأصل اللغوى أو نوعا من العدول عن سياق النص وهو ما عرف فى التراث اللغوى والبلاغى بالمجاز<sup>(١)</sup>.

والنقل، والانتقال، والتحويل، والانحراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، والصرف، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) الهماز هنا هو مصطلح أبى عبدة فى كتابه مجاز القرآن وهو أوسع من الدلالة التى استقر عليها مصطلح الهماز فى الدراسات البلاغية.

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبدة ٩/١، البديع لابن المعتز ص ٥٩/٥٨، الزمان فى وجوه البيان لابن وهب الكاتب ص ١٥٣، الفروق لأبى هلال العسكري ص ١٩٠، إحصاء القرآن للباقلاني ص ٢٧٣، ٢٧٤ مثل السائر لضياء الدين بن الأثير ١١٧/٢، ١١٦، ٢٤١، ٢٤٦ جوهر الكنتز بنجم الدين بن الأثير ص ١١٨-١١٩، الكشف للزعرورى ١٨٦/٢، ٢٠/٣، مفتاح العلوم للسكاكى ص ١٠٦ (المطبعة الأدبية)، الإيضاح للمعطوب القزوينى ص ١٥٧ (بتعليق د/ محمد خماسى)، الطراز لبحى العلوى ١٣١/٢-١٣٢-١٣٥-١٣٧، التبيان للطيبى-

ومما هو غنى عن البيان أن نبين أن هؤلاء البلاغيين واللغويين كانوا يستخدمون هذه المصطلحات للعدول والنقل سواء كان في باب الصيغ أم في غيره من أنظمة اللغة، غير أن تلك المصطلحات كانت شاملة لديهم لذلك العدول الصيغي، وهذا هو ما يعنينا في هذا البحث.

هذا العدول قد عبر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة كذلك، منها : الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن والشناعة، والإطاحة، والتحريف .. الخ<sup>(١)</sup> فإذا كان النظر إلى الأسلوب من زاوية المنشئ، قد أشر مقولة الاختيار، فإن النظر إليه من زاوية النص أو الرسالة قد أشر مقولة العدول أو ما أسماه بمصطلحات عديدة لعل أبرزها، مصطلح الانحراف<sup>(٢)</sup>؛ إذ يعتمد تعريف الأسلوب بالنظر إلى النص على أنه نوع من الخطاب الأدبي المغاير للخطاب العادي.. وقد يمسر القواعد اللغوية الموضوعية أو يخرج عن النمط المألوف للغة، أو ينتكر صيغا وأساليب جديدة، أو يستبدل تعبيرات جديدة ليست شائعة بأخرى قديمة، أو يقيم نوعا من الترابط بين لفظين أو أكثر، أو يستخدم لفظا في غير ما وضع له. هذا الخروج على الاستعمال العادي للغة يطلق عليه الأسلوبيون وعلماء اللسانيات عدة مصطلحات لعل أبرزها الانحراف<sup>(٣)</sup> ومن ثم فقد وصف هذا الاتجاه الأسلوب بأنه انحراف عن قاعدة ما<sup>(٤)</sup> أو " بأنه انحراف عن المعيار الموجود أو بأنه: "خروج عن القاعدة اللغوية" أو بأنه "شكل منحرف عن

= ٣٤٧/٢ بتحقيق / عبد الحميد هندواي ط المكتبة التجارية بمكة، شرح التلخيص ٤٦٣/١ ٤٦٧ المخلص لابن

جنى ١/ ٢١٤ - ٢١٥ ٤١١، ٣/ ١٨٨ ٢٦٧، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب ص ٢٩٦.

(١) انظر المسدي - الأسلوبية ص ٩٤.

(٢) سبق أن ذكرنا طائفة من هذه المصطلحات المعبر بها عن ظاهرة العدول كالانزياح والتجاوز والاختلال والإطاحة والشناعة ... الخ وذلك في الفصل الخاص بالحديث عن دلالة الصيغة النمطية والفنية، وانظر الأسلوبية والأسلوب المسدي ص ٩٧، ٩٦ وقد اخترت التعبير عن هذه الظاهرة بلفظ العدول لأمر: أولها: أن هذا التعبير هو اختيار أغلب البلاغيين القدماء كما سبق أن أوردنا. ثانيها: أنه أدق في التعبير عن الظاهرة ووصفها. ثالثها: أن لفظة الانحراف تشمل إيماءات إضافية قد لا تناسب الظاهرة ولعل أهم هذه الإيماءات هو إيماء الخطأ وهو غير وارد في مصطلح العدول. وانظر د/ محمد عبد المطلب/ بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البدعي ص ٣٢٤، وانظر له أيضا البلاغة والأسلوبية ط هيفة ١٩٨٤ ص ١٩٨.

(٣) د/ فتح الله سليمان/ الأسلوبية ص ١٩.

(٤) د/ صلاح فضل علم الأسلوب ص ١٧٩.

المعيار" (١) أو هو "انحراف DEVIATION عن نموذج من الكلام ينتمى إليه سياقياً" (٢) كما يعرف الأسلوب أيضاً بأنه لحن مبرر" (٣) ويعرف (ماروزو) الأسلوب "بأنه اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصغر إلى خطاب يتميز بنفسه. ونلاحظ هنا أن (ماروزو) يجمع في تعريفه للأسلوب بين كل من الاختيار والعدول أو الخروج بما يوحى للقارئ بالخلط بينهما على أننا نرى أن المقصود من تعريف ماروزو هو تعريف الأسلوب بأنه خروج أو عدول، غير أنه يرى أن هذا العدول أو الخروج يتميز بسمته الاختيار الفنى الذى تحكمه الأغراض البلاغية والفنية وليس مجرد الخروج أو الانحراف أو أنه خروج مختار، أو لحن مبرر" كما قال تودروف ومن ثم فالعدول أو الانحراف عنده هو الاختيار بعينه؛ فالاختيار والعدول كلاهما خروج عن النمط العادى أو المؤلف إلى النمط الفنى أو المتميز من الكلام؛ ومن ثم يبدو أنهما بناء على ذلك شئ واحد أو وجهان لعملة واحدة باختلاف الزواقة التى ينظر إلى الأسلوب من خلالها، إلا أن حقيقتها جميعاً واحدة وهى الخروج عن النمط العادى من الكلام؛ ولكننا نرى أن شئاً فارقاً بين كل من الاختيار والعدول، فالاختيار محدود بالإمكانات المتعارفة للغة التى تصنف عند النحويين تحت أسماء (المطرود) والغالب والكثير فى حين أن الانحراف يتعد عن طرق التعبير الشائعة وربما اقترب من القليل وحتى (الشاذ) ونلاحظ أن الاختيار يوجد فى اللغة الجارية أو لغة الحديث وإن لم يكن سمة مميزة لها كما هو فى اللغة الفنية فى حين أن الانحراف يخص اللغة الفنية وهذا منطقي، إذ أن الخروج على الطرق المتعارفة فى التعبير معيب اجتماعياً ولكنه مقبول إذا كان له غرض فنى؛ ولذلك لا يقدم عليه إلا أدهب متمكن كما كان القدماء يقولون: (إن العربى الفصيح إذا قوى طبعه لم يبال أن يقع الشذوذ فى شئ من كلامه) (ابن جنى ٣٩٢/٢) وفرق ثالث بين الاختيار والانحراف وهو أن الاختيار مرتبط بالقائل أو المبدع وقلما يشعر به الملقى إلا أنه يرتاح له فإذا أراد أن يعيد الكلام أو يأتى بمثله لم تسعفه قريحته وهذا سعى الكلام الذى غلبت عليه خاصية الاختيار (السهل الممتنع) ولكن الملقى يشعر به شعوراً قوياً فى جميع الأحوال.

(١) برند شبلر علم اللغة ص ٦١.

(٢) د/ شفيق السيد/ اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١٣٨.

(٣) انظر المسدى الأسلوبية والأسلوب ص ٩٨.



ولذلك يميل بعض علماء الأسلوب إلى اعتبار الانحراف حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ .. وعندنا أن هذا جانب واحد للانحراف وأن الجانب الآخر والأهم هو لزوم الانحراف لتحقيق الأثر الكلي للنص؛ فيمكن أن يعتبر الاختيار والانحراف من هذا المنظور كجناحي طائر وإذا سلمنا بهذه الفروق، فإن ثمة فارقاً آخر على قدر كبير من الأهمية بل نعله يعد - في رأبي - هو الفارق الأساس بين كل من الاختيار والعدول؛ وذلك أن الاختيار قد اتفقوا على كونه خروجاً عن النمط المألوف أو العادي من الكلام، أما العدول فقد اختلف الأسلوبيون حول النمط أو المعيار أو القاعدة التي يحدث العدول عنها على عدة أقوال:

١- فالقاعدة أحياناً هي نظام اللغة أى جملة قواعد اللغة التي تتم بها الكتابة حيث تستخدم ظواهر الاستعمال اللغوي في الكلام بمستوى اللغة الثابت ويصبح الأسلوب حينئذ هو العدوان على نظام اللغة<sup>(١)</sup>.

٢- والقاعدة أحياناً هي قاعدة الاستخدام اللغوي وهي القاعدة التي تلاحظ عادة بهذا المفهوم فيكون على التحليل الأسلوبى أن يأخذ في اعتباره هذه الانحرافات التي يجربها مؤلف معين على التصورات النحوية والبلاغية السائدة في عصره وكلاهما يمكن تجديده اجتماعياً بحيث تصبح "القاعدة الأسلوبية هي الإشارة الصالحة اجتماعياً للفروق المترادفة على مستوى معين من التطبيق".

٣- على العكس من هذه التصورات فقد تم وضع معيار على المستوى الكلامي، إنه إمكانية في التعبير أو في الأداء، (إن المستوى المذكور ليس غير الكلام أو الأداء)<sup>(٢)</sup>.

٤- وقد يحدد المعيار - بناء على الاستعمال الشائع - من خلال الوسائل الإحصائية فقط، فالمعيار في هذه الحالة إنما هو المتوسط الإحصائي لكل الوسائل لمجموع النصوص الموجودة، والأسلوب حينئذ انحرف بعض الوسائل اللغوية في النص مجال البحث عن المتوسط الإحصائي<sup>(٣)</sup>.

(١) علم الأسلوب ص ١٨٣ .

(٢) انظر برنر شلبر علم اللغة ص ٦٩ .

(٣) انظر علم اللغة ص ٧٠ .

٥- ويمكن تحديد القاعدة فى نهاية الأمر على أنها (نموذج مثالى لغوى حاضر أمام الجماعة اللغوية وهو نموذج تنحو إلى تطبيقه دون أن تظهر بذلك نهائيا فى الواقع اللغوى)<sup>(١)</sup> - هذا النموذج المثالى هو ما "أطلق عليه تشومسكى (صاحب نظرية النحو التحويلى): (القدرة (أو الكفاءة اللغوية) فعلى أساس هذا النموذج كما يقرر أتباع هذه النظرية يستطيع أبناء اللغة أن يميزوا على مستوى السطح بين ثلاثة أنماط من التراكيب: تراكيب صحيحة تودى المعنى، وأخرى فاسدة خلوها منه وثالثة لا تنتمى إلى أيهما إذ هى من جهة لا تتسم بالفساد لأنها تودى معنى يمكن تفسيره أو شرحه على نحو ما وهى من جهة أخرى لا تتسم بالصحة الكاملة؛ لأن بنيتها التركيبية تختلف أو تنحرف بدرجات متفاوتة عن الصورة المثلى للكفاءة اللغوية وهى لهذا وذاك تسمى الجمل غير النحوية أو الجمل المقاربة.

ويدرس بعض الأسلوبيين لهذا النمط الثالث من التراكيب لاحظوا أنه أكثر دورانا فى لغة الشعر منه فى لغة النثر ورتبوا بناء على ذلك القول بأن تلك الجمل المقاربة أو غير النحوية هى "ظواهر أسلوبية" فالاستعمال كما يصرح بعضهم يكرس اللغة فى ثلاثة أشكال أضرب من الممارسان المستوى النحوى. والمستوى اللائحوى، والمستوى المرفوض، ويمثل المستوى الثانى أريحية اللغة فيما يسمع الإنسان أن يتصرف فيه" ولما كانت الخصيصة الأساسية فى الجمل هى انحرافها عن النموذج المثالى للكفاءة اللغوية أصبح هذا النموذج فى نظر هؤلاء هو القاعدة أو المعيار الذى تحدد به وتقارن عند التحليل<sup>(٢)</sup> هذا، ولم يخل كل رأى من الآراء السابقة فى تحديد القاعدة من نقد يوجه إليه.

فقد اعترض على الرأى الأول الذى يرى أن القاعدة هى نظام اللغة بأنه يضعف من هذا التصور أن ظواهر الكلام كتطبيق فردى تنفرع مبدئيا عن الوصف المعجمى المبسط للنظام اللغوى ويمكن عند التحليل الأسلوبى أن نجعل مستوى المقارنة لا يعتمد على (اللغة) فى ذاتها وإنما على الوصف اللغوى أو النحوى لها فحسب إذ ينبغى من الوجهة النظرية أن يكون هناك فرق بين طرفى المقارنة بيد أنه تظل أمامنا صعوبة تستعصى على الحل تكمن فى

(١) انظر صلاح فضل علم الأسلوب ص ١٨٥.

(٢) انظر أسلوب الالتفات ص ٤٤، ٤٥ برند شيلتر علم اللغة ص ٦٩، الأسلوبية والأسلوب ص ٩٩، اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١٠٥، ١٦٩. نظرية اللغة فى النقد العربى ٤٨٩، ٤٩٣.

أنه عند وصف النظام اللغوى فإننا نعتمد بالضرورة على الجانب التجريبي لاستقاء معلوماتنا المباشرة من الاستعمال نفسه، دون الاعتماد على معايير تعبديّة مسبقة فإذا لم يعتد عند وصف هذا النظام اللغوى بالانحرافات الأسلوبية فإننا لا نستطيع تعريفها اعتمادا على القواعد؛ لأن مقولة الأسلوب تقع حينئذ في دائرة مفرغة إذ يتعين معرفة القاعدة لتحديد القاعدة<sup>(١)</sup>.

ومعنى ذلك أن اعتماد اللغة قاعدة أمر غير وارد، أو بالغ الصعوبة، وذلك لأنه يلزم عنه الدور إذ إنه لكي يوصف الانحراف فلا بد من الوصف اللغوى، وإذا كان الوصف اللغوى لا يعتمد الانحراف، ولا يقعد له فمعنى ذلك أننا لا نستطيع وصف الانحراف؛ لأنه يبقى معلقا على الوصف اللغوى، وهو بدوره معلق على وصف الانحراف فيلزم الدور.

ومن ثم فقد انتقدت نظرية اعتبار الأسلوب انحرافا من جهة أنه لا يتم التعرف بذلك على الأسلوب إلا بشكل سالب بحيث دون أن تتبع في ذلك خواص نوعية توضيحية له، فالدليل على الانحراف إذا هو عدم وروده في القواعد اللغوية<sup>(٢)</sup> كما انتقد الرأى الذى يجعل القاعدة هي الاستخدام اللغوى بأن تحديد الأسلوب على أساس هذا المفهوم للقاعدة يحصره في ظواهر محدودة للغاية ويحرم الكتاب الذين يراعون في مولفاتهم أن تتمشى مع الاستعمال السائد الجيد للغة من أن نعثر في كتاباتهم على أسلوب ما نخلله<sup>(٣)</sup>. معنى ذلك أن يعد الانحراف عن الاستعمال السائد الجيد هو الظاهرة الأسلوبية في بعض الأحيان، وهذا قد يكون له بعض المزايا كحفز ائمة إلى الابتكار فى الأساليب وعدم الرتابة، إلا أنه يودى كذلك إلى تعمد الخروج وتكلفه، أو أن يكون هو بذاته مقصدا فنيا، وليس الأمر كذلك؛ فالمقصود هو تحقيق التأثير فى المتلقى، وقد يكون أسلوب شائع له وقع وتأثير أقوى من أسلوب مبتكر ركيك.

ويلزم على ذلك أن يكون الكتاب الملتزمون بالاستعمال السائد كتاب بلا أسلوب. هذا فضلا عن ندرة الظاهرة الأسلوبية بهذا المفهوم.

(١) انظر د/ صلاح فضل علم الأسلوب ص ١٨٣.

(٢) انظر علم الأسلوب ص ١٨٥، علم اللغة ص ٧٣.

(٣) انظر علم الأسلوب ص ١٨٤ وانظر برنر شيلنر علم اللغة ص ٦٩.

وكذلك انتقد الرأى الذى يجعل مستوى الكلام كإمكانية للتعبير المحامد هو القاعدة بأنه يغفل أن الظواهر الكلامية اللغوية مرتبطة دائما بالمتكلم وبالوقف مما يجعلها غير محايدة على الإطلاق وعلى أية حال فليس من الواضح كيفية التقاط القاعدة ووصفها لغويا على هذا الأساس وهذا واضح لا يحتاج إلى تعليق، فظواهر الكلام لا تتسم بالثبات الذى يتسم به نظام اللغة، ومن ثم لا تصلح معيارا أو قاعدة.

أما اعتبار القاعدة هى الاستعمال الشائع باستخدام وسائل إحصائية فالنتيجة المنطقية لذلك هى إقامة قواعد أسلوبية مختلفة للأجناس والموضوعات الأدبية المتعددة وفى التحليل الأخير فإننا لا نستطيع الاعتماد بغير النص المدروس نفسه كمستوى تتم عليه مقارنة النص مما قد يوجب العدول عن فكرة القاعدة الخارجية عن النص والصالحة لتحديد الأسلوب<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على عدم اطراد قاعدة الاستعمال الشائع وذلك لاختلافها وتفاوتها حسب اختلاف الأجناس الأدبية.

أما تحديد القاعدة بأنها نموذج مثال لغوى حاضر.. "فمن الواضح أن مثل هذه القاعدة لا يمكن وصفها بدقة لافتقارها للبرهان التجريبي، ومن هنا يصعب تحديدها فى البحث الأسلوبى" ويمكن أن توجز مشاكل التحديد الجرائى للأسلوب كإخراغ عن قاعدة فيما يلى:

١- يترتب على هذه النظرية وجود نصوص بلا أسلوب وهى النصوص التى لا تنحرف عن قاعدة ما.

٢- ولعل أخطر ما يترتب على تطبيق هذه النظرية فى تفسير النصوص الأدبية هو الاعتماد بالملاحح الأسلوبية القليلة المميزة غير المستعملة عادة وإهمال بقية ملامح النص الدالة وبنيتها الأساسية<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان النظر إلى الأسلوب على إنه انحراف قد ووجه بتلك الانتقادات الشديدة من جهة عدم الاتفاق على شىء يمكن أن يتخذ كمعيار أو قاعدة صالحة لأن يقاس العدول عنها، وإذا كانت تلك الآراء جميعا فى تحديد تلك القاعدة لن نخل من نقد متجه فعلل ما توصل إليه (رفاتير) فيما بعد - من فكرة (التضاد البنيوى) واتخاذ السياق نفسه قاعدة لقياس العدول أو الانحراف - لعل ذلك يكون أقرب هذه الآراء جميعا إلى الصواب.

(١) انظر علم الأسلوب ص ١٨٥.

(٢) انظر علم الأسلوب ص ١٨٥ ١٨٦، وانظر أيضا برند شيلنر ص ٧٢.

ومحور التعرف على الإجراءات الأسلوبية فى نظرية (ريفاتير) هو السياق فالسياق هو الذى يمثل خلفية محددة دائمة وهو الذى يقوم بدور القاعدة وافتراض أن الأسلوب يتخلق بالانحراف الداخلى عن هذا السياق الدائم افتراض خصب. إذا أننا لو اعتبرنا الطرف الآخر فى نظام العلاقة بين الأسلوب والقاعدة إنما هو قاعدة عامة - مثل القواعد اللغوية - لم نستطيع أن ندرك الطريقة التى يصبح بها الخروج عن هذه القاعدة إجراء أسلوبيا فى حالة، وغير أسلوبى فى حالات أخرى، كما لا نستطيع أن ندرك حينئذ السبب فى أن بعض الوحدات اللغوية تقوم بدور وظيفى يمت فى نظام علاقة معينة وبدور إجراء أسلوبى فى نظام آخر، ولا كيف يكتسب الإجراء الأسلوبى الذى أصبح من كثرة استعماله (اكليشيها) أو صكا لغويا فارغا قوته التعبيرية مرة أخرى ويميز من القول العادى. ولا نعرف أيضا كيف يمكن لبعض الأساليب الرفيعة التى لا تكاد تختلف عن صيغ اللغة البسيطة العادية أن تتوفر لها خصائص متميزة. وعلى العكس من ذلك فإن اختلاف التأثير الناجم عن الانحراف الدائم يمكن شرحه بسهولة إذا كان طرف التقابل متغيرا فى نفس الوقت وهذا الطرف المتغير لا بد أن يكون هو السياق<sup>(١)</sup>.

وأحب أن أضيف إلى هذه المزايا لنظرية السياق، أن السياق هو الأصل الموثوق به فى عملية العدول، فهو وحده الأصل الذى يمكن مشاهدته والإمساك به ووضع موضع المقابلة. بينه وبين أى وحدة من وحداته، ولا يمكن ذلك بسهولة بالنسبة للقواعد الأخرى كقاعدة الاستخدام اللغوى أو الاستعمال الشائع، أو اعتبار مستوى الكلام أو النموذج المثالى أو غير ذلك؛ لأن هذه القواعد جميعا ليست شيئا حاضرا أو جاهزا أمام الناقد يستطيع أن يضعه بإزاء النص، وإنما هو شىء يحتاج إلى معاناة للحصول عليه، فضلا عن أنه لا يتحقق الحصول عليه ويظل مجرد فرض. محتمل الوقوع.

فضلا عن أن اعتماد السياق قاعدة للانحراف يتضمن كذلك غيره من القواعد؛ بل لعله يكون هو المظهر الوحيد لها أو الدال عليها. فعلى سبيل المثال إذا ما اتخذنا نظام اللغة قاعدة للانحراف أو العدول فإننا لا نستطيع إدراك ذلك الانحراف أو العدول عن قاعدة النظام اللغوى إلا ضمن سياق الكلام، إذ أن الدلالة الإفرادية للصيغ لا اعتبار بها - كما سبق بيانه فى المباحث التمهيدية عن دلالة الصيغة - ومن ثم فلا اعتبار إلا بالدلالة التركيبية، وهى

(١) انظر علم الأسلوب ص ١٩٢.

دلالة السياق لا غير، ومن ثم يصحح السياق هو مظهر العدول الحقيقي عن أى قاعدة من القواعد، ومن ثم يكون جدرا بأن يكون هو القاعدة السائدة فى قياس العدول.

والسياق الأسلوبى عند ريفاتير ليس هو التداعى وليس هو التوالى اللغوى الذى يمحصر تعدد المعنى أو يضيف إجماءات خاصة للكلمات بل هو (نموذج لغوى ينكسر بعنصر غير متوقع) والتضاد الناجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبى. وقيمة التضاد الأسلوبية تكمن فى نظام العلاقات الذى يقيمه بين العنصرين المتقابلين فلن يكون له أى تأثير ما لم يتداع فى توالى لغوى. وبعبارة أخرى فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية مثلها فى ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة فى اللغة<sup>(١)</sup>.

إن نظرية العدول السياقى عند ريفاتير هى أقرب شىء إلى ظاهرة الالتفات فى البلاغة العربية ولذا تعد من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية الحديثة وبين البلاغة العربية فى تناولها لظاهرة العدول وخاصة فى مبحث الالتفات<sup>(٢)</sup>.

(ويرى ريفاتير أن الارتباط بين الإجراء الأسلوبى وعملية التلقى يقع فى قلب المشكلة ويصلح أساسا لاستخدام التلقى كمييار لتحديد الوقائع الأسلوبية فى القول الأدبى. وإذا كانت الأذواق تتغير وكان لكل قارئ أحكامه المسبقة الخاصة فإن المشكلة تتمثل عندئذ فى تحويل ردود الفعل الذاتية إلى أداة موضوعية للتحليل بهدف العثور على ما هو مضطرد بالفعل أو بالقوة خلف تنويعات الأحكام المتعددة أى أن الأمر يتصل بتحويل أحكام القيمة إلى وجود وهذا يتسم ببساطة فى تقديره بالتخلى المطلق عن محتوى حكم القيمة والاكتفاء بما يدل عليه كمجرد إشارة إلى وجود شىء لافت فى النص. ويطلق "ريفاتير" شعارا له العبارة المعروفة "لا يوجد دخان بدون نار" فهما كان أساس حكم القيمة الذى يصدره القارئ فإنه صدر نتيجة لمثير مائل فى النص وربما كان موقف القارئ شخصيا ومتنوعا إلا أن سببه يظل موضوعيا وثابتا. وفى الرسالة اللغوية الملتقاة بشكل أو بآخر؛ فإن الانتقال من تأثير الأسلوب بالقوة إلى تأثيره الواقعى بالفعل بعد ظاهرة مزدوجة تشمل أولا الوحدة

(١) انظر علم الأسلوب ص ١٩٣.

(٢) راجع المبحث الخاص بالعدول فى التراث البلاغى وانظر نظرية اللغة فى النقد العربى ٢٤٩ ٢٥٠ وأسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية د/ حسن طبل ص ٤٦، ٥٢.

اللغوية وثانيا إثارة انتباه القارئ<sup>(١)</sup> ومعنى ذلك أن البلاغة العربية إذا كانت قد بدأت بافتراض ما يناسب حال المخاطب، فإن نظرية السياق عند ريفاتير تبدأ فى رصد الظواهر الأسلوبية بما يتحقق فعلا من حال المخاطب، وما هو ناشئ لا عن ملاسبات النص بل عن النص نفسه ونتيجة له.

ومن ثم فلعلها تكون من هذه الزاوية أقرب واقعية فى الوقوف على الظواهر الأسلوبية المؤثرة بالفعل لا بالقوة، إذ إن البلاغة العربية تنتهى بذلك إلى تحديد ظواهر أسلوبية مؤثرة بالقوة قد تؤثر فى المتلقى فى عصر دون عصر وفى مكان دون مكان، وتختلف من مخاطب لآخر.

أما الظواهر الأسلوبية التى تحددها نظرية السياق الأسلوبى عند ريفاتير فهى رصد للظواهر الأسلوبية المتحققة بالفعل فى سياق بعينه داخلا فى ذلك السياق البيئية الزمانية والمكانية المقول فيها وطبيعة المخاطب وحاله وملابسات القول وغير ذلك.

وعندما نختبر هذا المفهوم للسياق الأسلوبى نجد أن تكوين النموذج الذى يتحكم فى دهشة القارئ، يتبع بالضرورة خط تعاقب الجمل المكونة للقول وبهذا يمكن أن يتمثل السياق فى جزء خطى يمشى فى اتجاه يتقدم عين قارئ السطور لكنه ينبغى تعديل هذا التصور للنص كعامل فى تكوين السياق بإضافة مفهوم "الأثر الرجعى" له فمعنى الوقائع الأسلوبية التى يكشفها القارئ، وقيمتها تعدل خلال تقدمه فى القراءة فالكلمة المكررة مثلا تبرز بالتكرار وتنضاد مع الكلمات الأخرى غير المرسومة فى السياق التى لا تربطها علاقة "التطابق" مع نمط ما لكن هذا النمط الذى يتمثل فى المرة الأولى لظهور الكلمة المكررة لا يلاحظ للوهلة الأولى ثم لا يلبث أن يفرض نفسه على القارئ بتقييم مختلف. وتتراكم على مدار القراءة المعلومات والصيغ وتذكر المتواليات السابقة وكلما اتضحت معالم النموذج الكتابى كلما اشتد بروز التضاد عند ظهوره. فلو كنا نقرأ رواية مثلا تحكى وقائعها بصيغ الماضى المتوالية فإن الاستخدام المفاجئ، لصيغة المضارع يضاد السياق السابق كما أن مجموعة من الجمل المتوالية المتداخلة تهيء سياق التضاد لجملة اسمية مركزة منفردة.

(١) انظر علم الأسلوب ص ١٨٧.

وبلاحظ على هذا الوصف للسياق الأسلوبى أنه يقتضى أمرين أحدهما يتمثل فى أنه محدود المدى يحده تذكّر ما قرأناه للتو ويحده تلقى ما نقوم بقراءته؛ فالسياق إذن يتبع القارئ، ويغطى جميع متواليات القول وهذا يشرح تعدد جدوى الإجراء الأسلوبى أى إمكانية أن يكون لهذا الإجراء آثار متعددة مختلفة كما أنه يترتب عليه كذلك إمكانية توالى المتعلقات الأسلوبية أى أنه إذا كان النموذج الأول هو (السياق الإجراء الأسلوبى) فإن هذا الإجراء الأسلوبى يمكن بدوره أن يصبح سياقاً لإجراء آخر يتضاد معه فيقوم بدور الإجراء المضاد لما قبله والسياق الذى يتضاد معه ما بعده<sup>(١)</sup> وتبين من ذلك عدة أمور، ومن أهمها:

١- إمكانية الوقوف على الظواهر الأسلوبية فى النص فى الحال دون الرجوع إلى مراجع أحر خارجية غير السياق.

٢- الوقوف على تنوع السياق أو تداخل السياقات، حيث إن الظاهرة الأسلوبية أو الإجراء الأسلوبى نفسه قد يتحول إلى سياق جديد أو قاعدة جديدة يقاس إليها العدول أو الانحراف الواقع بعدها، وذلك أن الظواهر الأسلوبية المتقابلة حينما تتوالى فى نسق تعبيرى واحد فإن كلاً منها تهىء (سياقاً) جديداً للظاهرة التى تليها. فعلى سبيل المثال إذا تعاقبت فى نسق واحد صيغ الإفراد، الجمع، التثنية، الإفراد؛ فإن الانحراف الأول عن الإفراد إلى الجمع (وهو الظاهرة الأسلوبية الأولى) يحول مسار السياق بحيث يصبح الجمع هو النمط الذى يتوقعه المتلقى؛ أى أن صيغة الجمع تودى حينئذ دور (القاعدة) التى يعكس عليها الانحراف الثانى إلى التثنية (الظاهرة الثانية) ومعنى ذلك أننا نكون مع كل نقطة من نقاط التعاقب إزاء (سياق) - مسلك أسلوبى يتبدى سياقاً جديداً - مسلك أسلوبى - وهكذا<sup>(٢)</sup>

وقد استطاع ريفاتير أن يكشف لنا عن ثلاثة نماذج أو معادلات من المزوجة بين السياق والمخالفة، فيما سماه بالسياق الأصغر، والسياق الأكبر، ويسمى ريفاتير وحدته الأساسية (السياق الأصغر) فهذا مع الانحراف أو المخالفة يكونان معاً ما

(١) انظر علم الأسلوب ص ١٩٣، ١٩٤.

(٢) انظر أسلوب الالتفات ص ٥٧، اللغة والإبداع ص ٩٢، علم الأسلوب ص ١٩٦، اتجاهات البحث الأسلوبى



يسميه مسلكا أسلوبيا. (أى أن المسلك الأسلوبى عنده هو ثنائية بنوية تعتمد على التضاد، وطرفاه، السياق والمخالفة)<sup>(١)</sup>

ويمثل ريفاتير هذه الوحدة بالمعادلة التالية: نسق أصغر + مخالفة = مسلک أسلوبى. (٤٩) وفى مقابل هذا السياق الأسلوبى الأصغر يحدد ريفاتير لونا آخر من السياق الأكبر يتمثل فى نموذجين يعبر عنهما بالمعادلتين الآتيتين:

١- السياق ---> المسلك الأسلوبى ---< السياق

٢- السياق ---< المسلك الأسلوبى كنقطة انطلاق لسياق جديد ---> مسلک أسلوبى<sup>(٢)</sup>.

وبهذا تكون قد وقفنا على أهم مزايا السياق الأسلوبى عند ريفاتير، حيث يرى (ريفاتير) أن السياق لا ينفصل عن الإجراء الأسلوبى ويتميز بالخواص التالية:

١- التلاؤم اللازم مما لا يحدث بالضرورة بالنسبة للقاعدة.

٢- قابليته الفورية للتحديد وإمكانية الإمساك به على التوفيق غامضا ولا مبهما ولا ذاتيا.

٣- التنوع، إذ إنه يشكل مجموعة من مظاهر التضاد مع الإجراءات الأسلوبية المتوالية وهذا التنوع هو الذى يوضح لنا السبب فى أن وحدة لغوية ما تكتسب تأثيرها الأسلوبى أو تعدله أو تفقده نظراً لوضعها كما أنه هو الذى يوضح لنا السبب فى عدم اعتبار اضطراب القاعدة واقعة أسلوبية بالضرورة يمثل ما أن التأثير الأسلوبى لا يتوقف دائما على الشذوذ عن القاعدة<sup>(٣)</sup>.

هذه المزايا كلها لا نحصل عليها عند اتخاذ أى قاعدة أخرى لقياس العدول غير قاعدة السياق الأسلوبى (فهذه النظرية إذاً تؤدى إلى وصف مقنع للنص الأدبى من وجهة نظر لغوية، ورصد واضح للظواهر اللغوية فيه)<sup>(٤)</sup>

(١) اللغة والإبداع ص ٩٢.

(٢) انظر علم الأسلوب ص ١٩٦، اللغة والإبداع ص ٩٢.

(٣) انظر علم الأسلوب ص ١٩٤.

(٤) انظر علم الأسلوب ص ٢٠٢.

وإذا كانت نظرية السياق بما عرضنا من سماتها السابقة تعد أكثر صلاحية من غيرها في الوقوف على الظواهر الأسلوبية وتقويمها عن طريق العدول فإنها (تحمّل في ثناياها خطراً لا بد من التنبيه إليه وهو أنها قد تؤدي إلى المبالغة في تجسيد أهمية الظواهر الثلاثة للنظر، وهي أهمية أسلوبية بطبيعة الحال بشكل يقصر الأسلوب على الخواص غير المتوقعة والظواهر البارزة فحسب مما يدفعنا إلى ضرورة البحث عن الجوانب المكملّة لهذه النظرية الأسلوبية من خلال دراسة الأبنية ومعدلات تكرارها ودورها في تكوين الأسلوب بالرغم من أنها غير مفاجئة في النص إذ إنها تظل ذات قيمة في خلقه<sup>(١)</sup>

ولذا فنحن لا ندعى أن العدول السياقي قادر وحده على الكشف عن الملامح الفنية والأسلوبية في النص بل إنه أحد أسس ثلاثة لعلها تمثل في رأي أهم الظواهر الأسلوبية التي يمكن أن يكون لها تأثير مباشر في البناء الجمالي للنص الأدبي، وهذه الظواهر الثلاثة هي التي رتبنا على أساسها أسس التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة وهي: الاختيار، والعدول، والتكرار.

فعل هذه الأسس جميعا يمكن أن تعطى أهم الظواهر الأسلوبية التي تظهر في النص الأدبي - على الأقل - في جانب الصيغ، بما يمكن أن يسد الفراغ الذي تتركه نظرية السياق الأسلوبية.

وإذا كنا قد بدأنا في هذا المبحث بعرض ما ترجح لدينا من نظرة الدراسات الحديثة إلى العدول فإننا نستطيع أن نقرر أن ما أدلى به البلاغيون في تراثنا البلاغي لم يكن بعيدا كل البعد عما قررته تلك الدراسات الحديثة.

فقد التفت أبو عبيدة ت ٢١٠هـ إلى توظيف صيغة المفرد مكان صيغة الجمع في قوله تعالى ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (الحج: ٥) قال: (ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه، ووقع معنى هذا الواحد على الجميع، قال "يخرجكم طفلاً" في موضع (أطفالا).. وقال: ﴿وَأَلْمَلْتُ عَلَىٰ أَرْجَائِهِمَا﴾ (الحاقة: ٧) في موضع: (والملائكة).

وعلى هذا النحو يقف أبو عبيدة عند العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي في قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُكْثِرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَدْرٍ مَّيْتٍ...﴾ (فاطر: ٩)

(١) انظر علم الأسلوب ص ٢٠٢، ٢٠٣.

يقول: "ومجاز (فسقناه) مجاز (ففسوقه)، والعرب قد تضع فعلنا في موضع نفع، قال الشاعر:

إن يسمعوا رية طاروا بها فرحا منى وما يسمعوا من صالح دفنوا

في موضع: يطيروا ويدفنوا<sup>(١)</sup>.

أما الفراء - ت ٢٠٧ هـ فقد تناول (بعض ألوان تلك الظاهرة في كتابه (معاني القرآن) ولم يخرج في تناوله لها عن ذلك النهج الذي سار عليه معاصره أبو عبيدة، غير أنه لم يقدم لها - كما فعل أبو عبيدة - مصطلحا واحدا يحتويها ويلم أشاتها المتناثرة في كتابه: وقد سار على هذا النهج أيضا المبرد ت ٢٨٥ هـ في كتابه الكامل<sup>(٢)</sup>.

أما ابن قتيبة فقد سلك مسلك (أبي عبيدة في إدراجها تحت مصطلح المجاز)<sup>(٣)</sup> كما نفتت إلى تلك الظاهرة كذلك أبو هلال العسكري - ت - ٣٩٥ هـ كما بينته في الفصل الخاص بالترادف الصيغي، وذلك مثل قوله: "فإن (الرحيم) مبالغة لعدوله، وإن (الرحمن) أشد مبالغة لأنه أشد عدولا"<sup>(٤)</sup> والذي يعيننا هنا هو استخدام أبي هلال لمصطلح العدول واتخاذة أساسا يقاس عليه تحقيق المبالغة المطلوبة التي يقتضيها المقام.

ومعنى ذلك أنه يلفتنا إلى أساس ثان غير الاختيار يمكن اعتماده في التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة.

نجد هذا الملمح كذلك عند الباقلاني ت ٤٠٣ هـ حيث يرى كذلك أن (رحمن عدل عن راحم للمبالغة)<sup>(٥)</sup> فيذهب إلى نحو ما ذهب إليه أبو هلال أنفا.

والذي أراه أن العدول الذي ذكره كل من أبي هلال والباقلاني في هذا الموضع إنما هو بالنظر إلى الصيغة في ذاتها أي في حالة الأفراد لا في حالة التركيب، أي أن المقارنة إنما تمت بين كل من (راحم ورحمن ورحيم) خارج سياقات الكلام، وعلى هذا تم الخروج

(١) مجاز القرآن ج ٢ / ١٥٦.

(٢) انظر السابق ص ٩ وانظر الكامل ٢٢٢/٣، ٥٦/٢.

(٣) نأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - ص ١٥ - ١٦.

(٤) الفروق في اللغة ص ١٩٠.

(٥) الباقلاني: إعجاز القرآن: ٢٧٣ - ٢٧٤.

بهذه القاعدة أن رحيم عدل بها عن راحم فهي أبلغ منها، ورحمان أشد عدولا فهي أشد مبالغة.

وليس المقصود أنه عدل في هذا الموضع أو هذا السياق أو راحم أو رحمن، إذ إنه ليست هناك قرينة توجب كون أصل التعبير في هذا السياق باسم الفاعل راحم ثم عدل عنه إلى رحيم أو رحمان إلا أن يعتبر أن الأصل في التعبير هو عدم الزيادة، وهذا غير مسلم، لأن زيادة المبنى ونقصانه إنما تترتب على زيادة المعنى ونقصانه، لا على أن الأصل هو عدم الزيادة.

والذي يبدو أن مصطلح العدول قد وظف هنا بمعنى إظهار صيغة دون أخرى، وهذا يدلنا على أنه كان يخلط بينه وبين المعنى الدقيق للاختيار أحيانا.

أما الزمخشري ت- ٥٣٨ هـ فقد جرى نظريا على نهج ابن المعتز في قصر ظاهرة الالتفات على المخالفة بين الضمائر<sup>(١)</sup> وتبعه على ذلك السكاكي في مفتاحه، إلا أن الزمخشري قد التفت في تطبيقاته القرآنية إلى ظاهرة العدول في الصيغ وإن لم يسمها بمصطلح الالتفات الذي قصره على مدلول المخالفة بين الضمائر.

وقد كان للزمخشري النصيب الأعظم من الالتفات إلى تلك الأسس التي قام عليها التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة في القرآن الكريم، وتبعه على هذا النهج كافة من جاء بعده من المفسرين حتى إن بعضهم لا يزيد في كثير من المواضع على أن يحكى عبارة الزمخشري في بيان ما اشتملت عليه الآية من اختيار أو عدول في جانب الصيغ، والحق أنه ما أهلى أحد في هذا الأمر ما أبلاه ضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧ هـ في كتابه "المثل السائر" من كلامه فيما سماه تارة بالعدول، وتارة بالنقل أو الانتقال وذلك في الفصل الذي عقده بعنوان "قوة اللفظ لقوة المعنى"<sup>(٢)</sup>، وما يقتضيه المقام هنا أن نقف عند توظيفه لمصطلح العدول كأساس من أسس التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة.

فمن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اخْتِيارًا عَرِيزًا مُقْتَدِرًا﴾ (القمر: ٤٢) حيث يقول: "مقتدر هنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر..."<sup>(٣)</sup> فهو

(١) الكشاف ١/١٠.

(٢) المثل السائر ٢/٢٤١-٢٤٧. انظر الفصل الخاص بالعلاقة بين الصيغة والمعنى في الباب الأول من الرسالة.

(٣) المثل السائر ٢/٢٤١-٢٤٧.

يلمح ما فى الآفة من عدول عن الأصل اللغوى (قادر) على صيغة اسم الفاعل إلى الصيغة الأخرى المنتقل إليها وهى (مقتدر) على صيغة (مفتعل) والذى نراه أن الأشبه بالصواب فى هذا الموضوع هو مصطلح الاختيار لا العدول عند كل من أبى هلال والباقلانى فيما سبق نقله عنهما فابن الأثير يقول: "فمقتدر ها هنا أبلغ من قادر" فقله: ها هنا يدل أن المقارنة بين الصيغتين ليست مقارنة مطلقة أى فى حالة الأفراد، وإنما هى مقارنة مقيدة بمدى الفنية فى هذا التركيب بعينه، ومن ثم فإن افتراض أن أصل التعبير فى هذا السياق هو اسم الفاعل (قادر)، افتراض لا مبرر له ولذا فالأقرب أن يكون المراد بالعدول هنا نوعا من الاختيار، لأن الاختيار فى حقيقته إنما هو عدول عن لفظ لآخر.

وقد يقال إن العدول فى هذه الأمثلة التى اعترضنا على إطلاق لفظ العدول عليها إنما هو باعتبار الخروج فيها عن الأصل اللغوى لا عن الأصل السياقى؛ فكأنها إنما عدل فيها عن الأصل المستخدم فى حالة الأفراد لا فى حالة التركيب.

فنقول: الأصل اللغوى: إما أن ينظر إليه فى السياق أو خارج السياق، فالنظر إليه خارج السياق إنما هو شأن الصرفى لا البلاغى.

أما شأن البلاغى فهو أن ينظر إلى الأصل اللغوى داخل السياق لا خارجه أى فى حالة التركيب لا فى حالة الأفراد وذلك كما سبق تأسيسه فى المباحث التمهيدية من البحث وحينئذ يتحدد لديه الأصل اللغوى مع الأصل السياقى ومثال ذلك أن ننظر إلى أن الأصل اللغوى فى قوفهم: (زيد نهارة صائم وليله قائم) هو نهارة مصوم فيه وليله مقوم فيه وهذا يعنى أنه قد عدل فى هذا السياق عن الأصل اللغوى.

والذى جعلنا نفترض أن التعبير باسم المفعول هو الأصل أن هذا هو ما يقتضيه سياق الكلام وصحة تركيبه لغة وعقلا فإذا عدل عن ذلك مع وجود ما يسوغه لغة، فإن هذا المسوغ إنما هو تلك التكلفة البلاغية التى عدل عن الأصل اللغوى لأجلها.

فهذا النوع قد دل على العدول فى سياق الكلام كما يدل عليه كذلك نظام اللغة أما الأمثلة التى ذكرها ابن الأثير من نحو العدول عن قادر إلى مقتدر، وذكرها أبو هلال وغيره من نحو العدول عن راحم إلى رحيم ورحمن فالأشبه عندى بالصواب أنها من قبيل الاختيار لا من قبيل العدول، وذلك لأن العدول لا يكون إلا عن أصل أو قاعدة، ولا يصح هنا افتراض لغوى ولا أصل سياقى إلا أن يكون المقصود بالعدول هنا هو العدول عن المعنى

انتمطى إلى المعنى الفنى وهذا النوع من العدول لا يكاد يفترق عن الاختيار فى شىء بل هو حقيقة الاختيار ومن ثم لا نرى ما يدعو إلى تخصيصه باسم مستقل عن الاختيار. أما ما يصح تخصيصه بمصطلح العدول فهو ما يكون العدول فيه عن الأصل السياقى للكلام خاصة إذا ما اتسع مصطلح السياق لدينا ليشمل البيئة الزمانية والمكانية التى قبل فيها النص كذلك؛ بحيث يفترض أن يتجرد المتلقى للنص عن ذاته ويعد نفسه أحد المخاطبين بهذا النص فى البيئة التى قبل فيها.

ومن أمثلة هذا العدول السياقى عند ابن الأثير تلك الأمثلة التى عرضها ابن الأثير فى حديثه عن القسم الثانى من الالتفات حيث قسم الالتفات إلى ثلاثة أقسام:  
الأول: وهو ما يختص بالضمائر<sup>(١)</sup> وهو ما يقع خارج دائرة البحث.  
الثانى والثالث: يختصان بالالتفات أو الانتقال الواقع فى صيغ الأفعال، وهو ما يعنىنا فى هذا البحث.

فما جاء منه قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا هُوَذَا مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَلِيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (هود: ٥٤)؛ فإنه إنسا قال "أشهد الله واشهدوا" ولم يقل وأشهدكم ليكون موازنا له لأن شهادته الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر كما يقول الرجل لمن يبس الشرى بينه وبينه: "أشهد على أنى أحبك" تهكما به واستهانة بحاله<sup>(٢)</sup>

فالعدول هنا فى كلام ابن الأثير قد وظف توظيفا صحيحا لأنه عدول عن الأصل السياقى؛ وذلك لأن السياق يقتضى (وأشهدكم) بصيغة المضارع إلا أنه قد عدل عن هذا الأصل السياقى للنكتة التى بينهما ابن الأثير.

ويعضى ابن الأثير فى عرض أمثلة هذا النوع من الالتفات فيقول: "وكذلك يرجع عن الفعل الماضى إلى فعل الأمر إلا أنه ليس كالأول، بل إنسا يفعل ذلك توكيدا لما أجرى عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَنِصُّوا بِرَبِّكُمْ عِنْدَ

(١) المثل السائر ١٦٨/٢.

(٢) المثل السائر ص ١٢٩-١٨٠.

كُلُّ مَسْجِدٍ وَأَذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩) وكان تقدير الكلام: أمر ربي بالنقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية ولهذا قال ﷺ "الأعمال بالنيات"<sup>(١)</sup> ووضح هنا كذلك أن العدول هنا عن أصل يقتضيه السياق وهو ما قدره ابن الأثير في كلامه السابق.

ونستطيع أن نتبين هذا السياق الذي تم العدول عنه كذلك في أمثلة القسم الثالث الذي ذكره ابن الأثير من أقسام الالتفات وهو في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَسُقَاتُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر: ٩) فالأصل الذي يقتضيه السياق هنا هو (فأثارت) وعدل عنه لغرض بلاغي وعلى هذا ورد قول تأبط شرا:

بأني قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليديس وللجران<sup>(٢)</sup>

فأصله: (فضربتها) وعليه ورد قوله تعالى أيضا ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ \* حَتَّىٰ تَخْضَعُوا لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١-٣٢) فقال أولا: "خر من السماء" بلفظ الماضي، ثم عطف عليه المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوى الريح به<sup>(٣)</sup>. وتقرير الأصل السياقي فيه (فخطفته الطير أو هوت به الريح) وهكذا في سائر الأمثلة التي عرض لها ابن الأثير.

والمقصد من ذلك هو الخروج بنقطة هامة وهي أن العدول في هذه الأمثلة كلها إنما هو عدول عن الأصل السياقي المقدر فالسياق هو الذي دل على العدول في تلك الأمثلة كلها، ومن ثم يصح أن نعتبر السياق هو الأصل أو القاعدة التي تنحرف عنها الصيغة أو تعدل

(١) المثل السائر ص ١٨٠.

(٢) المثل السائر ص ١٨٣.

(٣) المثل السائر ص ١٨٣-١٨٤.

عنها إلى صيغة جديدة خالفت السياق لنكتة أو غرض بلاغى تطابق به مقتضى الحال  
وتتحقق به المعانى الفنية المطابقة التى هى غاية البلاغة.

وهذا هو الظاهر فى القاعدة التى يحدد ابن الأثير العدول على أساسها فى تلك الأمثلة  
السابقة، وهو ما سوف نتبينه عند الوقوف على تلك الأسس فى الدراسات الأسلوبية  
الحديثة.

هذا وقد وقف ابن الأثير أمام ظاهرة العدول فى الصيغ فى مبحث أفرده لذلك سماه  
اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها<sup>(١)</sup> وسوف نقف هنا على أهم ما جاء فيه مما يتعلق بظاهرة  
العدول فى الصيغ.

قال ابن الأثير: "أما اختلاف صيغ الألفاظ فإنها إذا نقلت من هيئة إلى هيئة كتحليلها مثلا  
من وزن من الأوزان إلى وزن آخر وإن كانت اللفظة واحدة أو كتحليلها من صيغة الاسم إلى  
صيغة الفعل أو من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم أو كتحليلها من الماضى إلى المستقبل أو من  
المستقبل إلى الماضى، أو من الواحد إلى الثنية أو إلى الجمع أو إلى النسب أو إلى غير ذلك  
انتقل قبجها صار حسنا، وحسنها صار قبجا.. فذكر أمثلة ثم قال: "ومن هذا النوع ألفاظ  
يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستغنى من ذلك إلا الذوق  
السليم وهذا موضع عجيب لا يعلم كنه سره" (٣٣) هذا النوع إذاً - على ما يرى ابن  
الأثير لا ضابط له ولا حاكم فيه إلا الذوق السليم، والذى أراه أن الإحالة على الذوق  
إحالة على غيب، وعلى أمر يتفاوت فيه الناس، بلا ضابط يضبطهم ولا حاكم يحكمهم،  
وإن كان هذا لا يعنى أننا ننكر أمر الذوق؛ فهذا مما لا ينكر؛ بل لولاه ما اهتدى مهتدي  
حسن ولا قبج، ولا فصاحة ولا عى؛ إلا أن ما ننكره أن يكون الذوق مشجبا لكل من  
عجز عن بيان علة حسن الشيء أو قبجه؛ فيعلق حسن ذلك الشيء أو قبجه على الذوق  
دونما تحليل ولا بيان.

فإذا انتقلنا إلى البلاغيين المتأخرين فإننا نجدهم قد التفوا إلى العدول فى الصيغ واعتبروه  
أساسا من أسس التوظيف البلاغى فيما سموه بمخالفة مقتضى الظاهر، وذلك فى مبحث  
أحوال المسند إليه فمن ذلك: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه وأن  
ما هو للوقوع كالواقع، كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ

(١) المثل السائر ٢٩٣/١ ورتبه فيه الطيبى ٥٠٠/٢-٥٠٣.



في الأرض إلا من شاء الله وكل أئمة ذاهرين) (النمل: ٧) وقوله ﴿يَوْمَ نُسَبِّرُ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرَتَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٧)، وقوله تعالى ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (الأعراف: ٥٠) وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ (الأعراف: ٤٨)، جعل المتوقع الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع.. ومثله التعبير عنه باسم الفاعل كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّهْنَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات: ٦)، وكذا اسم المفعول، كقوله تعالى ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مُّجْمَعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾<sup>(١)</sup> (هود: ١٠٣) وقد زاد الطيبي في مخالفة مقتضى الظاهر على ما ذكر، فذكر منه وصف الواحد بالجمع، قال ومن الأسلوب: - أى إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر - (وصف الواحد بالجمع) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠) أى كان وحده أمة من الأمم فى جميع صفات الكمال" وقوله تعالى: ﴿شَيْهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ٩) نزل الواحد - وهو الموصوف منزلة الجمع لوصفه به إظهاراً لكمال حفظه وقول الشاعر .. ومعنى جياعا جعل كل مكان من أماكن المعاني بمنزلة (معا) واحد مبالغة فى الجوع.

فهو يقصد بقوله: "ومن الأسلوب" أى الأسلوب الموافق لما سبق ذكره وهو وضع المضمرة موضع المظهر ونحوه، وهذا كله أسلوب واحد هو خروج الكلام على مقتضى الظاهر<sup>(٢)</sup> وهذا كله يدلنا على مدى التفات البلاغيين لهذا الأساس الهام من أسس التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة ألا وهو العدول أو ما سموه بالنقل أو الانتقال أو الالتفات أو مخالفة مقتضى الظاهر أو غير ذلك من أسماء ومصطلحات تعبر عن ظاهرة واحدة.

وإذا كنا قد عرضنا فى هذه الصفحات لأساسين هاميين من أسس التوظيف لصيغة الكلمة فى التراث البلاغى وعرضنا لبعض ما وصفه البلاغيون بالاختيار أو العدول أو نحو ذلك من الألفاظ المقارنة، فإن من تمة البحث هنا أن نبين أن ثمة مواضع كثيرة فى ترانسا البلاغى وقف فيها البلاغيون أمام صيغة الكلمة بالنظر والتحليل وبيان مدى مطابقتها لمقتضى الحال دون وصف الاستخدام للصيغة بكونه اختياراً أو عدولاً وإنما كان ما أهمهم فى تلك المواضع هو كون التعبير قد جاء بتلك الصيغة الاسمية أو الفعلية، وذلك نحو تعرضهم فى مبحث أحوال المسند للحالة التى تقتضى كونه فعلاً أو اسماً، دون وصف ذلك

(١) الإيضاح ص ١٦٥ وانظر شروح التلخيص ٤٨٤/١، ٤٨٥ وانظر عقود الجمان وشرحه ٩٧/١.

(٢) انظر التبيان للطيبي ج ١ ص ١٥٣.

بكونه اختياراً أو عدولاً أو غير ذلك فعلى سبيل المثال جاء فى الإيضاح: "وأما كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن مع إفادة التجدد.

وأما كونه اسماً فلإفادة عدم التقييد والتجدد، ومن البين فيهما قول الشاعر:

لا يأئن الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوسم

إذ معنى الأول على ثبات الدرهم مطلقاً من غير اعتبار تجدده وحدثه، ومعنى الثانى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هنا وهناك." (٣٧)

وعلى هذا النحو من المعالجة تمت معالجة هذا المبحث فى سائر كتب البلاغة النظرية<sup>(١)</sup> وكما فعلوا ذلك فى مبحث أحوال المسند مضوا على هذا السبيل كذلك فى مبحث الإنشاء حيث تعرضوا كذلك للدلالات كل من صيغة الأمر والنهى ولكن دون نظر إلى وجه استعمال الصيغة على سبيل الاختيار أم العدول، وإنما عنوا بالمقام الأول بتحديد دلالة كل من صيغة الأمر والنهى، وهو دلالة الأولى على الطلب، والثانية على الكف، وما تخرج إليه كل صيغة منهما إلى غير ذلك من الدلالات كخروج الأمر من الطلب إلى الإباحة أو التهديد أو التعجيز أو الإهانة أو التمنى.. الخ<sup>(٢)</sup> وكاستعمال النهى فى غير طلب الكف أو الترك كالتهديد<sup>(٣)</sup>

والمقصد من ذلك أن نقرر أن البلاغيين وإن لم يهتموا فى تلك المواضع بتسمية استعمال الصيغة اختياراً أو عدولاً، فإنهم قد وقفوا أمام تلك الصيغ لبيان الحالات التى يحسن فيها أن تكون اسماً أو فعلاً معللين لذلك تعليلاً بلاغياً؛ فالمهم إذا هو أنهم قد وقفوا على الظاهرة فعلاً.

وعلى كل فقد عرف البلاغيون لا سيما المتقدمين، والمفسرين منهم كلا من الاختيار والعدول كأساسين هاميين من أسس التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة.

(١) انظر الإيضاح تحقيق د/ خضامى ص ١٧٧، وانظر على سبيل المثال الفتاح/ المطبعة الأدبية ص ١١٢، التبيان

للطبي ص ١٧٥، ١٧٨، الإشارات والتبهيات ص ٦٥، شروح التلخيص ص ٢٥/٣٠، عقود الجمان ١/٦٠٦.

(٢) الإيضاح ص ٢٤١-٢٤٣، الطراز ٣/٢٨١، ٢٨٣ والتبيان للطبي بتحقيقى ١/٢٥٢، شروح التلخيص ٢/٣٠٨،

عقود الجمان ١/١٦٥.

(٣) انظر الإيضاح ص ٢٤٤، وانظر الفتاح ص ١٧٢، الطراز ٣/٢٨٤، ٢٨٥، والتبيان للطبي ١/٢٥٣، شروح

التلخيص ٢/٣٢٤.

وإذا كنا قد انتهينا في هذا المبحث إلى ترجيح قاعدة السياق كمعيار لقياس العدول الواقع في النصوص، فإن ثمة أنواعا من العدول قد ذكرها الباحثون، نذكر هنا ما يعيننا منها في ضوء ما انتهينا إليه.

١- يمكن تصنيف العدول تبعا لدرجة انتشار المخالفة في النص إلى ظواهر محلية موضوعية، أو شاملة؛ فالانحراف الموضوعي يؤثر فحسب على نسبة محددة من السياق وهكذا فالاستعارة مثلا يمكن أن توصف على أنها انحراف موضعي عن اللغة العادية أما الانحراف الشامل فيؤثر على النص بأكمله ومثاله معدلات التكرار الشديدة الارتفاع أو الانخفاض لوحدة معينة في النص مما يعد انحرافا شاملا<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أن هذا التقسيم للانحراف يدخل فيه التكرار كنوع من العدول وقد رجح البحث اعتبار التكرار أساسا مستقلا للوقوف على الظواهر الأسلوبية في النص، كما سيأتي عند الحديث عن التكرار.

٢- كما يمكن تصنيف الانحرافات من جهة النظر التي تعتمد على العلاقة بين القاعدة والنص المزمع تحليله فيتم التمييز طبقا لهذا بين الانحرافات الداخلية والخارجية ويبدو الانحراف الداخلي عندما تنفصل وحدة لغوية ذات انتشار محدود عن القاعدة المسيطرة على النص في جملة، كما يبدو الانحراف الخارجي عندما يختلف أسلوب النص عن القاعدة الموجودة في اللغة المدروسة (٥٤) ويلاحظ كذلك أن هذا التصنيف يعتمد المعايير المختلفة لقياس العدول، ومن ثم فبناء على ما رجحه البحث من اتخاذ السياق قاعدة للعدول فليس أمانا إلا ما يسمى بالانحراف أو العدول الداخلي.

٣- ويمكن تصنيف الانحرافات طبقا للمستوى اللغوي الذي تعتمد عليه وبهذا الشكل يتم التمييز بين الانحرافات الخطئية والصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية الدلالية<sup>(٢)</sup> ومعلوم أن المستوى اللغوي الذي يتناوله البحث هو المستوى الصرفي، ومن ثم فليس أمانا إلا نوع واحد من العدول كذلك في هذا البحث.

٤- كما تصنف الانحرافات طبقا لتأثيرها على مبدأ الاختيار والتركيب في الوحدات اللغوية تبعا "لجاكوبسون" فالانحرافات التركيبية تتصل بالسلسلة السياقية الخطئية للإشارات

(١) انظر علم الأسلوب ص ١٨٢.

(٢) انظر علم الأسلوب د/ صلاح فضل ص ١٨٢.

اللغوية عندما تخرج على قواعد النظم والتركييب مثل الاختلاف فى ترتيب الكلمات. والانحرافات الاستبدالية تخرج على قواعد الاختيار للرموز اللغوية مثل وضع المفرد مكان الجمع أو الصفة مكان الموصوف أو اللفظ الغريب بدل المؤلف. على أن الفصل القاطع بين الانحرافات السياقية والاستبدالية لا يمكن الإصرار عليه فى التحليل الأسلوبى فالانحراف الاستبدالى فى وضع المفرد مكان الجمع مثلا لا بد أن يترتب عليه انحراف تركيبى يتصل بضرورة التوافق فى العدد بين أطراف الجملة ومن هنا فقد يحسن قصر الانحرافات الاستبدالية على عمليات الاختيار المعجمية ولا بد على أية حال من الانتباه لمبدأى الاختيار والتركييب وأهميتهما فى أمة نظرية أسلوبية وهذا التقسيم الأخير يبطله تماما نظرية السياق الأسلوبى عند ريفاتير فمعلوم أن كل انحراف لا بد أن يؤثر فى السياق بل إن الانحراف نفسه قد يصبح هو نفسه سياقاً جديداً كما سبق بيانه عند ريفاتير .

ورشة تقسيم آخر للعدول يمكن أن يضيف نوعاً آخر من العدول فى دراسة الصيغ، وذلك أن الانحراف اللغوى قد يكون اختيارياً بلجأ إليه المنشئ مختاراً، ويكون غالباً ذا مبررات فنية وغايات جمالية يهدف إليها كالإثارة الذهنية أو التشويق العقلى أو لفت الانتباه، أو التأكيد أو غير ذلك من الأهداف التى يسمي إليها الكاتب وقد يكون أى الانحراف اضطرارياً يعول عليه صاحب الأثر الأدبى كما يفعل الشاعر مثلاً حينما تضطره المحافظة على الميزان الشعرى أن يسلك دروباً يباح له فيها ما لا يباح للنثر<sup>(١)</sup>.

والعدول الاضطرارى غالباً ما يقع لأجل مراعاة الإيقاع كالوزن أو القافية أو غير ذلك من ألوان البديع التى يشترط لها تحقيق نوع معين من الإيقاع كالسجع وبعض أنواع الجناس والترصيع وغير ذلك مما سيأتى التعرض له عند الحديث عن التكرار الصيغى فى التراث البلاغى؛ ومن ثم أرى أن يسمي هذا النوع من العدول الذى يضطر إليه الشاعر أو المبدع لأجل الإيقاع - بالعدول الإيقاعى وذلك لأن تسميته بالاضطرارى غير دقيقة، وذلك لأن اضطرار الشاعر لمراعاة الإيقاع لا يرخص له فيه إلا مع تحقيق المطابقة الفنية وإلا كان محض تكلف يؤخذ عليه المبدع، ومن ثم فمصطلح الاضطرار فيه قدر من التجوز لأنه بالمقاييس الفنية ليس مضطراً إلى شيء إلا ما يحقق الجودة الفنية لقاله الإبدعى.

(١) انظر الأسلوبية د/ فتح الله ص ٢٠.

كما أرى أن تسمية هذا النوع من العدول بالإيقاعى تعد تمييزاً له عن نوع آخر يضطر إليه المتكلم حسب قواعد اللغة؛ حيث إن العدول فى هذه الحالة عدول فى أصل اللغة من الواضع الأول، وليس عدولاً من المتكلم، بحيث يمكن أن نميز بين نوعين من العدول:

الأول: عدول لغوى اضطرارى نطقى: وهو ما يقع فى أصل الوضع" ومنه الاقتصار فى بعض الأصول على بعض المثل ولا تعلم قياساً يدعو إلى تركه نحو امتناعهم أن يأتوا فى الرباعى فعُللَ أو فعلل، لُوَ فَعَلَّ أو فَعِلَّ أو فُعِّلَ، ونحو ذلك. وكذلك اقتصارهم فى الخماسى على الأمثلة الأربعة دون غيرها مما تجوزه القسمة. ومنه أن عدلوا فعلاً عن فاعل، فى أحرف محفوظة وهى ثعل، وزحل، وغدر، وعمر، وزفر، وجشم، وقثم، وما يقل تعداده<sup>(١)</sup>.

ومن أمثله قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَقْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨) حيث استخدمت صيغة فاعيل هنا فى (شريعة) بمعنى مفعول، وهذا العدول إنما هو بأصل الوضع<sup>(٢)</sup>.

الثانى: عدول كلامى اختياري فنى: وهو العدول الذى نعينه فى هذا البحث وهو ما يقع لأغراض فنية بلاغية فهذا النوع الأول من العدول الاضطرارى غير داخل فى إطار الدراسة البلاغية لخلوه من الأغراض الفنية، بخلاف ما سميناه بالعدول الإيقاعى حيث لا يحسن إلا إذا كان لغرض بلاغى أو جاء مطابقاً للمعنى بغير تكلف.

(١) انظر ابن جنى/الخصائص/١/٥٢.

(٢) انظر الندر المصنوع/٦/١٢٨، المحرر الوجيز/٥/٨٤، روح المعاني/٢٥/ص ١٤٨-١٤٩، البصائر/٣/ص

٣٠٩، القرطبي/٩/ص ٥٩٨٣، د/ على طلب (صيغة فاعيل واستعمالها فى القرآن الكريم ص ١٨٠، ٣٦٠).

# النماذج التفصيلية للعدول

## ١- العدول إلى صيغة الاسم

### العدول في المصادر

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلِّبُوا بآيَاتِنَا كِتَابَهَا﴾ (النبا: ٢٨) حيث عدل فيه عن المصدر تكديماً لأجل الإيقاع، ولما بدل عليه من المبالغة في التكذيب أكثر من المصدر الأصلي خاصة وأن أغلب ما يكون العدول يكون للمبالغة<sup>(١)</sup>. وبدل على رعاية الإيقاع كذلك تكرر ذلك المصدر بعينه في نفس السورة في قوله تعالى ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِتَابًا﴾ (النبا: ٣٥) وكان ذلك من حسن الجزاء للمتقين الداعين إلى الله حيث قولوا في الدنيا بذلك الكتاب، فعصمهم الله في الآخرة أن يسمعوا فيها لغواً أو كذاباً.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (المزمل: ٨) حيث عدل عن المصدر (تبتل) إلى (تبتيلاً) وقد جرى معظم المفسرين الذين تعرضوا لبيان سر العدول في هذا الموضع على تعليقه برعاية الفواصل<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري (فإن قلت: كيف قيل (تبتل) مكان (تبتلا) ، قلت لأن معنى تبتل: بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل<sup>(٣)</sup>).

فالزمخشري - وتبعه في ذلك الألوسى - جعل (تبتل) هنا بمعنى بتل، ولكن هذا يشير سؤالاً آخر وهو لماذا عدلت الآية إذا عن بتل إلى (تبتل) ؟ والأقرب من هذا وهو الأصوب أن نقول: لماذا عدلت الآية عن عن (التبتل) إلى (التبتيل) ؟ وهل السر في هذا العدول هو مجرد رعاية الفاصلة؟

قال الألوسى: " (تبتيلاً) ونصبه (تبتل) لتضمنه بتل على ما قيل"<sup>(٤)</sup>

(١) انظر الكشاف ١٧٨/٤، والدر المنصون ٤٦٥/٦، ٤٦٦، ٤٦٧، المحرر ٤٢٨/٤٢٧/٥ والألوسى ١٦٦/٣٠، ١٧.

١٨، ومعاني القرآن ٥٢٥/٢.

(٢) انظر الكشاف ١٥٣/٤ / الألوسى ١٠٦/٢٩، والدر المنصون ٤٠٥/٦، والجلالين ص ٧٧٣ والقرطبي ٦٨٣٦/١٠.

(٣) انظر الكشاف ١٥٣/٤.

(٤) انظر الألوسى ١٠٦/٢٩.

والسر في هذا العدول عندى والله تعالى أعلم هو تضمين المصدر تبتيلا معنى (التبتل) أيضا، وذلك كما يضمن الفعل معنى فعل آخر عن طريق تعديته بغير الحرف الذى يعدى به، وذلك على نحو قوله تعالى ﴿وَتَصَرَّتْهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ (الأنبياء: ٧٧) أى نجيناه من القوم، حيث أراد أن يبين سبحانه أن هذا النصر لم يكن بالغبلة وإنما كان بالنتيجة من أذى قومه، فعدها بـ (من) وكان حقه أن يعدى بـ (على) وذلك ليضمنه معنى نجيناه أى ونجيناها وخلصناه منتصرا من القوم<sup>(١)</sup>

والتضمين فى الأفعال معروف ومشهور، وينحوه التضمين فى المصادر كما فى هذا الموضع وكما فى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَيْتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾<sup>(٢)</sup> (نوح: ١٧)، والمقصود أن نبين أن الله تعالى فى هذا الموضع قد ضمن الفعل (تبتل) معنى (بتل)، وضمن المصدر (تبتيلا) معنى (تبتلا)، وكان المقصود من المخالفة بين الفعل ومصدره هى الإفادة بكلا المعنيين اللذين اشتمل عليهما كل من الفعل والمصدر. فالفعل (تبتل) على صيغة (تفعل) ، و(تفعل) تأتى لمعان منها التكلف، كتصير وتعلم: تكلف الصبر والحلم<sup>(٣)</sup>

ومن ثم نرى أنه قد أتى بالتبتل وهو على وزن التفعّل الدال على التكلف والمحاولة كما فى قول النبى ﷺ إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم.. الخ فأتى بالتبتل فى الأمر ليضمن معنى التكلف والتحمل، والتصبر على المشاق مخالف لمألوف النفوس، وذلك لأن النفس لم تنعود العزلة والانقطاع ففى هذا الأمر مشقة عليها تحتاج إلى تكلف ومجاهدة ومحاولة حتى تعتاده النفس ويسهل عليها.

وأتى فى المصدر "بتيتيلا" وهو على وزن "تفعيل" الدال على التكثر<sup>(٤)</sup> ليدل على أن المراد هو الإكثار من هذا التبتل والانقطاع، وذلك لحاجة الداعى إليه فى أول الطريق حتى ينال نصيبه من زكاة النفس، ومجاهدتها، وجمعها على محبوبيها وفاطرها استغناء به عمن سواه، وتوكلا عليه دون غيره. وبهذا يتضمن الأمر معنى المحاولة والمجاهدة مع الإكثار من التبتل المطلوب للداعى ليكون زاداً له فى دعوته للناس.

(١) انظر ابن كثير ١٨٦/٣.

(٢) انظر الألوسى ١٠٦٠٧٥/٢٩.

(٣) انظر شذا العرف ص ٤٥.

(٤) انظر شذا العرف ص ٤٣.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن من معاني (تفعل) "مطاوعة" فعل "مضعف العين، كنيته فتنبه، وكسوته فتكسر"<sup>(١)</sup> فإنه يزداد إدراكنا لذلك الإعجاز القرآني في ذلك العدول في الصيغة في هذا الموضع، حيث نقف على سر آخر للعدول، وهو أن السبب في إظهار (تبتل) على (بتل) أن (تبتل) مطاوع (بتل) حيث يقال (بتله فتبتل) فحينما عدلت الآية عن مصدر تبتل إلى مصدر بتل فإنها ضمنت الفعل تبتل معنى (بتل) وهذا يشعر أن هذا التبتل قد حدث بعد كثرة تبتيل للنفس، حيث قال الرازي: "الواجب أن يقال: وتبتل إليه تبتلا أو يقال بتل نفسك إليه تبتيلا لكنه تعالى به يذكرهما واختار هذه العبارة الدقيقة وهي أن المقصود بالذات إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا إلى الله لأن لا يُدَّ المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا إلى الله، إلا أنه أولا من التبتيل حتى يحصل التبتل كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (المنكسوت: ٦٩) فذكر التبتيل أولا إشعارا بأنه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا إشعارا بأنه لا بد منه ولكنه مقصود الغرض<sup>(٢)</sup>.

فحاصل كلام الرازي وحقيقته الانقطاع إلى الله تعالى عما سواه. ومن ثم فحاصل الوجه الأول الذي ذكرناه آنفا أن التبتل يأتي أولا لاشتماله على التكلف والمحاولة، وحاصل الوجه الذي وجهنا به كلام الرازي أن التبتيل يأتي أولا لتوقف حصول التبتل عليه والذي أراه والله تعالى أعلم أن يكون التفتل بذلك من الأضداد حيث يدل على ابتداء الشيء ومنتهاه، فحيث ينظر فيه إلى معنى التكلف والمحاولة فهو الابتداء، وحيث ينظر فيه إلى مطاوعة (فعل) فهو الانتهاء فهو حينئذ نتيجة لحدث سابق (بتل نفسه فتبتلت) ومن ثم فلا تعارض فالسالك إلى الله تعالى مأمور في بادئ أمره بالتبتل بمعنى التكلف والمحاولة ولكي يصل إلى التبتل بمعنى النتيجة ومطاوعة النفس له على التبتل والانقطاع إلى الله.

ومن ثم يكون فائدة العدول هنا تضمين كل من الفعل والمصدر أحدهما معنى الآخر، ومن ثم يكون كلا الأمرين مطلوبين للسالك إلى الله فلا غنى له عن تكلف التبتل ومحاولته ليحمل نفسه عليه لثقله عليها أول أمره، ولا بد من إكثار التبتل ومحاولته حتى تعاده النفس وتطاول له. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَلْبَسَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ثِيَابًا﴾ (نوح: ١٧)

(١) انظر شفا: العرف ص ٤٥.

(٢) انظر الرازي ١٥/٨٠٥، ٨٠٦.



حيث عدلت الآية عن المصدر (إنباتا) إلى (نباتا)، وقد علل أغلب المفسرين للاختيار في (أنبتكم) أنه ضمنه معنى الإنشاء<sup>(٢)</sup> وكان الأول أن بينوا سر العدول في اسم المصدر (نباتا) إلا أنهم اكتفوا بتوجيهه بقولهم (والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتا)<sup>(٣)</sup>.

أما الرازي فقد كان أطول عنقا في رمق سر هذا العدول حيث قال: كان ينبغي أن يقال أنبتكم إنباتا إلا أنه لم يقل ذلك بل قال أنبتكم نباتا، والتقدير أنبتكم فنبتم نباتا. وفيه دققة لطيفة وهي أنه لو قال أنبتكم إنباتا كان المعنى أنبتكم إنباتاً غريبا، ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا. وهذا الثاني أولى لأن الإنبات صفة لله تعالى وصفة غير الله محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجب كامل إلا بواسطة إخبار الله تعالى.. وأما لما قال "أنبتكم من الأرض نباتا" على معنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا كاملا كان ذلك وصفا للنبات بكونه عجيبا كاملا، وكون النبات كذلك أمر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى، فكان هذا موافقا لهذا المقام. فظهر أن العدول من تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف<sup>(٣)</sup>

فالإنبات إنما ينظر فيه إلى صنع الله عز وجل وهو خفى، فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر الإبداع والقدرة، فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله تعالى ولطف صنعه، والامتنان على عباده بنعمه، وسياق الآيات يساعد ذلك المعنى أتم المساعدة.

### العدول إلى اسم المرة

وذلك كما في قوله تعالى إخبارا عن قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنِّي لَأَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٠-٦١) ويمكننا أن نلمح بوضوح ذلك العدول في الآية عن صيغة المصدر (ضلال) إلى صيغة اسم المرة (ضلالة)

وسر هذا العدول يرجع إلى أن الملاءم من قوم نوح قد اتهموا نوحا عليه السلام بالضللال اتهاما مؤكدا بأن واللام مبالغ فيه بادعاء رؤيتهم له في ضلال مبين بما يفيد لفظ الرؤية

(١) الألويسي ٢٩ / ٧٥ - الدر المنون ٦ / ٣٨٤ - الكشاف ٤ / ١٢٤.

(٢) الكشاف/ السابق، المحرر ٥ / ٣٧٥، الألويسي السابق، الدر المنون السابق.

(٣) الرازي ١٥ / ٧٤٣ - ٧٤٤.

من اليقين والثبوت ولفظ (فى) من معنى الإحاطة والانغماس فى الضلال، ولفظ (مبين) بصيغة (اسم الفاعل) على ضلال بين واضح ثابت، فناسب ذلك أن يسلك نوح فى نفى هذا الاتهام مسلطاً أكد وأبلغ من إثباته فلذا عدل عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم امرأة وأوقعها نكرة فى سياق النفى لإفادة العموم، واختار حرف الجر الباء لئفى أدنى ملائمة له بالضلالة. فكانه قال (ليس بى شيء من الضلال)<sup>(١)</sup> أو (ليس بى نوع من الضلال البتة، فكان هذا أبلغ فى عموم السلب)<sup>(٢)</sup> وذلك لأن اسم المرة لا يدل إلا على الفعلة الواحدة ونفى الأدنى من نفى الأكثر<sup>(٣)</sup> (فيرجع حاصل المعنى ليس بى أقل قليل من الضلال فضلاً عن الضلال المبين)<sup>(٤)</sup>، ولذا قال الطيبي: (أى ضلالة نكرة)<sup>(٥)</sup> ومن ثم أفاد اسم المرة نفى أى نوع من أنواع الضلال، أو نفى أقل القليل منه وهو الأرجح؛ لأن اسم المرة وقع نكرة فى سياق النفى فيعم أدنى وحدة من وحداته الدنيا.

### العدول إلى اسم الفاعل

من مواضع العدول إلى اسم الفاعل فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقِينَ أُمَّتَ الَّذِينَ آتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أُنْتَبِغِ قِبَلَتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٥) حيث عدلت الآية عن التعبير بصيغة الفعل التى عبرت بها فى حق أهل الكتاب إلى صيغة الاسم فى حق النبي ﷺ فجاء التعبير باسم الفاعل منفياً لينفى عن النبي ﷺ أهليته هذا الأمر من الأصل، ويؤيد ذلك أن اسم الفاعل يأتى للنسبة ومن ثم كان التعبير باسم الفاعل منفياً لأدنى احتمال فى انتساب النبي ﷺ لمتابعة الكتاب، وذلك على نحو ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلَا آتَا عَابِدًا مَا عَبَدْتُمْ﴾<sup>(٦)</sup> ولذا قال الأوسى: ﴿وَمَا أُنْتَبِغِ قِبَلَتَهُمْ﴾ أى لا يكون ذلك منك ومحال أن يكون" وقال الزمخشري" وما أنت بتابع قبلتهم" حسم لأصماعتهم<sup>(٧)</sup>

(١) الكشاف ٦٧/٢.

(٢) للرازي ١٦٤/٧ - انظر البحر المحيط ٣٢١/٤، - أبو السعود ٢٣٥/٣.

(٣) انظر الجلالين ص ٢٠٢.

(٤) الأوسى ١٥١/٨.

(٥) التبيان للطبي ١٧١/١.

(٦) انظر العدول إلى اسم الفاعل.

(٧) انظر الأوسى ١١١/٢، والكشاف ١٠١/١، وانظر الرازي ٥٠٩/٢.

هذا فضلا عن أن الإخبار باسم الفاعل في هذه الجملة أدى إلى تكرار الاسم فيها مما زادها تأكيداً ومبالغة في النفي المؤكد بالباء<sup>(١)</sup> وقد استشف صاحب الظلال تلك المعاني السابقة جميعاً فعبّر عنها في عبارة واحدة فقال "وما أنت بتابع قبلتهم" ليس من شأنك أن تتبع قبلتهم أصلاً. واستخدام الجملة الاسمية المنفية هنا أبلغ في بيان الشأن الثابت الدائم للرسول ص تجاه هذا الأمر<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم نرى كيف جاءت هذه الصيغة دالة على معنى النفي الحاسم لئيبس أهل الكتاب من أطعاهم في اتباع النبي ﷺ لقبيلتهم رجاء أن يتبعهم في دينهم، فجاء التعبير بهذه الصيغة منفية للدلالة على انتفاء أهلية النبي ﷺ لهذا الأمر من أصله، ومن ثم انتفاء نسبه إليه.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرون حيث جاء نفي العبادة عن نفسه لأهلتهم الباطلة أولاً بصيغة المضارع أعبد، ثم عدل عنه في خطابهم إلى صيغة الاسم وكان مقتضى السياق أن يقول ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، ثم عدل عن المضارع أيضاً في إخباره عن نفسه ثانية في قوله ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ والسر في هذا العدول في أغلب الأقوال المذكورة هو شمول الزمان واستيعابه واختلف هل الأول للدلالة على الحال والثاني للاستقبال أو العكس أو كلاهما للحال والاستقبال<sup>(٣)</sup> وقيل (الجملة الأولى لنفي العبادة في المستقبل، والجملة الثانية لأخريان لنفي العبادة في الماضي)<sup>(٤)</sup> وقيل غير ذلك<sup>(٥)</sup>

وقال ابن تيمية (رحمه الله) الفعل المضارع هو في اللغة يتناول الزمن الدائم سوى الماضي، فيعم الحاضر والمستقبل.. فقوله: "لا أعبد" يتناول نفي عبادته لمعبودهم في الزمان الحاضر والزمان المستقبل، وقوله "ما تعبدون" يتناول ما يعبدونه في الحاضر والمستقبل

(١) انظر الدر المنصور ١/١٠٤.

(٢) انظر الظلال ١/١٣٥.

(٣) انظر الرازي ١٦/٧١٧-٧١٨.

(٤) مسائل الرازي محمد بن أبي بكر ص ٣٨٦ وانظر الكشاف ٤/٢٣٨.

(٥) انظر البحر المحيط ٨/٥٢٣ الألويسي ٢١٥، المحرر الوجيز ٥/الدر المنصور ٦/٥٨٠، الطبري ٣٠/٢١٣، القرطبي

وكلاهما مضارع. وقال فى الجملة الثانية عن نفسه ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ فلم يقل " لا أعبد" بل قال ولا أنا عابد" ولم يقل " ما تعبدون" بل قال " ما عبدتم" فاللفظ فى فعله وفعلهم مغاير للفظ فى الجملة الأولى.. والنفى بهذه الجملة الثانية أعم من النفى بالأولى، فإنه قال ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ بصيغة الماضى، فهو يتناول ما عبده فى الزمن الماضى، لأن المشركين يعبدون آهة شتى وليس معبودهم فى كل وقت هو المعبود فى الوقت الآخر، كما أن كل طائفة لها معبود سوى معبود الطائفة الأخرى. فقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ براءة من كل ما عبده فى الأزمنة الماضية، كما تبرا أولا مما عبده فى الحال والاستقبال، فنضمتا الجمعتان البراءة من كل ما عبده المشركون والكافرون فى كل زمان ماض، وحاضر، ومستقبل. وقوله أولا ﴿لَا أَعْبُدُ مَّا تَعْبُدُونَ﴾ لا يتناول هذا كله<sup>(١)</sup>. وبهذا يكون فائدة العدول إلى اسم الفاعل فى هذا الموضع هو شمول جميع الأزمان، والتبرؤ من جميع معبوداتهم الباطلة التى عبدها أو يعبدونها فى يوم من الأيام. فقد رجح ابن تيمية شمول دلالة اسم الفاعل فى هذا الموضع للأزمنة الثلاثة - والمشتهر هو دلالة اسم الفاعل المنون على الاستقبال ولكن يجوز صرفه إلى غيره بدلالة القرائن، وقد دل لفظ (عبدتم) على صرفه إلى معنى الماضى، فضلا عن أن الكسائى وابن هشام جوزا إعماله ماضيا، كما أنه يجوز إعمال الفاعل مفسرا له بالماضى بأنه على حكاية الحال كقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ (الكهف: ١٨) وقوله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تُكْمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> (البقرة: ٧٢) وقد فسر القرطبى كذلك ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ على نفى العبادة منه لما عبدوا فى الماضى<sup>(٣)</sup>

ورثة فائدة أخرى هذا العدول لم أجده من نيه عليها غير الإمام ابن تيمية وهى قوله: وقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ اسم فاعل قد عمل عمل الفعل، ليس مضافا، فهو يتناول الحال والاستقبال أيضا، لكنه جملة اسمية والنفى بما بعد الفعل فيه زيادة معنى، كما تقول: ما أفعَل هذا، وما أنا بفاعله. وقولك " ما هو بفاعل" هذا أبدا، أبلغ من قولك " ما يفعله أبدا" فإنه نفى عن الذات صدور هذا الفعل عنها، بخلاف قولك " ما يفعل هذا" فإنه لا ينفى

(١) دقائق التفسير ٦/٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) انظر الدر المصون ٦/٥٨٢.

(٣) القرطبى ١٠/٧٣١٨.

إمكانه وجوازه منه، ولا يدل على أنه لا يصلح له ولا ينبغي له بخلاف "ما هو فاعل، وما هو بفاعل" كما فى قوله تعالى ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رَبِّيهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (النحل: ٧١) وقوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِينَ﴾ (إبراهيم: ٢٢) وقوله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤) ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى﴾ (النمل: ٨١) ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُشْعِرٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر: ٢٢) ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِعِينَ بِرَبِّكَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢) فقوله ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ (الكافرون: ٤) أى نفسى لا تقبل ولا تصلح لها أن تعبد ما عبدتموه ولو كنتم عبدتموه قط فى الماضى فقط، فأى معبود عبدتموه فى وقت فانا لا أقبل أن أعبده فى وقت من الأوقات. ففى هذا من عموم عبادتهم فى الماضى والمستقبل، ومن قوة براءته وامتناعه وعدم قبوله لهذه العبادة فى جميع الأزمان ما ليس فى الجملة الأولى. تلك تضمنت نفى الفعل فى الزمان غير الماضى، وهذه تضمنت نفى إمكانه وقبوله لما كان معبودا لهم ولو فى بعض الزمان الماضى فقط، والتقدير: ما عبدتموه ولو فى بعض الأزمان الماضية فانا لا يمكننى ولا يسوغ لى أن أعبده أبدا وهذا الذى ذكره الإمام فى هذا الموضوع، قد نقله الإمام الأوسى وذكر ما أورد عليه ورده موجه لقول الإمام ابن تيمية فقال نقل أيضا عن شيخ الإسلام أن المراد بقوله سبحانه ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تُعْبُدُونَ﴾ نفى الفعل لأنها جملة فعلية، بقوله تعالى ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ نفى قبوله ص لذلك بالكلية لأن النفى بالجملة الاسمية أكد فكأنه نفى الفعل وكونه عليه الصلاة والسلام قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى إمكانه الشرعى ونوقش فى إفادة الجملة الاسمية نفى القبول ولا يعد أن يقال إن معنى الجملة الفعلية نفى الفعل فى زمان معين والجملة الاسمية معناها نفى الدخول تحت هذا المفهوم مطلقا من غير تعرض للزمان كأنه قيل أنا ممن لا يصدق عليه ذلك المفهوم فتقدير<sup>(١)</sup>.

وقد رجح ابن كثير فى تفسيره كلام ابن تيمية السابق، واعتمده تلميذه ابن القيم فى تفسيره لسورة الكافرون واكتفى بحكايته عن غيره<sup>(٢)</sup> وأرى أنه يمكن توجيه كلام ابن تيمية باعتبار دلالة اسم الفاعل على النسب قال ابن مالك: ومع فاعل وفعال فعل فى نسب أغنى

(١) الأوسى ٢٥١/٣٠-٢٥٢.

(٢) تفسير سورة الكافرون والموذنين للإمام ابن القيم ص ٧-٨ السنة المحمدية.

من الياه قبل ومن ثم يكون المعنى بناء على ذلك (ولا أنا بمنتسب إلى عبادتكم أبدا ولا أصلح لها ولا يمكن أن تكون من مثلي أو أنسب إليها).  
ومثل هذا المعنى يصحح أن يحمل عليه العدول على اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أيضا.

قال الإمام ابن تيمية: "كل كافر بمحمد لا يعبد ما يعبده محمد ما دام كافرا، والفعل المضارع يتناول ما هو دائم لا ينقطع، فهو ما دام كافرا لا يعبد معبود محمد ﷺ لا في الحاضر ولا في المستقبل. ولم يقل عنهم" ولا تعبدون ما أعبد" بل ذكر الجملة الاسمية لبيان أنه نفس نفوسكم الخبيثة الكافرة بريئة من عبادة إله محمد، ولا يمكن أن تعبد ما دامت كافرة. إذ لا تكون عابده إلا بأن تعبد وحده بما أمر به على لسان محمد، ومن كان كافرا بمحمد لا يكون عمله عبادة لله قط. وتبرئتهم من عبادة الله جاءت بلفظ واحد بجملة اسمية تقتضى براءة ذواتهم من عبادة الله، لم تقتصر على نفى الفعل"<sup>(١)</sup>.

ومن ثم فإن دلالة التعبير باسم الفاعل في هذا الموضع شبيهة بدلالته في الموضع السابق؛ إذ إن المعنى والله أعلم هو نفى صحة انتسابهم إلى عبادة الله تعالى ما داموا ملاسبين لما هم عليه من الشرك والكفر.

ومما جاء من استعمال اسم الفاعل أيضا بتلك الدلالة التي نبه عليها الإمام ابن تيمية سابقا غير ما ذكر من الآيات التي استشهد بها، قوله تعالى عن أخوة يوسف حينما وجهت إليهم تهمة سرقة صواع الملك ﴿قَالُوا ثَالِثُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْتُمْ لِتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف: ٧٣) حيث أثر صيغة اسم الفاعل على صيغة الفعل نحو (وما كنا لنسرق) للدلالة على عدم انتسابهم إلى هذه الصفة، وعدم صلاحيتهم للاتصاف بها. فكأن مثل هذا الفعل لا يمكن أن يتأتى منهم البتة، ولا يليق اتصافهم به وهم من بيت النبوة. ولذا قال الزمخشري في معناها (وما كنا قط نوصف بالسرقة وهى منافية لحائنا) وقال الأكويسي في تفسيره (أى ما كنا نوصف بالسرقة قط)<sup>(٢)</sup>.

وقد يعدل إلى اسم الفاعل رعاية للقاية فمن ذلك ما أورده ابن جنى في خصائصه:  
لقد عيّل الأيتام طعنة ناشرة أناشر لا زالت يمينك آشرة

(١) دقائق التفاسير ٦/٣٢٧-٣٢٨.

(٢) الكشف ٢/٢٦٨، الأكويسي ١٣/٢٧.

قال ابن جني "أى ذات أشر، والأشر الحز والقطع، وذو الشيء قد يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً"<sup>(١)</sup>.

فتقدير المعنى لا زالت يمينك مأشورة، ولكنه عدل إلى اسم الفاعل مراعاة للقافية.

### العدول إلى الصفة المشبهة

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نُحِيرَةً﴾ (النازعات: ١١) عدلت الآية عن اسم الفاعل الذي جاءت عليه فواصل الآيات السابقة والتالية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُرْجَفُ الرَّاجِفَةُ \* تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ \* قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ \* أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ \* يَقُولُونَ أَيُّنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ \* إِذَا كُنَّا عِظَامًا نُحِيرَةً \* قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّهَ خَاسِرَةٌ﴾ فعدلت السورة في هذه القراءة عن اسم الفاعل ناخرة الئذي جاءت به القراءة الأخرى، قال الألويسي: "قرأ عمر وأبى وعبد الله وابن الزبير وابن عباس ومسروق ومجاهد والأخوان وأبو بكر ناخرة بالألف وهو كنخرة من نخر العظم أى بلى وصار أجوف تمر به الريح فيسمع له نخير أى صوت وقراءة الأكثرين أبلغ فقد صرحوا بأن فعلاً أبلغ من فاعل وإن كانت حروفه أكثر وقوهم زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى أغلبي أو إذا اتحد النوع لا إذا اختلف كان كان فاعل وفعل صفة مشبهة"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الأكثرين على أن (فعل) أبلغ من (فاعل)<sup>(٣)</sup> أو أن النخرة التي قد بليت، والناخرة التي لم تنخر بعد؛ فمن ثم كان التعبير بنخرة وهى صفة مشبهة تدل على ثبات تلك الصفة فى العظام لطول العهد مع ما فيها من معنى المبالغة خاصة وأن فعل من صيغ المبالغة كذلك. فلا جرم كان هذا أكثر مناسبة لاستبعاد هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث بقوهم ﴿أَيُّنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ \* إِذَا كُنَّا عِظَامًا نُحِيرَةً﴾ وخولف الإيقاع لأجل هذه المناسبة، وقدمت رعاية المعنى على رعاية اللفظ فى هذه القراءة، وهى قراءة الأكثرين ولذا قال الطبرى: "وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا نخرة بغير ألف بمعنى بالية غير أن

(١) الخصائص ١٥٣-١٥٢/١.

(٢) انظر الألويسي ٣٠ ص ٢٨.

(٣) انظر السابق وانظر الكشاف ١٨١/٤، والدر المصون ٤٧٢/٦، المهر الوجيز ٤٣٢/٥.

ره ووس الآى قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إلى لذلك أن تلحق ناخرة بها ليتفق هو وساثر ره ووس الآيات لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلى حذف الألف منها<sup>(١)</sup>.

### العدول إلى اسم المفعول

فمن ذلك قوله تعالى: عن نبيه داود عليه السلام ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ \* وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أُوَابٌ﴾ (سورة: ص ١٨-١٩) حيث عدل عن مقابلة يسبحن فلم يقل (والطير يحشرون) فعدل إلى اسم المفعول. قال الزمخشري: "وقوله (محشورة) فى مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن فى الحشر ما كان فى التسييح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جىء به اسما لا فعلا؛ وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرون على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء - والحاشر هو الله عز وجل - لكان خلفا لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة. وعن ابن عباس كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسييح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها<sup>(٢)</sup>.

فغايرت الآية بين فعل العبد وفعل الرب سبحانه، فالتسييح يقع من المخلوقات شيئا فشيئا أما الحشر فيقع من الله تعالى جملة واحدة بأمر واحد، إذ يقول للشئء كن فيكون، كما أن ذلك يدل على اجتماع الطير لداود عليه السلام فى وقت واحد ساعة تسييحه لا أنها تحضر فى أوان تسييحه شيئا فشيئا بل تحضر معه جملة واحدة من بداية التسييح إلى منتهاه. كما أرى كذلك أن صيغة الاسم تبرز خصوصية النعمة التى أنعم الله بها على نبيه داود عليه السلام؛ إذ من شأن الطير الحركة والتنقل، ومن ثم فإن التعبير بصيغة الاسم تفيد أن الطير حين تسيح مع داود تفارق طباعها وتثبت فى مكانها خاشعة لا تكاد تريم<sup>(٣)</sup>.

### العدول إلى المفرد

من الدلالات الفنية للعدول إلى المفرد ما جاء فى قوله تعالى فى سورة الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُؤَلَّاتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا \* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ مِنهَا أَبًا رَصْدًا﴾ (الجن: ٨-٩) فالحرص والرصد: اسما جمع، ومع ذلك

(١) انظر الطبرى ٢٣/٣٠.

(٢) انظر الكشاف ٣٢/٣.

(٣) أقدناه من تعليق أساذنا د/ حسن طليل على هذا الموضع.



وصف الحرس بالمفرد، وجاء الرصد وصفاً لمفرد، قال الزمخشري: "والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقبيل شيدادا، والرصد مثل الحرس اسم جمع للرصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرحم وهم الملائكة الذين يرمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعنى جياعا يعنى يجد شهابا راصداً له ولأجله<sup>(١)</sup>.

وقال الطيبي " وقوله تعالى (شهابا رسدا) نزل الواحد وهو الموصوف منزلة الجمع لوصفه به إظهارا لكمال حفظه وقول الشاعر "ومعنى جياعا" جعل كل مكان من أمكنة المعاني بمنزلة (معا) واحد مبالغة فى الجوع<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب الزمخشري وجماعة من المفسرين إلى أن السر فى العدول عن الجمع إلى المفرد فى وصف الحرس أن ذلك جاء رعاية للفظ دون رعاية المعنى إذ لو روعى المعنى لقال شدادا<sup>(٣)</sup>. والسر فى هذا العدول - فى رأى - يرجع إلى الرمز والإشارة إلى وحدة هذا الحرس، واجتماع أمرهم، حتى كأنهم حارس واحد، فليس شدة اختلاف بينهم ولا تفرق، ومن ثم فأى شيطان يحاول استراق السمع توجهوا إليه جميعا فيضربونه ضربة ملك واحد. وشدة دلالة أخرى فى العدول إلى (شهاب) وهى التخصيص، حيث إن أفراد الشهاب يدل على أن كل جنى قد أعد له شهاب مختص به لا بعده. وبرشح هذا المعنى لفظة (له)، ومن ثم أعرب بعضهم رسدا مفعولا لأجله.

من أمثلة العدول إلى المفرد كذلك فى القرآن الكريم توحيد النور وإفراده فى مقابل جمع الظلمات مما يمثل نوعا من العدول فى جميع مواضعه فى القرآن، حيث ورد النور مفردا فى مقابل جمع الظلمات فى أحد عشر موضعا فى كتاب الله تعالى ولم يرد خلاف ذلك فى موضع واحد فمن ذلك ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥٧) وقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) وقوله تعالى ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: ١).

(١) انظر الكشف ٤/١٤٦.

(٢) انظر التبيان للطنى ١/١٥٣.

(٣) انظر الكشف السابق - الرازى ١٥/٧٦٩ الألوسى ٢٩/٨٦ - الدر المنصور ٦/٣٩٢، القرطبي ١٠/٦٨٠٤.

ففي هذه الأمثلة كلها جاءت الظلمات مجموعة ثم عدل عن هذا الجمع بإفراد النور، ويتجلى هذا العدول في أوضح صورته في قوله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْمَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر: ١٩-٢٢) ففي هذا الموضع يتضح للقارئ والسامع مخالفة قاعدة السياق المطردة في الجمع بين انصيغ المتناسقة إفراداً وجمعاً، ومن ثم تبدو نعمة هذا العدول متميزة تنادى بالالتفات إلى سر تلك المخالفة، وذلك العدول. ويسهل على المتدبر لهذا العدول معرفة سره والوقوف عليه، وهو وحدة سبيل النور والإيمان، وتشعب كل السبل دونه وتفرقتها ومن ثم أفرد صراط الله المستقيم في مقابل سبل الضلال، في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣) قال أبو حيان "جمعت الظلمات لاختلاف الضلالات، ووحده النور لأن الإيمان واحد"<sup>(١)</sup>

"وقال الأوسى" أفرد النور لوحدة الحق، كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال"<sup>(٢)</sup> وقال ابن القيم والمقصود أن طريق الحق واحد، إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة فإنها لا ترجع إلى شيء موجود، ولا غاية لها توصل إليها، بل هي بمنزلة ثنيات الطريق، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود. فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد، لما كانت الظلمة بمنزلة طريق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، بل هي أفرد النور وجمعت الظلمات<sup>(٣)</sup>.

ويلمح الأوسى وجهها في إفراد النور وجمع الظلمات، وهو الإيماء إلى قلة أتباع الحق، وكثرة أتباع الباطل، حيث ردد كلامه بين القول السابق "أو أن الأول (أى النور) إيماء إلى القلة والثانى (أى الظلمات) إلى الكثرة"<sup>(٤)</sup>.

وهذا الذى ذكره غير معارض للقول الأول فأتباع الحق قليلون كما يقرره كتاب الله تعالى في مواضع عديدة.

(١) انظر البحر المحيط ٢/٢٨٣.

(٢) روح المعاني ٣/١٤.

(٣) انظر بدائع الفوائد ١/١١٩. ط / دار الفكر.

(٤) انظر روح المعاني - السابق.

ومن مواضع العدول إلى المفرد لتحقيق غرض بلاغي، ما جاء في القرآن الكريم من إفراد لفظ النعمة في سياقات عديدة، أريد التعبير فيها عن كثرة النعم؛ ومع ذلك فقد جاءت الصيغة مفردة في تلك المواضع؛ حتى بلغ عددها سبعة وأربعين موضعاً، ولم ترد مجموعة إلا في مواضع ثلاثة يأتي التعرض لها عند الحديث عن الجمع.

فمن ذلك قول الله تعالى في حكاية تذكير موسى قومه بنعم الله عليهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَنَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٠) فقد عدد موسى ثلاث نعم على سبيل الإجمال، وإلا فتفصيل تلك النعم وخاصة إبتاؤهم ما لم يؤت أحداً من العالمين لا يستطيع، ولا يقدر على عده، ومع ذلك فقد أفرد الله تعالى النعمة.

وهكذا في سياقات كثيرة يدل السياق على العدول في لفظ النعمة عن الجمع إلى الإفراد، ويعلل العلماء لذلك بأن النعمة (اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع)<sup>(١)</sup>.

ويعلق الشهاب على قول البيضاوي "ولا تطبقوا عد أنواعها فضلاً عن أفرادها فإنها غير متناهية فيقول الشهاب (وقال بعض الفضلاء: المعنى إن تشرعوا في عد أفراد نعمة من نعمه تعالى لا تطبقوا عدها، وإنما أتى بان، وعدم العد مقطوع به، ونظراً إلى توهم أنه يطلق، وفيه مخالفة لكلام المصنف رحمه الله تعالى، وهو أدق منه، إذ فيه إشارة إلى أن النعمة الواحدة لا يمكن عد تفاصيلها)<sup>(٢)</sup>.

وهذا الذي نقله الشهاب عن هؤلاء الفضلاء في غاية الجودة ويؤيده ما ذكره الراغب من أن "النعمة الحالة الحسنة وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كاجلسة والركبة"<sup>(٣)</sup>.

فالنعمة إذاً على بناء اسم الهيئة كالمشيئة والجلسة والركبة وهذا البناء إنما وضع للدلالة على الهيئة لا على العدد ومعلوم أن هيئة الشيء يدخل فيها إفراده التي تتركب منها، والنظر إلى دقة صنعها، وما فيها من جمال ولطف وإبداع. فكان تراكب الدلالة للفظة النعمة في تلك السياقات من الإفراد والهيئة يدل على أن المراد هو في تفاصيل كل نعمة بمفردها، وفي

(١) انظر الفرطى ٣٨٢/١، والمفردات للراغب ص ٤٩٩.

(٢) انظر حاشية الشهاب ٢٧٠/٥.

(٣) انظر المفردات ص ٤٩٩.

هيئتها الحاصلة وما اشتملت عليها من نعم لا تعد ولا تحصى، وإذا جاز لنا أن نستطرد لتأمل نعمة كنعمة الطعام كيف حصلت في ألوان وطعوم وأشكال مختلفة تناسب كل الأذواق والأمزجة، ثم لو تأملنا نوعا منها وهو الفاكهة لتأمل تعددها وتنوعها، ثم إذا تأملنا واحدا من تلك الفاكهة كثمرة الرمان أو البرتقال أو غير ذلك ونحاول عد النعم التي اشتملت عليها هيئة تلك الثمرة من حفظها على الشجر ثم في غلاف خارجي سميك، ثم في قشر داخلي رقيق ثم في تناسقها، ثم في صفاء لونها ثم في لذة مذاقها، ثم في كذا وكذا نعم لا تعد ولا تحصى بداخل نعمة متفرعة على نعمة وهكذا. ومن ثم تتراكب دلالة الكلمة في تلك السياقات من الهيئة والإفراد لإعطاء معنى المبالغة والتعجيز في حصر تلك النعم الربانية.

### العدول عن صيغة جمع الكثرة إلى جمع القلة

من أمثلة العدول عن صيغة جمع الكثرة إلى جمع القلة قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ أَيْمَنُ مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْتَمُونَ﴾ (النحل: ١١٢) فعلى الرغم من كثرة نعم الله التي كفرت بها تلك القرية فقد عدلت الآية عن التعبير بجمع الكثرة (نعم) إلى جمع القلة (أنعم) نغرض بلاغى يكشف عنه العلامة أبو السعود حيث يقول "وإشار جمع القلة للإبهان بأن كفران نعمة قليلة حث أو جب هذا العذاب، فما ظنك بكفران نعم كثيرة"<sup>(١)</sup> هذا الذى نبه عليه العلامة أبو السعود هو ما يناسب مقام التخويف لهؤلاء الكافرين الجاحدين لنعم الله تعالى عليهم، وهذه الطريقة نظائر فى كتاب الله تعالى فمنها فى غير جانب الصبغ قول إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو فى مقام تخويفه عذاب الله تعالى له ﴿هَا آتَتْ إِيَّيْ أَحْخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٥) حيث عبر ب (يمسك) بدلا من يصيبك، وب(الرحمن) بدلا من (الجبار) كأنه يخوفه العذاب الأدنى لو عامله الله برحمته، فكيف لو عامله بشدته وجبروته. وعلى هذا النحو جاء التخويف فى الآية السابقة من جحد قليل النعم فضلا عن كثيرها، وهذا أشد مبالغة فى التخويف.

(١) انظر تفسير أبى السعود ١٤٥/٥.

## العدول عن صيغة جمع القلة إلى جمع الكثرة

من امثلة ذلك فى القرآن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْذِرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَلْقَيْتَ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١) حيث كان الأصل أن توصف السبع بجمع القلة سنبلات كما قال الله تعالى فى سورة يوسف ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خَضْرَاءٍ﴾ (يوسف: ٤٣) إلا أن الآية هنا قد عدلت عن القلة المناسبة للسبع إلى الكثرة لغرض بلاغى لا للاسراع فى اللغة أو لتعاور الأبنية كما ذهب إليه الزمخشرى فيما نرى.

وهذا الغرض البلاغى فيما نرى إنما هو مناسبة سياق الآيات الدال على التكثير والمباركة من الله تعالى لهذه الصدقة، وإلا فقد استغرب التمثيل بسنبلة تبث مائة حبة واستشكلوا إمكان وقوع ذلك.

والمقصود أنه مقام تكثير وبركة من الله تعالى، وجزاء واسع غير محدود ولذا ذيلت الآية بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فهى "زيادة لا تقدر ولا تحصر، فذلك العدد لا مفهوم له".

## ٢- العدول إلى صيغة الفعل

### العدول من (فعل) إلى (أفعل)

من ذلك قول الله تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا \* فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: ١٧) حيث عدل عن صيغة (فعل) المشددة فى (سهل) إلى (أفعل) فى (أمهل) وقد حمل ذلك بعض المفسرين على تحسين نمط الكلام<sup>(١)</sup>.

وينحوه قال السمين الخلبى "لما كرر الأمر توكيدا خالف بين اللفظين"<sup>(٢)</sup> والذى أراه والله تعالى أعلم أن سر العدول يتجاوز المخالفة بين اللفظين لمجرد المخالفة، بل إن العدول عن الصيغة الأولى إلى الصيغة الثانية إنما هو عدول فنى مقصود، وذلك أن الفارق بين صيغتي فعل وأفعل أن الأولى تدل على التكثير غالبا<sup>(٣)</sup>، أما الثانية (أفعل) فللتعديده غالبا<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الكشاف ٢٠٣/٤، والهرج الوجيز ٣٩٣/١ والرازى ٣٤٢/١٦.

(٢) انظر الدر المنصون ٥٠٨/٦.

(٣) انظر شرح الشافى ٩٢/١.

(٤) انظر شرح الشافى ٩٢/١.

ومن ثم جاء الأمر بالتمهيل مطلقاً دون تقييد بالتقليل جاء معه الفعل (مهّل) الدال على الكثير، ولما كان هذا الفعل بشعر بطول مدة التمهيل مما قد يلقى الوهن والبأس في قلوب الدعاة، أعقبها القرآن بصيغة أفعل مقيدة بما يفيد التقليل، ليدل بذلك على أن تمهيلهم وإمهال الله تعالى إياهم وإن طال فهو آت لا محالة، وهو قليل لا شك في مقابل ما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. وذلك كما قال تعالى ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِمَقْدَابٍ وَاقِيمِ﴾ .. إلى قوله ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَهُمْ يَقَرِّبُونَ﴾ (المعارج: ١-٧) قال الرازي "منهم من قال" أمهلهم رويداً" إلى يوم القيامة، وإنما صغر ذلك من حيث علم أن كل ما هو آت قريب. ومنهم من قال أمهلهم رويداً إلى يوم بدر، والأولى أولى؛ لأن الذي جرى يوم بدر، وفي سائر الغزوات لا يهم الكل، وإذا حمل على أمر الآخرة عم الكل، ولا يمتنع من ذلك أن يدخل في جملة أمر الدنيا، مما ناهم يوم بدر وغيره. وكل ذلك زجر وتحذير للقوم<sup>(١)</sup>.

ومن ثم فالصيغة الأولى (مهّل) المشعرة بطول مدة التمهيل، فيها تسكين وتصبير له ص ولذا قال الزمخشري "فمهّل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويداً) أي إمهالاً سبيراً وكسرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### العدول إلى صيغة تفعل

من أمثله في الشعر قول المتنبي:

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكى فيها ولا أتعجب<sup>(٣)</sup>

أرى أن الشاعر قد عدل إلى هذه الصيغة (أتفعل) هنا لأجل القافية، وليس مراعاة للمعنى، إذ يصعب حمل هذه الصيغة في هذا السياق على معانيها الشائعة فيها دون تكلف، وذلك أن هذه الصيغة تأتي لخمسة معان:

(١) انظر مفاتيح الغيب ٣٤٣/١٦.

(٢) انظر الكشف ٢٠٣/٤ تعرض الأستاذنا د/ حسن طبل في كتابه أسلوب الالتفات لعند كبير من أمثلة ذلك النوع من العدول. لذا فقد رأيت الاجتزاء بما ذكرت عن تكرار جهود سابقة. انظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص ٦٤ إلى ٨٥.

(٣) انظر شرح التبيين للعكبري ١٢٩/١.

أولها: مطاوعة فعل مضعف العين

وثانيها: الاتحاد

وثالثها: التكلف

ورابعها: التجنب

وخامسها: التدرج

وقد يغنى عن الثلاثي إذا كان غير وارد والفعل المستخدم هنا قد ورد منه الثلاثي عتب، ومن ثم فهو ليس بمعنى الثلاثي<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاني كلها ليست مناسبة لمعنى البيت إلا بنوع من التكلف، فمعنى البيت "ليتنى أعلم هل تخلو قصيدة لى من شكوى أشكو الدهر فيها بأن يبلغنى المراد، وأنال منه ما أطلب وأدع الشكوى"<sup>(٢)</sup> ومن ثم فالعدول هنا لأجل الإيقاع، ولذا لم يحسن.

ويمكن أن نتكلف للشاعر هنا إرادة معنى التكلف فى العتاب والتدرج فيه، خاصة وأن أغلب معاتبة الشاعر فى قصائده إنما كانت للملوك والرؤساء الذين كان يؤمل لديهم بعض حاجته؛ ولذا كان يعاتبهم بشيء من التلطف فى كثير من الأحيان، وكذا كثيرا ما بضمن ذلك مدائحهم إياهم، وقد يفيض به الأسى أحيانا فيخرج مدحه إلى حد الهجاء، وذلك من نحو قوله فى مدحه كافور:

وما طربى لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب  
وتعدلتى فيك القوافى وهمتى كأنى بمدح قبل مدحك مذنب<sup>(٣)</sup>

## ٢- العدول إلى صيغة ذات معنى متعدد

من ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنْ تُشَأْ نَعْرِفَهُمْ فَلَا صِرَبِخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ \* إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (س: ٤٣).

حيث حمل المفسرون صيغة (فعليل) فى لفظه (صربخ) على ثلاثة أوجه:

١- أن تكون بمعنى فاعل (صارخ) أى مستغيث.

٢- أن تكون بمعنى مفعول (مصرخ) أو منقذ أو مغث.

(١) انظر شرح الشافعية ١/١٠٤، شذا العرف ص ٤٥.

(٢) انظر العسكري ١/١٢٩.

(٣) انظر شرح التبيان للعسكري ١/١٣٣.

٣- أن تكون بمعنى المصدر أى الصراخ نفسه، أو فلا إغائة كما ذكر الزمخشري فيكون مصدرا بمعنى الإصراخ<sup>(١)</sup>.

ويبدو لى أن سياق الآية يحتمل أغلب الوجوه المذكورة فيه فقد يكون الصريخ. بمعنى المنقذ أو المغيث وهو ما رجحه السمين الحلبي والألوسى وغيرهما ممن ذكرت؛ وذلك لأن الآية فى معرض تصوير تخويف البشر من قدرة الله تعالى عليهم فهو إن يشأ يفرقهم فلا مغيث لهم إن صرخوا واستغاثوا.

وحمل الآية على معنى فلا صارخ ولا صراخ يمكن توجيهه على حال الاستئصال، فضلا عن أن إثبات الصارخ والصراخ لهؤلاء الفرقى بدعم ما الآية بصده من تخويف العبد، وذلك بتصوير هيئة الصارخ وكثرة الصراخ عند معاينة الأهوال مع افتقاد المغيث والمنقذ أو المعين.

وأما حمل الزمخشري الصريخ على معنى الإصراخ والإغائة، فقد اعترضه الشيخ صاحب البحر بأنه يحتاج إلى نقل أن صريحا يكون مصدرا بمعنى إصراخ. ومن ثم نرى كيف تتصافر معانى تلك الصيغة فى خلق معنى ذى ظلال متعددة تتفق مع السياق وتتناغم معه.

- ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ..... بِظُلْمٍ لِّلْمُتَّعِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. (آل عمران ١٨١-١٨٢) حيث جاءت صيغة المبالغة (ظلام) فى هذه الآية وشبهاتها على وزن (فعال) محتملة الدلالة على المبالغة، والدلالة على النسبة، وقد استشكل العلماء دلالتها على المبالغة لأنها تمثل عدولا عن السياق والمقتضى وما ركب بظالم، وذلك أن السياق هنا بصدد بيان كمال عدله سبحانه وتزيهه عن نسبة الظلم إليه.

ومن ثم اختلفت أقوال المفسرين فى تحوير دلالة تلك الصيغة وتوجيهها على خمسة أقوال حكاهما السمين الحلبي فى الدر حيث قال مستشكلا: وهنا سؤال: وهو أن (ظلام) صيغة مبالغة تقتضى الكثير، فهى أخص من (ظالم) ولا يلزم من نفى الأخص نفى الأعم فإذا

(١) انظر الدر المصون ٥/ ٤٨٦، المهرر الوجيز ٤/ ٤٥٥، روح المعاني ٢٣/ ٢٨، الكشف ٣/ ٢٨٨، مجاز القرآن

٢/ ١٢٦، مفتاح الغيب ١٣/ ١٤٠، القرطبي ٨/ ٥٤٧٩، صيغة فعل (صريخ) ص ١٩٢، ٣٥٧.

(٢) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَتَكُنَّ بَنَاتُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران ١٨١-١٨٢).  
غَتَابِ الْحَرِيقِ • ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَئِيسَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران ١٨١-١٨٢).



قلت: (ليس بظلام) انتفى الظلم من أصله، فكيف قال تعالى: (ليس بظلام للعبيد) وفي ذلك خمسة أوجه، ذكر أبو البقاء منها أربعة:  
الأول: أن (فعالاً) قد لا يراد به التكثير كقول طرفة:

ولست بحلال التلاع لبيته ولكن متى يسترفد القوم أرفد<sup>(٢)</sup>

لا يريد هنا أنه قد يحل التلاع قليلاً، لأن ذلك يدفعه آخر البيت الذى يدل على نفي الخلل على كل حال، وأيضاً تمام المدح لا يحصل بزيادة الكثرة.  
الثاني: أنه للكثرة ولكنه لما كان مقابلاً بالعباد وهم كثيرون ناسب أن يقابل الكثير بالكثير.

والثالث: أنه إذا نفي الظلم الكثير انتفى القليل ضرورة، لأن الذى يظلم إنما يظلم لانقاعه بالظلم، فإذا ترك الظلم الكثير مع زيادة نفعه فى حق من يجوز عليه النفع والضرر كان للظلم القليل المنفعة أترك.

الرابع: أن يكون على النسب أى: لا ينسب إليه ظلم، فيكون من باب: بزاز وعطاء كأنه قيل: ليس بذى ظلم البتة.

الخامس: قال القاضى أبو بكر: (العذاب الذى توعد أن يفعله بهم لو كان ظلماً لكان عظيماً فنفاه على حد عظمته لو كان ثابتاً).

وذكر الزمخشري فيها الوجهين الثانى والخامس ولم يزد عليها<sup>(١)</sup>.

وأجاب الرازى عن الإشكال بالوجه الخامس ولم يزد عليه<sup>(٢)</sup>.

وجه الرازى محمد بن أبى بكر بن عبد القادر ت ٦٦٦ هـ كلام من الوجوه الثانى والرابع والخامس توجيهها حسناً فقال: صيغة المبالغة جىء بها لكثرة العيب لا لكثرة الظلم، كما قال الله تعالى ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ (الجن: ٢٦) و﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ (سبأ: ٤٨) لما أفرد العموم لم يأت بصيغة المبالغة، ونظيره قولهم: زيد ظالم لعبده، وعمر ظلام لعبيده، فهما فى الظلم سياتن. وكذلك قال تعالى ﴿مُخَلِّقِينَ رُحُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ فشدد لكثرة الفاعلين لا لتكرار الفعل، أو الصيغة هنا للنسب أى ينسب بذى

(١) الدر المنصون ٢/٢٧٤، وانظر الألوسى حيث ذكر هذه الأقوال ما عدا الخامس.

(٢) الكشاف ٤/٢٣.

(٣) الرازى ٤/٥٩٩.

ظلم. الثاني أن العذاب من العظيم القدر، الكثير العدل لولا سبق الجناية يكون أفحش وأبش من الظلم من ليس عظيم القدر كثير العدل، فيطلق عليه اسم الظلام باعتبار زيادة قبح الفعل منه لا باعتبار تكرره، فحاصله أن صيغة المبالغة تارة تكون باعتبار زيادة الفعل، وتارة باعتبار صفته، ففعل الظلم لو وجد من الله تعالى وتقدس لكان أعظم من ألف ظلم يوجد من عبده، باعتبار زيادة وصف القبح، ونظيره قوله تعالى ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

والذي أراه في مثل هذا الموضع والله تعالى أعلم - أن هذا العدول إلى تلك الصيغة ذات المعنى المتعدد في مثل هذا الموضع بين المبالغة والنسبة بحيث تحتل الصيغة تلك الوجوه المذكورة جميعا، بما يصعب معه ترجيح أحد تلك الوجوه على غيرها كما صنع أغلب من تعرضوا لهذه الآفة من المفسرين - أقول إن هذا العدول لا جرم أنه عدول قصد به ثراء الدلالة، وإثارة الفكر، وتمجيز العقول، دون القدح في هذا الكتاب المعجز، فعلى أى هذه الوجوه المذكورة تأملت موقع تلك الصيغة وجدتها من البلاغة بمكان فالمبالغة في الظلم جديرة بالملك إذا ظلم عبده مع استغناؤه عن ظلمهم، وتضررهم به أبلغ الضرر، وفيه مطابقة حال المتكلم ما فيه فقد جاء معبرا عن عدله سبحانه على أمه وجه، فكان رب العزة سبحانه يعظم تلك الصفة في حق نفسه أيما تعظيم لو كان منه أدنى ظلم وحاشاه سبحانه، فكانه جرى على طريقتهم في التعكيس ليثبت الضد على اليقين على نحو ما سبق بيانه نقلا عن الزمخشري في قوله تعالى ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ﴾ (التكوير: ١٤)<sup>(٢)</sup> وشيبه به والله المثل الأعلى قول القائل عن نفسه: "يكون كافرا أو يخرج من الإسلام إن كان كاذبا" ومراده المبالغة في إثبات صدقه على أكمل وجه لا كونه يرضى بذلك، وإن كان هذا مما قد نهى عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) مسائل الرازي ص ٣٨ ط مصطفى الحلبي.

(٢) انظر بحث اختيار المفرد، وانظر الكشف ٤/١٨٩.

(٣) وإنما جاء الحديث عن النبي ﷺ من فعل ذلك وأنه يكون كما قال، لأن العبد ليس في مقدوره شيء فرها وقع ما حلف عليه، فيكون قد عرض دونه للبطان ولو بالقول. انظر كذلك مواضع آخر وردت فيها صيغة المبالغة (ظلام) بنحو هذا السباق في (الأفعال: ٥١، الحج: ١٠، فصلت: ٤٦، ق: ٢٩).

فكان رب العزة جل وعلا قال: أكون ظلاما لو ظلمت عبيدى ولا يكون ذلك أبدا، فمن ثم تثبت صفة العدل له على جهة اليقين، فهذا من باب الضد وهو طريق لدى العرب مطروق.

كذلك فإن تكثير المفعول يناسبه تكثير العامل، كما فى ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ (الجن: ٢٦)، و﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ (سبأ: ٤٨) فحيث كان المفعول مفردا لم يبلغ فى عامله، وحيثما كان جمعا بولغ فيه.

وأما القول بأنه إذا ترك كثير الظلم فتركه للقليل أولى فهو وإن كان أضعف تلك الأقوال فى رأى؛ فإننا لا نعدم له وجها كذلك. خاصة وأن الكلام فى حق الملك المالك لكل شيء فإنه إذا تنزه عن الظلم العظيم فتنزهه عن الحقير من باب أولى.

وأما على القول بأن الصيغة للنسبة فلا إشكال.

ومن ثم نرى لتلك الصيغة فى ذلك الموقع من الثراء الدلالى، وإثارة الذهن، وإيقاظه ودعوته إلى التفكير والتدبر ما لا نجد فى استعمال اسم الفاعل (ظالم).

- ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتِأْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ (يوسف: ٨٠) النجى قد يكون اسما ومصدرا<sup>(١)</sup>.

فنجيا: فعيل وهو هنا بمعنى (مفاعل، أو مصدر)<sup>(٢)</sup>.

قال الراغب: (النجى المناجى ويقال للواحد والجمع)<sup>(٣)</sup>.

وقد جعله ابن عطية مصدرا فقال: (النجى لفظ يوصف به من له نجوى واحدا أو جماعة أو مؤنثا أو مذكرا، فهو مثل عدول وعدل)<sup>(٤)</sup>.

وقال الألوسى (وحده وكان الظاهر جمعه لأنه حال من ضمير الجمع لأنه مصدر بحسب الأصل كالتناجى أطلق على التناجين مبالغة أو لتأويله بالمشق والمصدر ولو بحسب الأصل يشمل القليل والكثير، أو لكونه على زنة المصدر لأن فعليا من أبنية المصادر، وهو فعيل

(١) لسان العرب ٤٣٦١/٦.

(٢) د/ على طلب/ صيغة فعيل واستعمالاتها ص ٣٥٧.

(٣) المفردات ص ٤٨٤.

(٤) المهرر الوجيز ٢٦٩/٣.

بمعنى مفاعل كجليس بمعنى مجالس وكعشير بمعنى معاشر، أى مناج بعضهم بعضا فيكون متناجين<sup>(١)</sup>.

وذكر الزمخشري الوجهين، واستحسن المصدر فقال (والنجى على معنيين: يكون بمعنى المناجى.. ومنه قيل قوم نجى كما قيل (وإذا هم نجوى) تنزيلا للمصدر منزلة الأوصاف، ويجوز أن يقال هم نجى كما قيل هم صديق لأنه بزنة المصادر.. (نجيا) ذى نجوى أو فوجيا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا، وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته..)<sup>(٢)</sup> وتخلص من تلك النقول إلى احتمال فعيل فى قوله (نجيا) أن تكون بمعنى الصدر أو بمعنى مفاعل، والتفت الزمخشري والأوسى إلى العدول فيها عن الجمع، وعللوا ذلك بأن فعلا قد تأتى للمفرد والجمع لأنها هنا مصدر أو على زنة المصدر، وقد التفت إلى ذلك أيضا أبو عبيدة والأخفش<sup>(٣)</sup>.

والذى يظهر من القرائن فى هذا الموضع أن نجيا هنا مصدر، وهذا ما ذكره ابن عطية فى تفسيره ولم يلتفت إلى غيره وهو ما استحسنه الزمخشري، وهو ما يرجحه كلام كل من أبى عبيدة والأخفش والأوسى، وذلك لوجوه:

الأول: أن (فعلا) تأتى للمصدر بلا تأويل، فهى إحدى صيغ المصادر، ومما جاء عليها مصدرا: زير، وخرير، وصهيل، وزفير، وشهيق، ونفيق، ونهيق، وأنين، وفديد<sup>(٤)</sup>.  
الثانى: أن (نجيا) تدل على صوت والغالب فى المصدر الآتى على (فعيل) أن يبدل على صوت كالأمثلة السابقة.

الثالث: أن جعله بمعنى مفاعل يحتاج إلى تأويل، وحمل اللفظ على معناه بلا تأويل هو الأصل فلا يبدل عنه بغير قرينة، أو حاجة إليه كاستحالة حمل اللفظ على معناه الصريح.  
الرابع: أن (نجيا) وإن كان بلفظ المفرد إلا أن جعله مصدرا يجعله صالحا للمفرد والجمع، كما سبق بيانه.

(١) روح المعاني ٣٥/١٣.

(٢) الكشاف ٢/٢٦٩.

(٣) مجاز القرآن ١/٣١٥ - معاني القرآن ٢/٣٦٧.

(٤) هامش د/ على طلب/ صيغة فعيل واستعمالها ص ١٢.

الخامس: أن السياق يقتضى استحسانه وترجيحه كما هو ظاهر كلام الزمخشري، كأنهم صاروا بذلك حقيقة التناجى نفسها، وفيه من تصوير المعنى وتقريره ما فيه.

السادس: أن جعله بمعنى المشتق يخرجنا من دلالة الإفراد إلى الجمع، لأننا نؤوله بلفظ مناجين أو متناجين، وهذا يفقدنا معنى لا يستهان به فى وصفهم بصيغة المفرد التى تجملهم كالشخص الواحد فى تناجيهم واجتماع أمرهم لتدبر المخرج مما نابهم بسبب احتجاز أخيهم، وقد أخذ أبوهم عليهم موثقا من الله ليأتته به، مع تفريظهم فى يوسف من قبل، ولما كان هذا الأمر يهمهم جميعا، لأن المسئولية مشتركة بينهم وواقعة عى عاتقهم جميعا فقد اجتمعوا كأنهم رجل واحد لتدبر الخلاص مما نزل بهم، ولذا فإن تأويل نجيا. بمناجين أو متناجين يفقدها ذلك المعنى، وليس كذلك المصدر، لأن المقصود منه ليس الدلالة على العدد وإنما على الحقيقة والماهية<sup>(١)</sup>

فهذا مثال لما تشترك فيه الصيغة بين معنيين أحدهما ظاهر ترجحه القرائن، وآخر مرجوح ولكنه مما تحتمله دلالة الصيغة؛ ولكن تبقى بعد ذلك للمعانى الأخرى التى تحتملها الصيغة ظلها الدلالية التى تزيد من ثراء المعنى؛ وذلك حيث تكون تلك المعانى موافقة للسياق، غير متنافرة معه كما فى المثال حيث خلص إخوة يوسف متناجين مبالغين فى تناجيهم حتى صاروا كأنما هم هيئة التناجى وحقيقته.

(١) د/ محمد عبد العزيز، أثر أقسام الكلم فى الجملة العربية ص ١١٢.

## الأساس الثالث: التكرار

لا نكاد نجد للبلاغيين كلاما صريحا فى هذا الباب، اللهم إلا كلاما لم يسق لهذه الظاهرة بالأصالة، وإنما كان الكلام فيها مرتبطا بألوان أحر من الألوان البديهية أو الظواهر الأسلوبية غير ظاهرة التكرار، وتتميز تلك الظواهر جميعا (التي تعلق الكلام فيها بظاهرة التكرار فى الصيغ) بكونها تتعلق بموسيقى الشعر أو ما يسميه البعض بالإيقاع الصرفى، وذلك أن حركة الإيقاع فى البناء الشعرى كما يرى ذلك باحث معاصر" قامت على أساس من التوفيق بين مظهرين له:

الأول: الإيقاع العروضى كما فنه الخليل بن أحمد.

الأخر: الإيقاع الصرفى الذى يحكم بنية الكلمة صوتيا.

وداخل هذا الإيقاع تنضوى ألوان من التقابلات الدلالية والصوتية التى تدرج تحت ما سماه القدماء بعلم البديع"<sup>(١)</sup>

ومن ثم فهذه هى الزاوية التى يمكن أن ندخل منها للبحث عن توظيف ظاهرة التكرار فى الصيغ فى التراث البلاغى وهى ظاهرة التكرار فى الإيقاع الصرفى، وقد تناولها البلاغيون تحت عدة مصطلحات وعدة ظواهر كالسجع والجناس والتصريع والترصيع والتطريز والتوازى أو المؤاخاة وغير ذلك من فنون البديع التى اشتملت ضمن ما اشتملت عليه على تكرار الإيقاع الصرفى أو الصيغى (الواقع فى دائرة البحث) وذلك أن هذه الأنواع البديهية لم تخلص كلها للتكرار الصيغى وحده، فالسجع والجناس وغير ذلك قد يكون ميناه على اتحاد الصيغة وقد يكون بخير ذلك كما سنبين قريبا.

لقد اعتبر البلاغيون الاعتداد بتكرار الإيقاع أصلا فى الحقيقة الشعرية،" ومن ثم كان تعريف قدامة للشعر بأنه: قول موزون مقفى يدل على معنى، ثم جعل من صفات الشعر: المطابق والجناس، وأدخل فى نعوت المعانى الشعرية التتميم والتكافؤ، وجعل من نعوت الشعر الترصيع"<sup>(٢)</sup> وإذا كان الشعر يتميز بهذه الخاصية الإيقاعية، فإن النثر أيضا يتداخل معه فى طلب هذه الخاصية، ومن ثم رصد البلاغيون فى النثر ألوان التكرار الإيقاعى وحرصوا على الكشف عنه وتقصى خواصه وعناصره"<sup>(٣)</sup>

(١) د/ محمد عبد المطلب/ بناء الأسلوب فى شعر الحديث/ التكوين البديعى من ١٩٩٠ ص ١٠٢.

(٢) السابق وانظر نقد الشعر: ١٧، ١٦٢، ١٣٧، ١٤٣، ٤٠٠.

(٣) د/ محمد عبد المطلب/ بناء الأسلوب من ١٢٦، ١٢٧.

ونستطيع أن نتبع تلك الألوان البدئية للتكرار التي ذكرها البلاغيون لبيان ما اشتملت عليه من ظاهرة التكرار الصيغى وسنبداً فى ذلك بالأنواع التي خلصت لتكرار الصيغ أو ما سماه البلاغيون باتفاق الأوزان.

شمة نوع أحلصه ابن الأثير للمباني، فخلص للتكرار الصيغى ولم يختلط بغيره من الألوان البدئية الأخرى، وهذا أيضاً من النقاط الجيدة التي تحسب لابن الأثير فى اهتمامه بدراسة الصيغ، وهذا النوع هو ما سماه بالمؤاخاة بين المباني وفيه يقول ابن الأثير "وأما المؤاخاة بين المباني فإنه يتعلق بمباني الألفاظ، فمن ذلك قول أبى تمام فى وصف الرماح:

مشققات سلين العرب سمرتها والروم زرقتها والعاشق القضا

وهذا البيت من أبيات أبى تمام الأفراد، غير أن فيه نظراً، وهو قوله انعرب والروم، ثم قال العاشق، ولو صح أن يقول العاشق لكان أحسن، إذ كانت الأوصاف تجرى على (نهج) واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها، ثم قال القضا، وكان ينبغي أن يقول قضاها أو دقتها. وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد:

نفضت بك الأحلاس نفض إقامة واسترجعت نزاعها الأمصار

فأذهب كما ذهبت غوادى مزنة بشنى عليها السهل والأوعار

والأحسن أن يقال السهل والوعر، أو السهول والأوعار ليكون البناء اللفظى واحداً أى أن يكون اللفظان واردتين على صيغة الجمع أو الأفراد، ولا يكون أحدهما مجموعاً، والآخر مفرداً: وكذلك ورد قول أبى نواس فى الخمر:

صفراء مجدها مرازبها جلت عن النظراء والمثل

فجمع وأفرد فى معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجموعاً، ثم قال المثل مفرداً، وكان الأحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والأمثال. وعلى ذلك ورد قوله أيضاً - والإنكار يتوجه فيه أكثر من الأول - وهو:

ألا يا بن الذين فنوا فماتوا أما والله ما ماتوا لتبقى

ومالك فاعلمن فيها مقام إذا استكملت آجالاً ورزقا

وموضع الإنكار هنا أنه قال آجالاً ورزقا، وكان ينبغي أن يقول أرزاقاً أو أن يقول آجالاً ورزقا، وقد زاده إنكاراً أنه جمع الأجل فقال آجالاً والإنسان ليس له إلا أجل واحد ولو قال آجالاً وأرزاقاً لما عيب، لأن الأجل واحد والأرزاق كثيرة لاختلاف ضروبها

وأجناسها، وإذا أنصفنا في هذا الموضوع وجدنا الناثر مطالباً به دون الناظم لمكان إمكانه من التصرف<sup>(١)</sup>.

ونحتاج أن نقف وقفة لتأمل كلام ابن الأثير ومناقشته في هذا الموضوع، ومناقشتي هنا لابن الأثير لن تكون حول إعادة النظر في رأيه في الأمثلة السابقة، وإنما تدور مناقشتي له عنى أن ما ذكره هنا لا يلزم على إطلاقه، في عموم الأحوال؛ وذلك لأن حسن هذه الظاهرة أو غيرها من الظواهر الأسلوبية يتوقف - كما يقرره أهل الفن ويلحون عليه - على مدى مطابقتها لتلك الظاهرة لمقتضى الحال.

والعجب أن ابن الأثير نفسه قد وقف على عدم اطراد تلك القاعدة المزعومة حيث يقول: "وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجبا في الاستعمال، وأنه لا يحسن المهيد عنه، حتى مر بي في القرآن الكريم ما يخالفه. كقوله تعالى في سورة النحل ﴿يَتَّقِيًا بِلَالُةٌ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ﴾ (النحل: ٤٨) ولو كان الأحسن لزوم البناء اللفظي على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال، أو أفرد اليمين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَاقِلُونَ﴾ (النحل: ١٠٨) فجمع القلوب والأبصار وأفرد السمع.

وكذلك ورد قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَامَوْهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ (فصلت: ٢٠) فذكر السمع بلفظ الإفراد وذكر الأبصار والجلود بلفظ الجمع. وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا، ولو كان هذا معتبراً في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أفصح من كل كلام، والأخذ في مقام الفصاحة والبلاغة إنما يكون منه والمعول عليه<sup>(٢)</sup>.

والعجب في ذلك أن ابن الأثير كان يرى لزوم ما ذكره من المؤاخاة في المباني والصيغ لولا ورود القرآن بضده، ويكتفى بذلك ابن الأثير دون أن يبين لنا سبب عدول القرآن عن تلك القاعدة التي يراها، ولو فعل لكان لذلك وجه جيد باعتبار أن القاعدة أو الأصل الذي تم العدول عنه هو المستوى الشائع الاستخدام وهذا أحد أقوال الدارسين المحدثين للأسلوب<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر المثل السائر ٣/١٥٦، ١٥٧، ١٥٨.

(٢) انظر المثل السائر ص ١٥٨.

(٣) انظر د/ صلاح فضل الأسلوبية ص ١٨٣، ١٨٤.



والذى أراه أن هذا الأسلوب لا يحسن أو يفتح بإطلاقه، وإنما مدار حسنه وقبحه على مطابقة المقام وعدمه<sup>(١)</sup>.

كما تعرض المفسرون كذلك لتعليل إفراد السمع فى جميع الآيات التى ورد بها فى كتاب الله كذلك<sup>(٢)</sup>.

ومن الأنواع التى خلصت للتكرار الصيغى كذلك ما سماه البلاغيون بالترصيع، وهذا النوع قد تعرض له ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة فقال فى تعريفه: هو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة، وكان ذلك شبه بترصيع الجوهر فى الحلى<sup>(٣)</sup>.

ثم بين ابن سنان رأيه فى هذا النوع فقال " وهذا مما قلنا إنه لا يحسن إذا تكرر وتوالى لأنه يدل على التكلف وشدة التصنع، وإنما يحسن إذا وقع قليلا غير نافر" هذا هو ما ذكره ابن سنان فى الترصيع، وقبل أن نقف عنده لتأمله أحب أن أورد خلاصة ما ذكره ابن الأثير فى أمره: قال ابن الأثير " هو مأخوذ من ترصيع العقد وذلك أن يكون فى أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما فى الجانب الآخر، وكذلك تجعل هذا فى الألفاظ المنثورة من الأسجاع، وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثانى فى الوزن والقافية<sup>(٤)</sup> ويرى ابن الأثير أن هذا النوع لم يقع فى كتاب الله تعالى وبمعتز

(١) وقد يقال إن هذا الأسلوب هو الأصل أو قاعدة الاستخدام اللغوى، أو المستوى الشائع فى الكلام والذى ينبغى عدم العدول عنه إلا لفرض فنى أو بلاغى يسوغ ذلك العدول وبمسنه. ولعل هذا الرأى الثانى يكون له وجه فى النصاب، وذلك لأن الحس اللغوى يرجح كون تلك المؤامحة بين البياني أسلوبا شائعا فى الكلام، مألوفاً لدى النفس، مستاعفاً لدى السمع، ومن ثم يكون تركه نوعاً من المخالفة أو العدول التى لا بد لها من تبرير فنى مقبول. وهذا التبرير العنى للعدول الواقع فى الآيات الأولى على سبيل المثال عن الأسلوب الشائع هو ما اهتم المفسرون ببيانه والوقوف عنده؛ حيث ذكروا فى تبرير العدول عن الجمع إلى الأفراد فى اليمين أكثر من عشرة أقوال، ليس هنا محل استقصائها. انظر على سبيل المثال الكشف ٣٣١/٢ - روح المعانى ١٥٥/١٤ - الدر المنصون ٣٣١/٤ - ٣٣٢، المهر الوجيز ٣٩٨/٣، مفاتيح الغيب ٥٣٨/٩، ابن كثير ١٢٣/٢، البيضاوى ٣٢٦/٥، التحرير والتنوير ١٦٩/١٤، معانى القرآن ٣٨٣/٢، بدائع الفوائد ١٢٠/١.

(٢) الكشف ١٦٤/١ ط الحلى - روح المعانى ١٣٦/١ - ١١٧٢/١١، المهر الوجيز ١٣٩/٣، الدر المنصون ٦٤/٤، مفاتيح الغيب ٤٣٧/٨، ٤٢٨.

(٣) انظر سر الفصاحة ص ١٨١، ١٨٢.

(٤) انظر المثل السائر ٢٧٧/١.

على قول من ذهب إلى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ • وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٣-١٤) من الترصيع فيقول "فليس الأمر كما وقع له، فإن لفظه (لَفِي) قد وردت في الفقرتين معا" أما عن وجوده في الشعر فيقول: "وأما الشعر فإنني كنت أقول إنه لا يترن على هذه الشريطة، ولم أجده في أشعار العرب، لما فيه من تعمق الصنعة، وتعسف الكلفة، وإذا جرى به في الشعر لم يكن عليه محض الظلاوة التي تكون إذا جرى به في الكلام المنشور، ثم إنني عثرت عليه في شعر المحدثين، ولكنه قليل جدا فمن ذلك قول بعضهم:

فمكارم أوليتها متبرعا وجرائم ألغيتها متورعا

فمكارم "بإزاء" جرائم "وأوليتها" بإزاء "ألغيتها" ومتبرعا "بإزاء" متورعا<sup>(١)</sup> ويرد ابن الأثير على من يميز أن يكون أحد ألفاظ الفصل الأول مخالفا لما يقابله من الفصل الثاني، ويقول: "هذا ليس بشيء لمخالفته حقيقة الترصيع" ثم يمثل له بأمثلة تدل على وقوعه في النثر من مقامات الحريري، ومن رسائله هو إلى بعض إخوانه وغير ذلك.

ثم يضرب مثالا لما وقعت فيه مخالفة بعض ألفاظه بعضا بقول ذي الرمة:

كحلاء في برج، صفراء في دعج كأنها فضة قد مسها ذهب

فيقول: "وصدر هذا البيت مرصع، وعجزه خال من الترصيع، وعذر الشاعر في ذلك واضح، لأنه مقيد بالوقوف مع الوزن والقافية"<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا أن نقارن بين معالجة كل من ابن سنان وابن الأثير هذا النوع لنقف على الآتي:

(١) يتميز تعريف ابن الأثير للترصيع عن تعريف ابن سنان - باشتراكه مساواة كل لفظ من ألفاظ الفصل الأول لكل لفظ من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية وهذا الشرط هو ما يحقق لهذا النوع سمة التكرار الصيغي الناشئ من اتحاد الوزن في الفصلين، بينما لم يشترط ذلك ابن سنان ولم أجد من تابعه على عدم اشتراط ذلك في الترصيع فقد عرفه السكاكي بأن "تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز أو متقاربتا"<sup>(٣)</sup> وعرفه العلوي بأنه "ما كان من المنظوم والمنثور من الكلام، ألفاظ الفصل الأول فيه مساوية لألفاظ الفصل

(٢) انظر الملل السائر ١/٢٧٨.

(٣) انظر الملل ١/٢٨٠.

(٣) انظر المفاتيح ص ٢٢٩.

الثاني فى الأوزان واتفاق الأعجاز" إلا أنه يجعله على وجهين " الوجه الأول منهما: أن يكون كاملا وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني فى الأوزان والقوافى من غير مخالفة لأحدهما لثاني فى زيادة ولا نقصان وما هذا حاله فإنه يعز وجوده ويرى أن هذا النوع قليلا ما يقع فى كلام البلغاء لصعوبة مأخذه، وضيق مسلكه ولم يوجد فى القرآن شيء منه، وما ذاك إلا لأنه جاء بالأخف والأسهل، دون التعمق النادر " الوجه الثاني: ويقال له الناقص: وهو أن يختلف الوزن وتستوى الأعجاز" وبعد أن ذكر أمثلة له من نحو ما ذكره ابن الأثير قال " فهذا وأمثاله هل يكون معدودا من الترصيع أم لا فالذى عليه الأكثر من أهل البلاغة كالمطرزى وعبد الكريم صاحب البيان وغيرهما أنه لا محالة معدود منه وإن كان مخالفا فى الرنة، فأما ابن الأثير فقد أبى عده منه، وزعم أنه لا يعد فى الترصيع إلا الوجه الأول، والأمر فيه قريب والمختار ما عليه الأكثر<sup>(١)</sup> فلعل ابن سنان لم يشترط اتفاق الوزن نكون هذا النوع المختلف الوزن لا يخرج عن كونه ترصيعا عند الأكثر وإن كان يسمى بالناقص. أما الرازى فقد عرفه بأن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز"<sup>(٢)</sup> فاشترط تساوى الوزن ولم يقسمه إلى كامل وناقص.

وعرفه الطيبي بقوله: هو أن يتفق ألفاظ القرينتين على الوزن"<sup>(٣)</sup> كما أن اشتراط ابن الأثير تحقق المساواة فى جميع الألفاظ من شأنه أن يزيد من معدل التكرار الصيغى بينما لا يشترط ذلك ابن سنان ومن ثم لا يطرد تحقق التكرار الصيغى فى كل ألفاظ البيت بناء على مذهب ابن سنان، حيث يستدل للترصيع بأبيات لا يتحقق فيها المساواة بين جميع ألفاظ الشطرين<sup>(٤)</sup>. يشترط ابن الأثير ألا يتكرر لفظ من الفصل الأول فى الفصل الثاني ولذا يخرج قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ • وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٣-١٤) من الترصيع لتكرر لفظة (لفى) ولم أجد من تابع ابن الأثير على هذا الشرط سوى العلوى فى

(١) انظر العراز ٣٧٣/٢-٣٧٦/٢، ٣٧٧.

(٢) نهاية الإيجاز ص ١٤٤.

(٣) البيان الحقيقى ٥٢٠/٢.

(٤) انظر سر الفصاحة ص ١٨١، ١٨٢.

اقتفائه أثر ابن الأثير وحذوه وحذوه إلا أنه زاد عليه في هذا الموضوع في تعليل نفي التصريح عنه باختلاف وزني الأبرار والفجار، والحق معه في ذلك.

وقد نص الرازي والطبي على الاستدلال بتلك الآية نفسها التي استدلت بها ابن الأثير على نفي التصريح عن القرآن، كما استدلتوا أيضا بقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> (الغاشية: ٢٥، ٢٦). وأما ما ذكره ابن سنان من أنه لا يحسن إذا تكرر وتوالى لأنه يدل على التكلف وشدة التصنع، وإنما يحسن إذا وقع قليلا غير نافر<sup>(٢)</sup> فهذا الكلام مرد عليه بما سبق أن رددنا به على ابن الأثير في النوع السابق من أن القلة والكثرة نسبية لا حد لها، وأن الأولى أن يكون مقياس الحسن هو مدى المطابقة لا غير.

هذا وثمة ألوان آخر تضمنت التكرار الصيغي ولكنها لم تخلص له بل اشتملت عليه وعلى غيره. فمن ذلك السجع وقد عرفه العلوي بأنه "اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما"<sup>(٣)</sup> وعرفه الطيبي بأنه "تواطؤ الفاصلتين على الحرف الأخير، أو الوزن"<sup>(٤)</sup>. فلا يشترط فيه الاتفاق في الوزن إلا في بعض أنواعه كالمتنازى والمتوازن ولذا لم يذكر ابن الأثير وغيره في حده اتفاق الوزن حيث حده بقوله: "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"<sup>(٥)</sup> فمن أنواعه التي روعى فيها اتفاق الوزن كذلك ما سموه بالمتنازى<sup>(٦)</sup> وقد عرفه الطيبي بأنه هو التوافق على الروى والوزن ومثلوا له بقوله تعالى ﴿فِيهَا سُرُورٌ مُرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مُوَضُّوعَةٌ﴾<sup>(٧)</sup> (الغاشية: ١٣) ومثل له الطيبي بقوله ﷻ: "اللهم اعط منفقًا خلفًا، واعط ممسكًا تلفًا" ويظهر التكرار الصيغي في هذا النوع واضحا، ف (مرفوعة) و (موضوعة) كلاهما على وزن واحد وصيغة واحدة هي اسم المفعول، ومنفقًا، وممسكًا على صيغة واحدة هي اسم الفاعل، و (خلفًا) ، و (تلفًا) على صيغة واحدة هي فعل، وهكذا.

(١) نهاية الإيجاز ص ١٤٤ د/بكرى أمين.

(٢) سر الفصاحة ص ١٨٨.

(٣) انظر الطراز ص ١٨/٣.

(٤) التبيان ص ٥٢١/٢.

(٥) مثل السافر ص ٢١٠/١.

(٦) نهاية الإيجاز ص ١٤٢، الغني ص ٥٢١.

(٧) التبيان ص ٥٢٢/٢.

ومن أنواعه كذلك التي ورعى فيها اشتراط تساوى الوزن ما سماه ابن الأثير والعلوى بالموازنة والرازى والطيبى بالتوازن وعرفوه بأن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنشور متساوية فى الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويى الألفاظ وزناً<sup>(١)</sup> وعرفه الطيبى بأنه التوافق على الوزن دون الروى<sup>(٢)</sup>، ويمثلون له بنحو قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا مَنَّا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ \* وَهَدَيْتَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الصفافات: ١١٧-١١٨) فالمستبين والمستقيم على وزن واحد، وكذلك قوله تعالى فى سورة مريم عليها السلام: ﴿وَالْمُخَدَّوْا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةٌ لِّيُكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِعَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا \* أَلَمْ نَرِ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا \* فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (مريم: ٨١-٨٤)، وكذلك قوله تعالى فى سورة طه: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا \* خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾<sup>(٣)</sup> ويستحسن ابن الأثير هذا النوع قائلاً: "وللكلام بذلك طلاوة ورونق، وسببه الاعتدال، لأنه مطلوب فى جميع الأشياء. وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان، وهذا لا مرأى فيه لوضوحه وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع فى المعادلة دون المائلة لأن فى السجع اعتدال وزيادة على الاعتدال، وهى تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع، ولا تماثل فى فواصلها<sup>(٤)</sup> وهذا الكلام قد سبق لابن الأثير فى السجع عموماً فقال: "واعلم أن الأصل فى السجع إنما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع<sup>(٥)</sup>".

ويعلق على ذلك باحث معاصر فيقول: "يلحظ ابن الأثير ارتباط هذه الخاصية الإيقاعية التكرارية بالجانب النفسى لأنها تقوم على الاعتدال، والاعتدال هو المطلوب النفس ويميل إليه الطبع. ولكن ليس الاعتدال وحده كافياً فى تقبل السجع فنياً، إذ لو كانت المسألة

(١) المثل السائر ٢٩١/١، انظر ص ٣٨/٣.

(٢) البيان ص ٥٢٢/٢، نهاية الإيجاز ص ١٤٣.

(٣) المثل السائر ص ٢٩٢/١.

(٤) المثل السائر ص ٢٩١/١.

(٥) المثل السائر ص ٢١٢/١.

اعتدالا وتواطؤ فواصل على حرف واحد، لكان كل أديب سجاعا ومن ثم نجد اهتماماً بالناحية الدلالية، على معنى أن يكون اللفظ تابعا للمعنى<sup>(١)</sup>.

وهذا كلام منطقي، لأننا لسنا بصدد اعتدال مجرد، وإنما نحن بصدد أمر يتعلق بالمعنى وما يرتبط به من رعاية الحال والمقام. لكننا إنصافا لابن الأثير نقول إنه لم يقف عند هذا الحد في بيان ما يحسن به السجع بل قال بعده: "ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند تطاؤ الفواصل على حرف واحد إذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الأدياء سجاعا، وما من أحد منهم ولو شدا شيئا يسيرا من الأدب إلا ويمكنه أن يولف ألفاظا مسجوعة، ويأتى بها في كلامه؛ بل ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة طنانة رنانة، لا غثة ولا باردة وأعنى بقولى "غثة باردة" أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، وما يشترطها من الحسن، ولا تركيبها وما يشترط له من الحسن<sup>(٢)</sup> ويقول: "فإذا صفى الكلام المسجوع من العثاثة والبرد فإن وراء ذلك مطلوباً آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ، فإنه يبيء عند ذلك كظاهر مموه، على باطن مشوه، ويكون مثله كعمد من ذهب على نصل من خشب، وكذلك يجرى الحكم في الأنواع الباقية الآتى ذكرها من التجنيس والترصيع وغيرهما.

ويرى ابن الأثير أن السجع الذى لم يقف عليه غيره هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه؛ لأن (التطويل) إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها. وإذا وردت سجعتان تدلان على معنى واحد كانت إحداهما كافية في الدلالة عليه، وجل كلام الناس المسجوع جار عليه<sup>(٣)</sup> ثم يلخص ابن الأثير شرائط حسن السجع فى أربع شرائط، يرى أنها لا بد منها" هذا ومما يلتحق بالسجع وإن كانوا قد جعلوه لونا مستقلا (لزوم مالا يلزم) لأنه كما قال ابن الأثير "اللازم فى هذا الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذى هو تساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنشور

(١) بناء الأسلوب فى شعر الحدادة د/ محمد عبد المطلب.

(٢) انظر المثل السائر ١/٢١٣، ٢١٣.

(٣) المثل السائر ١/٢١٣، ٢١٢.

في قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً<sup>(١)</sup> وهذا النوع قد يتحقق في بعضه اتفاق الصيغ كما في قول أبي نواس:

اترك الأطلال لا تبعاً بها      إنها من كل بوس دانية  
وانعت الراح على تحريمها      إنما دنيك دار فانية  
من عقار من رآها قال لي      صيدت الشمس لنا في آنية<sup>(٢)</sup>

حيث اتفقت فيها القافية على اسم الفاعل في المواضع الثلاث  
ومما يلتحق به كذلك التسميط" وهو أن يوتى بالبيت من الشعر على أربعة مقاطع،  
فثلاثة منها على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابعة" كقول جنود الهذلية:  
و حرب وردت، وثغر سدوت      وعلج شددت عليه الحبالا  
ومال حويت، وخيل حميت      وضيف قرئت بحاف الوكالا<sup>(٣)</sup>

حيث اتفق فيها وزن الصيغ في كل من (حرب - ثغر - خيل - ضيف) و(وردت - سدوت - حويت - شددت)

وهذه الشرائط التي ذكرها ابن الأثير يحسن بها السجع في الكلام على الجملة، إلا أن لنا وقفة أمام هذا الكلام نؤخرها لتعلق بها على هذا النوع مع نظائره الأخرى من التصريح والتجنيس وغير ذلك.

أما التصريح فهو في الشعر بمنزلة السجع في النثر<sup>(٤)</sup> وقد أخذ ابن الأثير في هذا الموضوع عن ابن سنان كلامه في استحسان القليل منه دون الكثير<sup>(٥)</sup> وقد سبق أن بينا أن أحسن والقيح في تلك الألوان مداره على مدى المطابقة لا على القلة والكثرة.

ومن الأنواع أيضاً التجنيس" وهو تشابه الكلمتين في اللفظ"<sup>(٦)</sup>

وقد يقع فيه اتفاق الوزن كما في تضمين المزدوج وهو أن" يجمع في أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن: كقوله تعالى: ﴿وَحِشْكٌ مِّنْ سَبِيٍّ يَبْنَىٰ يَبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٢)،

(١) الملل السائر ص ٢٨١/١، النبيان ص ٥٢٤.

(٢) الملل السائر ٢٨٨/١.

(٣) الطراز ص ٩٧/٣.

(٤) ابن الأثير ٢٥٩/١، الطراز ٣٢/٣، النبيان ٥١٩/٢.

(٥) ابن سنان سر الفصاحة ص ١٨٠.

(٦) المتنازع ص ٢٢٧، وانظر الإيضاح ص ٥٣٥، النبيان للعلبي ٥٠٥/٢.

وقوله عنه: "المؤمنون هينون لينون" وكمولهم: فلان رفع دعامة الحمد والمجد بإحسانه، وبرز بالجد والجد على أقرانه<sup>(١)</sup>.

أما القسم الثاني وهو المشبه بالتجنيس: فهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير، وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس فمما جاء منه قوله تعالى: ﴿وَجُودَةٌ يُؤْمِنُهَا غَايِرَةٌ • أَلَيْ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣) فإن هاتين اللفظتين على وزن واحد، إلا أن تركيبهما مختلف في حرف واحد، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٦) وذكر له أمثلة آخر وهذا الذي ذكره ابن الأثير قد سماه الطيبي بالزائد<sup>(٢)</sup> ولكن يبدو لي أنه لا فرق بينه وبين النوع المسمى بتضمين المزوج.

هذا، وقد تكرر الصيغة بتكرار نفس اللفظة كما في التطريز<sup>(٣)</sup> ونرى أن هذا النوع أدخل في التكرار اللفظي لا التكرار الصيغي الذي نحن بصده، وإن كنا لا ننكر أن تكرر اللفظ بنفس الصيغة يؤكد المعنى الوظيفي للصيغة كذلك، ولكننا سوف نقصر دائرة بحثنا على تكرر الصيغة ذات الألفاظ المختلفة، وذلك لأنه أدل على بيان ما نحن بصده من بيان الوظيفة الفنية لصيغة الكلمة، وذلك لأن التوظيف البلاغي للتكرار حينئذ سيكون مقصوراً على الصيغة لا على اللفظ نفسه وذلك لعدم تكرر مادته.

هذا وشمة أنواع آخر من البديع لا تحل أمثلتها من تكرر الصيغ، وذلك كرد العجز على الصدر<sup>(٤)</sup> وقد تركت استقصاء تلك الأنواع خشية الإطالة، وبقيت لنا ملاحظات عامة حول هذه الأنواع جميعاً:

الملاحظة الأولى:

لم يلتفت البلاغيون إلى التكرار بين الصيغ خارج شطري البيت الواحد غالباً أو الفاصلة أو الفاصلتين، فلم يلتفتوا إلى ما يمكن أن نسميه بالتكرار الدائر أو المتكرر داخل وحدات قصيدة بأكملها أو جنس أدبي بأكمله وهذا ما سوف نعرض عدداً من أمثله ونماذجه في الجانب التطبيقي من البحث.

(١) نهاية الإيجاز ص ١٤٤.

(٢) المثل السائر ١/٢٦٨، التبيان ٢/٥٠٧.

(٣) الطراز ٣/٩١.

(٤) المفاتيح ص ٢٢٨.



## الملاحظة الثانية:

لم ينظر البلاغيون إلى تكرار الصيغ إلا من جانب واحد وهو الجانب الشكلى أو الإيقاعى، وليس من جهة تأكيد معنى وظيفى تفيده الصيغة المكررة، ويكون له دوره وأثره فى مطابقة مقتضى الحال، وهذا ما سوف يبينه البحث كذلك بأمثله التطبيقية، وذلك فى الجانب التطبيقى من البحث كذلك.

## الملاحظة الثالثة:

فضلا عن انشغال البلاغيين بالجانب الإيقاعى عن قيمة التكرار المصغى الواقع فى تلك الألوان البديعية، فإنهم لم يوفوا دراسة ذلك الجانب الإيقاعى حقه فى الغالب، اللهم إلا بعض نحات متكررة من ابن سنان وابن الأثير ترجع إلى استحسان القليل من تلك الأنواع دون الكثير، رابطين بذلك بين حسن تلك الأنواع وقبحها بقلة استخدام تلك الأنواع أو كثرتة والحق أن سر الحسن فى تلك الأنواع كلها إنما هو كما يقرره عبد القاهر حيث يقول: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه، وساقه نحوه، وحتى تجده لا تتقى به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأحلاه، وأحقه بالحسن وأولاه:" ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه."

ويقول أيضا "ولن تجد أيمن طائرا، وأحسن أولا وآخرا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب للاستحسان، من أن ترسل المعانى على سجيبتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ.. فإما أن تضع فى نفسك أنه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين؛ فهو الذى أنت منه بعرض الاستكراه، وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم"<sup>(١)</sup>.

فالحق أن هذه الأنواع جميعها مدار حسنها على موافقة المعنى، وعدم الكلفة، إلا أننى أرى أنها تنقسم من حيث الحسن والقبح إلى ثلاث مراتب:

الأولى: تكرار بليغ

الثانية: تكرار مطابق

الثالثة: تكرار متكلف

وسوف نقف على كل نوع من تلك الأنواع فيما سوف نعرض له من الأمثلة التطبيقية.

(١) أسرار البلاغة ص ٩-١٠.

ومما يتم به الكلام فى هذا الموضوع: ما ذكره ابن الأثير ومن تبعه كالعلوى والطيبى وغيرهم من المعازلة فى الصيغ.

فقد التفت ابن الأثير إلى هذه الظاهرة فى حديثه عن المعازلة فذكر فى القسم الثالث من المعازلة " أن ترد الألف على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضاً"<sup>(٤١)</sup>.

ثم فصل الكلام فيها بذكر أمثلة كل فقال: فالأول: كقول القاضى الجرجانى فى أبيات يصف فيها الشمعة، " وفيها معنى هولته مبتدع. ولم يسمع من غيره، وذلك أنه قال عن لسان الشمع: إنه ألف العسل وهو أخوه الذى ربى معه فى بيت واحد، وإن النار فرقت بينه وبينه، وأنه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضاً من ألم الفراق، إلا أنه أساء العبارة، فقال بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل وروحي

فقوله: " نذرت أعود(أقتل)" من المعازلة إليها" (٤٠) ثم قال " وأما ما يرد على واحد من الصيغة الفعلية فكقول أبى الطيب المتنبى:

أقل أنل أقطع احمل اعل سل زد هش بش تفضل ادن سر صل

فهذه الألفاظ جاءت على صيغة واحدة وهى صيغة الأمر كأنه قال: " افعل افعل هكذا إلى آخر البيت" وهذا تكرار للصيغة وإن لم يكن تكرار للحروف إلا أنه أخوه ولا أقول ابن عمه وهذه ألفاظ متراكبة متداخلة، ولو عطفها بالواو لكانت أقرب حالاً كما قال عبد السلام بن رغبان:

فسد الناس فاطب الرزق بالسيف وإلا فمت شديد الهزال

احل وامرر وضر وانفع ولن واخشن وأبرز ثم انتدب للمعالى

ألا ترى أنه لما عطفها هنا بالواو لم تتراكب الألفاظ كترابكها فى بيت أبى الطيب المتقدم ذكره؟

ثم اعترض ابن الأثير على نفسه فقال: " فإن قيل إنك جعلت ما كان وارداً على صيغة واحدة على سبيل التكرار معازلة وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَعَظِّمُوهُمْ وَأَخْصِرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ ولو كان معازلة لما ورد فى القرآن الكريم مثله؟

(١) الملل السائر ص ٣١٠/١.

فالجواب عن ذلك أنى أقول هذه الآية ليست كالذى أنكرته، فإن هذا الموضع ينظر فيه إلى الكثير والقليل فإذا كثر كان تعاضلا لتراكبه وثقله على النطق، وقد عرفتك أن ما يفصل بين صيغة يواو العطف يكون أقل ثقلا مما لا يفصل" هذا الكلام الذى ذكره ابن الأثير تبعه فيه العلوى فى الفصل الخاص ببيان المعاطلة بالصيغ المفردة من غير الأدوات<sup>(١)</sup> ولم يزد فيه على ابن الأثير بشيء سوى أنه قد اختصر كلامه فى هذا الموضع وأورده بشيء من التلخيص، وقد أشار إلى ذلك أيضا السبكي فى عروس الأفراح وهو بصدد شروط فصاحة الكلمة مقتصرًا على ذكر بيت المتنبي مبينا أن سبب القبح فيه إنما يرجع لقصر كلماته المتوالية التى على حرفين<sup>(٢)</sup> ونلاحظ على ابن الأثير أنه يقصر المعاطلة على ورود ألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا. ومعنى ذلك أنه يرى أن التكرار فى صيغة الاسم لا يعد من المعاطلة، وذلك كما فى نحو قول امرئ القيس:

مكر، مسفر، مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السهل من عل  
أو كقول بعض شعراء الحماسة<sup>(٣)</sup>:

أسجنا وقهدا واشتياقا وغربة ونأى حبيب إن ذا لعظيم  
وإن أمرا دامت موثيق عهده على مثل هذا إنه لكريم

والذى أراه أن التكرار لا يذم فى صيغة الفعل على إطلاقه، ولا يحسن فى صيغة الاسم على إطلاقه، وأن حسنه وقبحه غير مرتبط بكون الصيغة اسما أو فعلا، وإنما هو مرتبط بالمقام الأول بالمطابقة لمقتضى الحال، ومع ذلك فإن ما ذكره ابن الأثير ليس مستغربا، ويمكن أن يحتج له بأن تكرار صيغة الفعل يتبعها تداخل الجمل... بخلاف تكرار صيغة الاسم التى لا تعدو كونها أوصافا تتوالى فى نطاق جملة واحدة ومن ثم لا تشيك طريق الفهم كالتكرار فى صيغة الفعل<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الطراز ص ٥/٣.

(٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٩٣/١.

(٣) انظر المثل السائر ص ١٧/٣.

(٤) أهدت هذا التعليق على كلام ابن الأثير السابق من ملاحظات أستاذى الفاضل د/ حسن طبل فى ملاحظاته وتعميقاته على البحث.

ومن ثم فإنى أوافق ابن الأثير فى عد ذلك من المعاطلة إلا أنى لا أوافق على إخراجه تكرر صيغ الأسماء من المعاطلة على الإطلاق ومن ثم لا أوافق على ما استحسنت من التزام صيغة التصغير فى موضع آخر فى قوله: "اعلم أنه إذا صغرت الكلمة الأخيرة من الشعر أو من فواصل الكلام المنشور فإن ذلك ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضاً عن تساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية، والحروف التى قبل الفاصلة من النثر فمن ذلك قول بعضهم<sup>(١)</sup>:

عز على لىلى بلىلى سدىر      سوء مبيتى لىلىة الغمير  
مقبضاً نفسى فى طمير      تنتهز الرعدة فى ظهيرى  
يهفو إلى الزور من صدىرى      ظمآن فى ربح وفى مطير  
وازرُقُ لىس بالغرير      من لد ما ظهر إلى سحير  
حتى بدت لى جبهة القمر      لأربع خلون من شهير

وهذا من محاسن الصنعة فى هذا الباب فاعرفه."

فالذى أراه أن ما استحسنته ابن الأثير من التزام صيغة التصغير فى هذه القصيدة غير مستحسن بإطلاقه، وذلك أنه إذا كان للتصغير دلالة فى نحو (طمير قمير) للإشعار برثاءة حاله، مما يرق قلب محبته نحوه فما جدوى التصغير إذا فى (سحير شهير) والأنفع هنا والأكثر مطابقة فى تريق قلب المحبوبة، أن يطيل زمن المعاناة التى يصفها ولا يقلله.

وأما استقباحه لبيت المتننى، فهذا مما لا أعلم أن أحداً يمانع فى استقباحه ووضفه بما وصفه به ابن الأثير بالمعاطلة وذلك لما هو ظاهر فيه من ثقل فى النطق لهزمة القطع بعد سكون آخر الفعل الذى قبله، مما يشعر بالثقل لأن الهزمة من أبعد الحروف فى النطق، وفيها من الثقل، ما لا يخفى، ويزداد هذا الثقل بنطقها بعد ساكن فضلاً عن كونها أفعال أمر مبنى فى أغلبه على السكون مما يزيد الأمر ثقلاً فى الانتقال من السكون الذى يعتاد النطق الوقوف عليه فى آخر الفعل ثم استئناف النطق بعد ذلك ويتوالى الأمر على ذلك: وقف، فنطق، وقف، فنطق... هكذا وهذا الثقل لا يستدعيه المعنى فى شيء ولا مبرر له، ومن ثم لا تتردد النفس فى استقباحه والنبوغته.

(١) انظر المثل السائر ص ٢٨٩/١.

وقد ذكر ابن الأثير في سبب استقباحه لهذا البيت أن ألفاظه متراكبة متداخلة، ولو عطفها بالواو لكانت أقرب حالا كما قال عبد السلام بن رغبان فسد الناس.. الخ ولا أدرى ما يعنيه ابن الأثير بتراكب تلك الألفاظ وتداخلها سوى أن يكون قد قصد أنها متصل بعضها ببعض غير مفصول بينها بواو العطف كما في بيت ابن رغبان

أحل وامرر وضر وانفع ولن واخـ شـن واهرز ثم انتدب للمعال

لأنه يقول بعد ذلك "ألا ترى أنه لما عطف ها هنا بالواو لم تتراكب الألفاظ كترابكها في بيت أبي الطيب المتقدم ذكره"؟

وفى رأيي أن السبب في خفة الثقل في بيت ابن رغبان راجع إلى ما ذكرت من أن الانتقال المتكرر من الوقف إلى النطق بهمزة القطع الشديدة هو سبب هذا الثقل، فحذف هذا الثقل هنا بواو العطف التي سهلت التوصل إلى النطق بالفعل التالي بغير همزة القطع التي تحولت بوصل الواو قبلها إلى الوصل، ومن ثم فلا أثر لها في النطق. ولكن البيت لم يخل من الثقل، إذ لا يزال الانتقال المتكرر من الوقف إلى النطق موجود، ولكنه أيسر بلا شك من الانتقال من السكون إلى همزة القطع مع تكراره.

وأعود فأؤكد أن موافقتي لابن الأثير في هذا الموضوع في استهجان ما استهجن لا تعنى التسليم له باستهجان ذلك على إطلاقه وذلك لأن الفيصل في ذلك إنما هو مدى مطابقة ذلك التكرار لمقتضى الحال. فقد تتكرر صيغ الأمر بغير حرف عطف يفصل بينها، ولكنها قد تكون مطابقة لمقتضى الحال بتواليها على هذا النحو، وإن كان النحو الذي جاءت عليه في بيت المتنبي مستكرها للغاية لما بينا من العلة الصوتية التي اشتمل عليها.

يقول بلندر الحيدري:

يا أنت

يا امرأة مربية

غنى أرقصى

قصى جناح ذبابة كى لا تطير

ولترحفن على التراب إلى المصير

وليهزأ الكون الكبير بذبابة

بجناحها المقصوص بالقلب الصغير

يا أنت  
يا امرأة مربية  
غنى أرقصى  
قصى حكايات الضائمين  
ضمى خطايا الآخرين  
فأنا كانت  
ملقى هنا وبكل موت

كأسا وأغنية وبعض لفائف وغوى سنين

فالشاعر يكرر الجملة (يا أنت يا امرأة مربية غنى أرقصى قصى) وفيها تتكرر صيغة الأمر بغير عطف للأفعال بواو أو غيرها، ويكرر ذلك النسق فى القصيدة، بتكرار تلك الجملة" وهذه الجملة تمثل محورا أساسيا فى نصه، لأنها تحتوى الماضى كله فى ذاكرة الشاعر والماضى بالنسبة له أسود لأنه يضم حكايا الضياع وخطايا الآخرين وغوى السنين. وترتكز هذه الجملة فى بؤرة القصيدة يجعل الدلالة صادرة منها فهى مبعث السخرية فى غنائها ورقصها وتلعل الكون من أفعالها، وهى مصدر الموت لأنها نهاية تجربة الشعور بنجية الأمل وهى معادله للتفاهة فى حياة الشاعر. من أجل ذلك ألحت على شعور الشاعر ولا شعوره فى البروز على صفحة النص مرتين<sup>(١)</sup> ومن ثم فالتكرار هنا لم يكن معييا على إطلاقه بل كان مستحسنا وذلك لكونه مطابقا لمقتضى الحال فهو يعبر تمام التعبير عن حالة اللامبالاة التى تسيطر على الشاعر فى تلك التجربة التى يصورها، فهو ساخر من تلك المرأة غير مبال بأفعالها، ومن ثم يعدد لها تلك الأفعال بهذا التوالى الذى تخرج فيه صيغة الأمر عن دلالتها على الطلب إلى معنى السخرية واللامبالاة، وتكرار تلك الصيغة بتلك الدلالة تأكيد لتلك المعانى.

ويبدو أن ابن الأثير قد أحسس بعدم اطراد هذا الأصل، فأورد على نفسه - على سبيل الاحتراس - الاعتراض بما ورد فى القرآن من ذلك ثم أجاب عنه بما سبق نقله آنفا. ويمكن أن نناقش ابن الأثير فى كلامه السابق فنقول:

(١) د/ مصطفى السعدى/ البهات الأسلوبية فى لغة الشعر العربى الحديث ص ١٦٣ منشأة المعارف/ الإسكندرية.

أولاً: إن ربط هذا الموضع بالقلة والكثرة يحتاج إلى ضابط للقلة والكثرة، وهذا ما يصعب تقديره.

ثانياً: هل هناك مانع من ورود تلك الصيغ بكثرة إذا اقتضاهما السياق وتطلبها أو إذا كانت لها دلالات معتبرة؟

والذي أراه أنه لا مانع من ذلك، بشرط أن تجتنب علة الثقل التي أشرت إليها آنفاً في بيت أبي الطيب، إذا لم يكن لذلك الثقل ما يقتضيه من الناحية الفنية.

الذي أراه في الآية المستشهد بها أن سبب ذهاب الثقل فيها ليس سببه الفصل بالواو على أن ابن الأثير يرى أن الفصل بالواو لا يذهب الثقل كله بل يخففه، ومعنى ذلك أنه لا يزال بالآية ثقلٌ على كلامه، وهذا لا يمكن قبوله، ولا يقول به ابن الأثير نفسه، ولا أقول إن توالي أفعال الأمر في الآية ثقيل خفف منه الفصل بالواو بل أقول إنه أحد مصادر الحسن في الآية وذلك أن توارد الأفعال وتواليها بتلك الصورة إنما يدل دلالة باهرة على أن الله تعالى قد رفع كل حرج عن المؤمنين في قتال الكافرين وأباح لهم كل سبيل في النيل منهم، ولا يفيد التعبير عن ذلك على أتم وجه إلا ذلك التوالى في الصيغ على النسق الذى جاءت عليه الآية في هذا الموضع وهذا يدل عليه كلام المفسرين للآية<sup>(١)</sup>.

ويمكننا أن نعلل إخراج ابن الأثير لصيغ الاسم من حد المعاطلة بأن يكون ذلك رأياً له باستحسان تكرارها وقد بينت في كلامي أن تكرار الصيغ على العموم لا يحسن ولا يقبح إلا بحسب مطابقتها أو عدم مطابقتها لمقتضى الحال.

هذا وبحسب ابن الأثير أنه قد وقف تلك الوقفة الطويلة نوعاً ما بالقياس إلى كلام غيره في تكرار الصيغ على العموم، إذ لم أعثر في كلام البلاغيين على من أولى هذه النقطة اهتماماً يذكر، اللهم إلا ما ذكرته عن العلوى والسبكي، وكلام الأول لا يعدو أن يكون تلخيصاً لكلام ابن الأثير، وكلام الثاني لا يعدو كونه إشارة سريعة فضلاً عن أن ما ذكره السبكي من أن سبب القبح في بيت المتنبي يرجع إلى قصر كلماته المتوالية التي على حرفين؛ كلام غير مسلم لأمر:

أولها: أن ليس أغلب كلمات البيت على حرفين حتى يعلل القبح بها.

(١) انظر الرازي ٥٧٣/٧، المحرر الوجيز ج ٣/ ص ٨، اللطال ١٦٠١/٣.

ثانيها: أن هذا التعليل لا يعدو كونه توصيفا لحال البيت، وإلا فإننا نسأل بعد ذلك: وما القبح في كون هذه الكلمات على حرفين مع تواليها؟ فهذه العنة المذكورة نفسها تحتاج إلى تعليل.

ثالثها: أن مدار الأمر كما سبق بيانه في مناقشة كلام ابن الأثير على مطابقة ذلك التكرار لمقتضى الحال أو عدم مطابقتها لا على مجيئه على هيئة بعينها.

هذه النظرة إلى الدور الذى يعلبه التكرار فى الصيغ لا تكاد تختلف كثيرا فى الدراسات الحديثة عنها فى تراثنا البلاغى؛ اللهم إلا تميز تلك الدراسات باستخدام منهج الإحصاء فى دراسة التكرار؛ مما أضفى عليه شيئا من الدقة فى استخلاص بعض الأحكام النقدية واستخدامه كوسيلة للوصول إلى الكلمات أو الصيغ التى تعد مفاتيح لفهم النص الأدبى.

غير أن تلك الدراسات قد شغلت - فى الوقت نفسه كذلك بأمر تكاد تكون نظرية بحتة ترجع فى رأى إلى اختلاف تلك الدراسات فى وصف الأسلوب؛ ومن ثم ترتب عليه اختلافهم فى وصف التكرار باعتباره ظاهرة من الظواهر الأسلوبية بأنه اختيار تارة، وبأنه عدول أو انحراف تارة أخرى؛ كما وصف كذلك بأنه إضافة، ومن ثم يربط باحث معاصر بين الأسلوب كاختيار وبين معدلات التكرار التى تتم داخل النص، فيقول: "يعتمد المفهوم الوظيفى للأسلوب على فكرة قديمة تتصوره ابتداء كعملية اختيار واعية أو غير واعية لعناصر لغوية معينة وتوظيفها عن قصد لإحداث تأثير خاص هو التأثير الأسلوبى إلا أن الكشف عن مدى هذا التوظيف وأبعاده يقتضى من الباحث استخدام وسائل قياس دقيقة تتيح له فرصة التعرف عليه واختياره وينطلق عندئذ من المبدأ التالى: "يعتمد الأسلوب فى نص ما على العلاقة القائمة بين معدلات التكرار للعناصر الصوتية والنحوية والمعجمية ومعدلات تكرار نفس هذه العناصر فى قاعدة متصلة به من ناحية السياق"<sup>(١)</sup> فالتحليل الأسلوبى عند أنصار هذا الاتجاه يعتمد على معدلات تكرار العناصر اللغوية فى نص معين ويرتكز عندئذ على الاحتمالات السياقية؛ فلكى نقيس أسلوب مشهد ما من الضرورى أن نقارن معدلات عناصره اللغوية فى مستوياتها المختلفة مع ملامح نص آخر، أو مجموعة آخر من النصوص التى تعد بمثابة قاعدة ذات علاقة محددة فى سياقها بالمشهد الذى نحلله.

(١) د/ صلاح فضل، علم الأسلوب ص ٢٠٧.



وقد قامت باحثة معاصرة يبحث عن التكرار في الشعر خرجت منه بنتيجة عبرت عنها بقولها: "وإذ نستعيد ما أحصيناه في بحثنا هذا من أنماط التكرار يتضح لنا في النهاية: أن الأمر أولا وأخيرا يرجع إلى (الاختيار) أو (الانتقاء) ونقصه به اختيار الألفاظ، فالشاعر يتتقى الألفاظ التي تحقق تكراراً في الأصوات وتكراراً في المقاطع وتكراراً في الوحدات الصرفية وتكراراً للتراكيب النحوية"<sup>(١)</sup>.

ومن ثم فالتكرار بناء على هذا الرأي هو نوع من الاختيار الأسلوبى. وهذا رأى له وجاهته فالتكرار في حقيقته إنما هو اختيار وإيثار لصيغة بعينها إلا أننا لو أردنا الدقة في تسميته لسميناه اختيار التكرار أو تكرار الاختيار، ومن ثم فهو ليس اختياراً مطلقاً ولكنه اختيار مقيد بكونه مكرراً.

كذلك فقد ارتبط التكرار بالانحراف أو العدول، حيث يصنف الانحراف إلى انحراف موضعى يؤثر فحسب على نسبة محددة من السياق أو انحراف شامل يؤثر على النص بأكمله، ويمثل له "بمعدلات التكرار الشديدة الارتفاع أو الانخفاض لوحدة معينة فى النص مما يعد انحرافاً شاملاً"<sup>(٢)</sup>.

وهذا الرأى الذى ينظر إلى ظاهرة التكرار على أنها انحراف لا يتميز بظاهرة التكرار الفنى الذى يأتى لأغراض بلاغية مقصودة، بخلاف التكرار المستخدم فى اللغة العادية فإنه غالباً ما يعبر عن حاجة للمتكلم أو يكون بمثابة رد فعل لأحد المثيرات.

وثمة رأى ثالث يرى أن التكرار إضافة، حيث يرى فان ديجك مؤسس علم النص أن الخصائص البلاغية يمكن تحديدها عن طريق عدد من العمليات الرئيسة التى تتم فى مستويات معينة داخل وحدات خاصة.

وأبرز هذه العمليات:

١- الإضافة.

٢- الحذف.

٣- القلب.

(١) انظر بحثنا للدكتورة فاطمة محبوب، نشرته مجلة الشعر، العدد الثامن من ١٩٧٧ ص ٤٠.

(٢) د/ صلاح فضل علم الأسلوب ص ١٨١، وانظر أوسن واربن وريته وبلت: نظرية الأدب ص ٢٣١ ، ٢٣٢ وانظر د/ فتح الله سليمان- الأسلوبية ص ٥٢.

ومن ناحية المبدأ فإنه من الممكن تحديد تعديلات وتحويلات أخرى للأبنية عن طريق هذه العمليات ذاتها وذلك مثل التكرار الذى يعد من قبيل الإضافة<sup>(١)</sup> وأرى أن تسمية التكرار إضافة لم تضيف جديداً ذا بال؛ لأن تلك الإضافة إما أن تكون من قبيل الاختيار أو من قبيل العدول ومن ثم فإن التكرار الصيغى إما أن يكون بسبب اختيار هذه الصيغة وإثارة تكرارها وإما أن يكون بسبب العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى توازى الصيغة الأصلية فينشأ من ذلك التكرار.

وسأتى فى الجانب التطبيقي من البحث أمثلة للتكرار الناشئ عن اختيار صيغة بعينها، وأمثلة للتكرار الناشئ عن العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى توافق الأصل المكرر.

نخلص من هذا إلى تميز المدخل لدراسة التكرار الصيغى فى الدراسات الأسلوبية الحديثة منه فى التراث البلاغى؛ ذلك أن التراث البلاغى قد تناول ظاهرة التكرار الصيغى كما سبق أن بينا ضمناً داخل ألوان البديع المختلفة كالسجع والجناس والتصريع والترصيع وغير ذلك<sup>(٢)</sup>، وكان المدخل إلى ذلك هو النظر إلى ذلك التكرار الصيغى باعتباره نوعاً من التحسين اللفظى أو الإيقاعى، ولم يعن البلاغيون بالوقوف على القيمة البلاغية لهذا النمط التكرارى غالباً باعتباره اختياراً لهذا النمط أو عدولاً إليه إلا من الناحية الشكلية فقط، دون الوقوف - غالباً - على القيم الدلالية لهذا الاختيار أو العدول ذى الطابع التكرارى.

ومن ثم نرى أن هذا المدخل لدراسة التكرار الصيغى - باعتباره اختياراً أو عدولاً - له ما يبرره من الناحية الفنية بجميع أبعادها الدلالية والشكلية؛ ومن ثم فهو أجدى على الدرس البلاغى من ذلك المدخل القديم الذى تناول به البلاغيون ظاهرة التكرار الصيغى ضمن ألوان البديع التى سبقت الإشارة إليها<sup>(٣)</sup>

وشمة مدخل آخر لدراسة التكرار تميزت به تلك الدراسات الحديثة عن ذلك المدخل التراثى وهو تقسيم التكرار باعتباره انحرافاً إلى نوعين:

١- تكرار محلى أو موضعى.

(١) د/ صلاح فضل/ بلاغة الخطاب وعلم النص/ عدد ١٦٤ من سلسلة عالم المعرفة.

(٢) وذلك باستثناء الباحث التى أفردها لذلك ابن الأثير ومن تابعه.

(٣) لذا فسوف نعتمد ذلك المدخل عند تناول ظاهرة التكرار الصيغى فى الجانب التطبيقي من البحث.

حيث يمكن تصنيف الانحرافات عموماً تبعاً لدرجة انتشارها في النص كظواهر محلية موضوعية أو شاملة فالانحراف الموضوعي يؤثر فحسب على نسبة محددة من السياق وهكذا فلاستعارة مثلاً يمكن أن تؤثر على النص بأكمله، ومثاله معدلات التكرار الشديدة الارتفاع أو الانخفاض لوحدة معينة في النص مما يعد انحرافاً شاملاً ويمكن رصده بشكل عام عن طريق الإجراءات الإحصائية<sup>(١)</sup> فالملحوظ على دراسة البلاغيين لظاهرة التكرار أنها قد وقفت عند حد التكرار الموضوعي أو المحلي وذلك في البيت الواحد أو عدد من الأبيات - بيتين أو ثلاثة -، أو بين الفاصلتين في النثر ونحو ذلك، أما ظاهرة التكرار الشامل أو التكرار مع وحدات الجنس الأدبي، فهذا مما يندر العثور عليه في التراث البلاغي<sup>(٢)</sup>، ولعل السبب في ذلك أنهم لم يقفوا على نماذج له في النتاج الأدبي الذي وصل إليهم؛ ومن ثم فإن تلك الدراسات الحديثة تسمح بمدخل آخر لدراسة ظاهرة التكرار الصيغي.

وقد ظهر تطبيق ذلك المنهج على عدد من النماذج بما أدى إلى نتائج جيدة في مجال الدراسة النقدية<sup>(٣)</sup> وقد كان من ثمره ذلك المدخل إلى دراسة التكرار أي من حيث كونه موضوعياً أو شاملاً متكرراً الوقوف على ظاهرة (المفاتيح) وهي الكلمات التي يكون لها ثقل تكراري وتوزعي في النص بشكل يفتح مغاليقه، ويبدد غموضه<sup>(٤)</sup> والكلمة المفتاح هي التي يصل معدل تكرارها في عمل معين أو لدى مؤلف معين إلى نسبة أعلى مما هي عليه في اللغة العادية<sup>(٥)</sup> ولعل مما يعضي مزيداً من الإيضاح على منهج (الكلمات المفاتيح) بيان

(١) د/ صلاح فضل/ علم الأسلوب ص ١٨١.

(٢) سبق أن وقفت على مثال واحد هذه الظاهرة أورده ابن الأثير؛ حيث تكررت صيغة التصغير في أبيات القصيدة كلها، وهو من الأمثلة النادرة هذه الظاهرة في التراث البلاغي.

(٣) انظر على سبيل المثال د/ مصطفى السعدني / البيئات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث/ منشأة المعارف/ الإسكندرية فصل التكرار ص ١٤٥، د/ اعتدال عثمان/ النص: نحو قراءة نقدية إبداعية لأرض محمود درويش/ مقال بمجلة فصول المجلد الخامس العدد الأول عن الأسلوبية ص ١٩١، وانظر أيضاً د/ فاطمة محبوب/ بحث: التكرار في الشعر / مجلة الشعر/ العدد الثامن ص ١٩٧٧ ص ٤٠ وسوف نغف أمام بعض النماذج التي عرضت لها تلك الدراسات في الجانب التطبيقي من هذا البحث.

(٤) انظر د/ شفيق السيد، الاتجاه الأسلوبى في النقد الأدبي ص ١٦٩، وانظر مقالة للدكتور سليمان المطار/ بعنوان (الأسلوبية علم وتاريخ) فصول مجلد (١) عدد (٢) ص ١٩٨١.

(٥) د/ صلاح فضل علم الأسلوب ص ٢٣٩.

الفرق بينها وبين ما يسمى (الكلمات الرئيسية THEMATIC-WORDS) فالكلمات الرئيسية (هى العبارات التى يستخدمها الكاتب المعين بكثرة، على حوت أن الكلمات المفاتيح) هى تلك المواد المعجمية التى يزد تكرارها من دلالتها فوق ما يكون لها فى الوضع الطبيعى المعتاد<sup>(١)</sup>

وفى رأى أن الكلمات المفاتيح ينبغى ألا تقتصر فى تصورهما على أنها تكرار لبعض المواد المعجمية، بل أرى أن تكرار صيغ يعينها فى عمل أدبى معين يمكن أن يكون مفتاحا للوقوف على الفكرة الرئيسية بهذا النص ومن الأمثلة على ذلك ما قامت به باحثة معاصرة من دراسة للتكرار فى قصيدة ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن نخلق الكرم

فقد تضمنت هذه الدراسة، دراسة التكرار فى الصيغ أو الوحدات الصرفية، وخرجت من ذلك ببعض النتائج، منها على سبيل المثال: تكرار صيغة (فعل) التى أحصت مواضعها فى القصيدة فبينت أنها قد بلغت تسعة وستين موضعا، ثم اجتهدت الباحثة فى تحليل هذه الكثرة بأن النص يدور حول (خمر بلا كرم) فصيغة اللفظين (خمر وكرم) واحدة وهى (فعل) فكان هذه الصيغة لذلك هى الأساس لبناء نظمه<sup>(٢)</sup>

ونحن وإن كنا لا نوافق الباحثة على تلك الدلالة لصيغة فعل فى القصيدة؛ فإننا نرى أنها محاولة جيدة للالتفات إلى المفاتيح الصرفية فى النص ذلك أن تلك الصيغة فعل إنما هى من الصيغ التى يكثر دورانها لحفتها.

فهذه الصيغة تتكرر فى قصائد كثيرة بمثل هذه النسبة أو أكثر منها دون أن يكون لها دلالة إيجابية فى النص.

ولعل هذا يوفقنا على احتراز هام فى مثل تلك الإجراءات الإحصائية لظاهرة التكرار الصيغى وهو أن هناك صيغا يمكن أن نصلح على تسميتها (بصيغ موضوعات) فى مقابل ما يمكن أن نسميه (بالصيغ المفاتيح)، وذلك على نحو ما أشاروا إليه من أن هناك (كلمات موضوعات) و(كلمات مفاتيح) فالأولى تشير إلى المصطلحات التى ترد لدى كاتب معين بحكم الموضوعات التى يعالجها، بينما تشير الثانية إلى الكلمات التى تفوق فى ترددها

(١) د/ شفيق السيد/ الاتجاه الأسنوبى ص ١٧٠.

(٢) انظر البحث فى مجلة الشعر ٨ من ١٩٧٧ ص ٤٠.

المعدلات العادية لدى أمثاله فى نفس الموضوعات مما يعطىها دلالة متميزة أى أن (الكلمات المفتاحية) بهذا المفهوم المحدد تعتمد على معدلات التكرار النسبية لا المطلقة مما يضطرنا أن نحدد القاعدة العادية قبل أن نصل إليها، ويظل اكتشافها بالرغم من ذلك عملية حساسة، إذ لا بد أن ننفادى بعناية قصوى ما أطلق عليه "الكلمات السياقية" التى يرجع السبب فى معدلات تكرارها إلى الموضوع قبل أى باعث أسلوبى .

١- استخدام مفردات معينة.

٢- الزيادة أو النقص النسبىان فى استخدام صيغ معينة، أو نوع معين من الكلمات (صفات، أفعال، ظروف، حروف جر الخ).

٣- طول الجمل.

٤- نوع الجمل (اسمية، فعلية، بسيطة، مركبة، إنشائية، خبرية الخ).

٥- إظهار تراكييب أو مجازات واستعارات معينة.

وهذه السمات اللغوية حين تغطى بنسبة عالية من التكرار وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالاته تصبح خواص أسلوبية تظهر فى النصوص بنسب RATIOS وكثافة DENSITY وتوزيعات DISTRIBUTIONS مختلفة<sup>(١)</sup> وعلى الرغم من الشهرة التى قد ظفر بها منهج الإحصاء فإنه قد وجهت إليه عدة انتقادات ليس هنا محل التعرض لها. ولكن على الرغم مما وجه إلى منهج الإحصاء من الانتقادات" ومع كل هذه الاعتبارات فإنه من الخطأ البين استبعاد المنظور الإحصائى من الدراسة الأسلوبية فهناك على الأقل طبقا لما يذكره " أولمان" ثلاثة مظاهر فى الدراسة الأسلوبية يمكن أن تفيد بشكل جدى من المعايير العددية وهى:

١- بوسع التحليل الإحصائى أن يسهم أحيانا فى حل المشاكل ذات الصبغة الأدبية الخالصة فاستخدام هذا"التكنيك" قد يساعدنا مع شواهد آخر على تحديد مؤلفى الأعمال المجهولة النسب كما ذكرنا ويمكن أن يلقى ضوءا على مدى وحدة بعض الفصائد واكتماها أو نقصها وبوسعنا أن نفيد منه بشكل حاسم فى علاج بعض قضايا الشعر الجاهلى فى الأدب العربى ومدى أصالته. ومن ناحية أخرى فإن استخدامه قد يساعد على تحديد المسار الزمنى وتاريخ كتابة أعمال مؤلف خاص

(١) انظر سعد معلوح الأسلوب ص ١٨١٩ د/ شفيق السبب اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١١٦ .

مطلما حدث في " حوارات أفلاطون" وبعض أجزاء " تجليات رامبو" ولا شك أنه من الضروري معالجة هذه الحالات بحذر وحكمة شديدين قبل أن نزعم الوصول إلى نتائج يقينية.

٢- كما أن المنظور الإحصائي قد يفيد في تزويدنا بمؤشر تقريبي لمعدل تكرار أداة خاصة ودرجة تكييفها في العمل الأدبي فمما لا ريب فيه أن تكرار ظاهرة معينة مرة واحدة أو عشر مرات أو مائة مرة في الكتاب الواحد له دلالة مختلفة، وكثير من الدراسات التي تدور حول الأسلوب لا تقدم بيانات دقيقة عن هذا الأمر.

٣- قد تكشف الإحصاءات في بعض الأحيان عن ظواهر غير عادية بالنسبة لتوزيع العناصر الأسلوبية مما يودي إلى طرح مشاكل ذات صبغة جمالية هامة<sup>(١)</sup>.

ومعنى ذلك أنه على الرغم مما وجه إلى الإحصاء من انتقادات فإن الباحثين لا يزالون يشيرون إلى ما يمكن أن يقدم هذا المنهج للدراسات الأدبية والنقدية أو للدراسات اللغوية على العموم، وهذه المزايا التي ذكرها لها المنهج يمكن أن يفاد منها في جانب الصيغ كذلك لأن استخدام صيغة بعينها بصورة متكررة يعد ظاهرة أسلوبية لها دلالتها كغيرها من الظواهر الأسلوبية.

ولا ريب في أن تطبيق هذا المنهج في الصيغ خصوصا أو في الظواهر الأسلوبية عموما، يفيد الدرس اللغوي في مواضع كثيرة، فهو يعينه على تمييز الخصائص الأسلوبية العامة أو المشتركة في اللغة الواحدة، وكذلك بيان الخصائص الفارقة أو المميزة للهجات المتفرعة عن لغة واحدة كما يعينه أيضا في تشخيص أساليب الكتاب والشعراء.

أما بالنسبة للدراسة النقدية فقد يكون في بعض الأحيان هو وسيلة الإثبات الوحيدة لبعض الأحكام النقدية التي يتشكك فيها بعض الدارسين.

وعلى سبيل المثال إذا كان هناك من يشك في كثرة استخدام الدكتور طه حسين لصيغة " المفعول المطلق" في كتاباته بحيث لا تبلغ حد الظاهرة الأسلوبية فإنه يمكن تبديد هذا الشك بإحصاء هذه الظاهرة طوال فصل كامل محدد الصفحات، مقارنة بإحصائها في فصل أو نص مكتوب لكاتب معاصر له كالعقاد مثلا، على أن يكون هذا النص المعيار من نفس

(١) د/ صلاح فضل - علم الأسلوب - ص ٢٢٧-٢٣٠.

الجنس الأدبي الذي ينتمى إليه نص طه حسين ومشاكله في الموضوع، وسوف نتخذ النتيجة صيغة رقمية ومنها يتبين المعدل الإحصائي لاستخدام كل منهما بمنهج إحصائي ملائم.

وقد تبين من استخدام هذا النوع من البحث أن كثيرا من الأفكار الشائعة عن أسلوب كاتب ما، أو فترة زمنية معينة لا أساس لها، وفيما عدا ذلك يبقى الإحصاء محدود القيمة بالنسبة للناقد الأدبي ويمكن أن تصل الملاحظة التي يقوم بها ناقد مرهف الحس، إلى ما يصل إليه الإحصاء، دون حاجة إلى الدقة الزائدة الماثلة في الأرقام والنسب، مثلما هو الحال في ملاحظة برودة الطقس في يوم من الأيام، دونما رجوع إلى ما يسجله المرصد من درجة معينة للحرارة.

أما الأسئلة ذات الأهمية الأدبية التي ينبغي أن تطرح في هذا المقام مثل كيف استخدم الشاعر أو الكاتب هذه الظاهرة؟ وماذا صنع بها؟ وأي دور تؤديه في التنظيم الكلي لعمله الأدبي؟

أما هذه الأسئلة فليست داخلية في نطاق البحث الإحصائي<sup>(١)</sup> وبهذا نكون قد وقفنا على منهج وسط في الإنفاذ بمنهج الإحصاء في مجال دراسة الصيغ خصوصا وفي الدراسات النقدية والأدبية عموما، وهو أننا ينبغي أن نحدد ابتداء الدور الذي يمكن أن يقوم به الإحصاء كالوقوف على مدى تكرار ظاهرة من الظواهر، ومدى ثبوتها عند مبدع بعينه، أو نسبة مؤلف إلى صاحبه، أو اتخاذ الإحصاء مع تجنب المآخذ التي أخذت على هذا المنهج مثل إغفال تأثير السياق، أو عدم الفصل بين الظواهر الموضوعية والظواهر الأسلوبية، أي التفريق بين الظاهرة التي تكون وليدة الموضوع، فمن ثم فلا عجب في تكرارها، وبين الظاهرة التي هي وليدة الأسلوب والتي ينبغي أن نعنى بدراستها.

والذي نراه أنه ينبغي أن يكون الباحث على وعى وحس أدبي يمكنه من التفرقة بين الظاهرة الجديرة بإحصائها، وبين الظاهرة التي لا تزيد دلالة الإحصاء فيها على إحساس

(١) د/ شفيق السيد/ اتجاهات البحث الأسلوبى ص ١٧٧.

القارئ العادي بكثرة تلك الظاهرة. كما ينبغي التفرقة بين أن يكون المطلوب هو مدى الوقوف على كثرة الظاهرة فيتحذ لذلك منهج الإحصاء، وبين أن يكون المطلوب الوقوف على مدى فنية هذا الاستخدام، فهذا المطلوب لا يجدى الإحصاء فيه شيئا.

هذا وسوف نعرض فى الجانب التطبيقى من البحث بعض النماذج من تكرار الصيغة مستخدمين فى ذلك منهج الإحصاء بطريقة نحاول بها أن نفيد من مزاياء السابقة ونتجنب سلبياته التى سبق الإشارة إليها.

ومن هذا العرض السريع لظاهرة التكرار الصيغى فى الدراسات الحديثة يتضح لنا كيف اتفقت الدراسات القديمة والحديثة فى اتخاذ رصد ظاهرة التكرار أو إحصائها أساسا من أسس دراسة التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة، والوقوف على مدى فنيته ومطابقتها.



# النماذج التطبيقية للتكرار الصيغي

## دلالة التكرار في صيغة المضارع

من الدلالات الفنية لتكرار صيغة المضارع ما نلمحه في القوس العذراء لمحمود شاكر بقول:

وأين الأخلاء كانوا بها يجرون ذيل الهوى والغزل!  
وملك تعالى، وطاغ عتا، وحر أبي، وحر يص غفل!  
فدمدم بينهم صارخ: بقاء قليل! ودنيا دول!  
فعرش يخر، وساع يقر، وساق يميل.. ونجم أفل!<sup>(١)</sup>

فالشاعر هنا ينتقل من صيغة الماضي التي يتحدث بها عن الغابرين إلى نوع من التكرار لصيغة المضارع التي وظفها الشاعر هنا لاستحضار تلك الأحداث، وتشخيصها في نفس المتلقى.

الشاعر قد عدل هنا عن صيغة الماضي المتكررة في (تعالى\_عتا\_أبي\_غفل\_دمدم) إلى صيغة المضارع المتكررة كذلك؛ ومن ثم يصلح أن يكون هذا مثالا لما سبقت الإشارة إليه في الدراسات الحديثة أن التكرار قد يكون بالعدول.

وهذا العدول إلى صيغة المضارع هنا شبيه بالعدول في بيتي تأبط شرا:

بأنى لقيت الغول تهوى      بسهب الصحيفة صحصحان  
فأضربها بلا دهش فخرت      صسرهما للبدن وللجران<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن التكرار لصيغة المضارع في أبيات شاكر قد زادت المتلقى إحساسا بتصوير الحدث واستحضاره في مخيلته كأنما يراه ويعايشه؛ وذلك أن التعبير بالماضي في البيت السابق قد أوحى بالاستقرار والثبات لتلك الأوضاع من العتو والطغيان والغفلة والغرور؛ ومن ثم فقد وظف الشاعر صيغة المضارع بما يخرج بها إلى معنى المفاجأة؛ فهي توحى بالمفاجأة في تغير تلك الأوضاع كما تلعب دورها في مفاجأة القارئ وإثارة شعوره، في الوقت نفسه؛ فضلا عما تحمله صيغة المضارع من تصوير الحدث وتشخيصه في عيني المخاطب.

(١) القوس العذراء ص ٥١.

(٢) الملل السائر ١٨٣/٢.

وقد يوظف تكرار المضارع للتعبير عن الأفعال التي أصبحت عادة ودأبا للموصوف بها، فضلا عن تشخيص تلك الأفعال وإحضارها في الأذهان؛ فمن ذلك قول الله تعالى في الامتنان على بنى إسرائيل بإنجائهم من آل فرعون بعد ما أصبح دأبهم وديدنهم التنكيل بنى إسرائيل، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْتَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٤٩) قال ابن عطية في المحرر في قوله تعالى (يسومونكم) الجملة في موضع نصب على الحال، أى سائمين لكم سوء العذاب، ويجوز أن لا تقدر فيه الحال، ويكون وصف حال ماضية<sup>(١)</sup> ومعنى ذلك أن دلالة الحال هنا وصف حال ماضية كما في نحو بيتي تأبط شرا؛ فالله تعالى يمتن على بنى إسرائيل بهذه النعمة العظيمة - نعمة إنجائهم من آل فرعون - ويعيد على خيالهم ويستحى في مشاعرهم صورة الكرب الذى كانوا فيه باعتبار أنهم أبناء هذا الأصل البعيد - ويرسم أمامهم مشهد النجاة كما رسم أمامهم مشاهد العذاب<sup>(٢)</sup>.)

ومع صحة هذا المعنى لدينا فإننا نلمح هنا دلالة أخرى يوحى بها السياق القرآني، وهى كون هذه الأفعال قد صارت عادة ودأبا لآل فرعون، وقد دل على ذلك تكرار صيغة المضارع في الآية، ومن ثم تعظم المنة على بنى إسرائيل فى إنجائهم من هذا العذاب الذى قد اعتاد آل فرعون أن يذيقمومهم إياه.

وبنحو ذلك يوظف الشاعر نجيب الكيلاني تكرار صيغة المضارع فى قصيدته (السجن والحب والحرية) حيث يقول فيها:

أنا المحزون يا ليلى أقاسى القهر والجورا  
طوى السجن أحلامى وشاد لخلمنى قبرا  
وليل الظلم يا ليلى ثقيل يقصم الظهر  
يمزق حبنا كفرا ويذبح ها هنا الشعرا  
يحاكم كل مفخرة يدين الحب والظهرا  
يمالء أى منحرف ويرمى الصادق الحرا  
يحطم كل حنجرة تنادي النائم الفرا<sup>(٣)</sup>

(١) المحرر الوجيز ١/١٤٠.

(٢) سيد قطب الظلال ١/٧٠.

(٣) نجيب الكيلاني / مهاجر مؤسسة الرسالة ص ٥٨.

فالشاعر يوظف هنا دلالة التكرار في المضارع ليدل بها على أن هذه الأفعال الشريرة قد صارت دأبا لأعداء الحب والحرية، وعادة لهم.

### دلالة التكرار في صيغة المبني للمجهول

من الدلالات الفنية لتكرار صيغة المبني للمجهول، ما جاء في كتاب الله تعالى في شأن المنافقين بعد ظهور الإسلام في المدينة، يقول الله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا \* مُلْعُونِينَ أَيْمًا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا ثَقِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦١) حيث وظف تكرر المبني للمجهول (في قوله تعالى: تقفوا - أخذوا - قتلوا) لتعميم الفاعل وهذا بدوره يدلنا على مدى تمكن المسلمين في المدينة بعد انتصار المسلمين فيها على اليهود.

"ومن هذا التهديد الحاسم ندرك مدى قوة المسلمين في المدينة بعد بنى قريظة، ومدى سيطرة الدولة الإسلامية عليها وانزواء المنافقين إلا فيما يدبرونه من كيد خفى، لا يقدر على الظهور، إلا وهم مهددون خائفون"<sup>(١)</sup> تأتي صيغة المبني للمجهول لمعان وأغراض بلاغية أخرى حيث نلمح ذلك في أبيات لأبي الطيب المتنبي قالها في صباحه يهجو به القاضى الذهبى، يقول فيها:-

لما (نسبت) فكنت ابننا لغير أب      ثم (امتنحت) فلم ترجع إلى أدب  
سميت) بالذهبي اليوم تسمية      (مشتقة) من ذهاب العقل لا الذهب  
ملقب) بك ما (لقبت) وبك به      يا أيها اللقب (الملقى) على اللقب

<sup>(٢)</sup>المتنبي هنا في هجائه للقاضى الذهبى قد قصد إلى تحقيره وتجهيله ونزعه من كل نسبة صالحة حتى نسبته إلى أبيه، فهو يريد أن يجعله مجهولا بلا أصل ولا نسب ولا فضل يعزى إليه ومن ثم فقد اختار لذلك صيغة المبني للمجهول ووظف التكرار في تلك الصيغة لتحقيق ذلك المعنى (نسبت - امتنحت - سميت - لقبت) كما وظف أيضا تكرر صيغة اسم المفعول مع ما تحمله من تجهيل الفاعل كذلك لتحقيق ذلك الغرض نفسه وهو قطع المهجو من كل نسبة، وتجهيله التجهيل التام.

(١) سيد قطب الضلال / ٥ / ٢٨٨٠.

(٢) انظر شرح التبيان للمكبرى / ١ / ١٥٤.

ومن الدلالات الفنية للتكرار في صيغة المبني للمجهول أيضا ما جاء في أبيات لحافظ إبراهيم قالها في قصيدة في استقبال اللورد كرومر بعد حادثة دنشواي:-  
أو كلما باح الحزين بأنة أمست إلى معنى التعصب تنسب  
إلى أن قال:-

فى دنشواى وأنت عنا غائب لعب القضاء بنا وعز المهرب  
حسبوا النفوس من الحمام بديلة فتسابقوا فى صيدهن وصوبوا  
نكبوا وأقمرت المنازل بعدهم لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا  
جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا بحبال من شفقوا ولم يتهبوا  
شفقوا ولو منحوا الخيل لأهلوا بلظى سياط الجمالدين ورجبوا<sup>(١)</sup>

نلاحظ أن صيغة المبني للمجهول قد تكررت في هذه القصيدة، في قول حافظ: تنسب - نكبوا - ينكبوا - جلدوا - شفقوا - شفقوا - منحوا وقد كان هذا التكرار دلالات وإيماءات معبرة عن الجؤ النفسى للشاعر الذى استولى الحزن على قلبه من جراء الحادثة المؤلمة، فقد تأثر الشاعر بما حدث لهؤلاء المنكوبين من شق وجلد وأذى، واستولى ذلك على مشاعره، فشخصت صور هؤلاء المشتوقين والمجلودين أمام عينيه فنم ير سواهم، أو لم يطق أن يستحضر صورة هؤلاء الجلادين الشانقين لهؤلاء المظلومين من أبناء قومه المستضعفين، لبشاعة تلك الصورة ودناءتها وخستها، ولما يشعر به استحزارها من الذلة والمهانة التى لا تطيقها النفوس، ولذا فهو يحاول إخفاء صور هؤلاء المجرمين وتناسيها، فضلا عما فى ذلك من تحقيرهم وتجهيلهم.

وهذا شاعر آخر عراقى يلقى قصيدة يطعن بها فى شرعية البرلمان الذى دعت إليه إنجلترا وأشرفت على انتخابه، رغم مقاطعة الشعب لذلك الانتخاب، وذلك أثناء فترة احتلالها للعراق.

يقول الشاعر محمود الملاح فى قصيدة ألقاها فى الحزب الوطنى المعارض:-

(١) من كتاب شعراء الوطنية فى مصر تراجمهم، وشعرهم الوطنى، والمناسبات التى نظموا فيها قصائدهم تأليف عبد

الرحمن الزرافى ط ٣ س ١٩٦٦ الدار القومية للطباعة والنشر ص ١٣٣.

لا أمان في مجلس قائم فوق ضروب التهديد

فيه تقنال للبلاد حياة وتساقي البلاد نحو الخراب<sup>(١)</sup>

ف نجد تكرار صيغة المبني للمجهول كذلك في قوله:

(تغثال - تساق) وهي توحى كما في المثال السابق (المذكور عن حافظ) باهتمام الشاعر بالمفعول به، واستيلائه على فكره ومشاعره مما يغيب الفاعل لديه من دائرة الشعور إلى دائرة هامش الشعور، إما احتقارا لشأنه أو رغبة عن استحضاره أو لأن الفادحة والخطب أعظم من أن يشغل بفاعله، وذلك لحذر الشاعر من وقوع خطر عظيم بغض النظر عن فاعله.

وقد يخرج البناء للمجهول أحيانا إلى معنى التعجب والدهشة من المجهول، وقد يوظف الفعل كخالفة إضاح تعبر عن تلك الدهشة وذلك التعجب، ونستطيع أن نلمح ذلك في قصيدة الشاعر أحمد سويلم يكرر فيها قوله: - أساق إليك، يقول الشاعر:

أساق إليك رغم غشاوة العينين<sup>(٢)</sup>

ورغم تلولب الكلمات في الشفتين

.....

أساق إليك

أشرب صوتك الهدار

.....

أساق إليك.. رغم تباعد الخطوة

وإني رغم آلامى.. وأوهامى.. وليل الدرب

أساق إليك.. رغم غشاوة العينين

.....

أساق إليك.. رغم غشاوة العينين

(١) نقلا عن الشعر العراقي الحديث، وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه د/ يوسف عز الدين الدار القومية للطباعة

والنشر ص ٢٠٨ نقلا عن جريدة الجهاد العدد ٢٤٠ الصادر في ٢٥ آب س ١٩٣٠.

(٢) شعر أحمد سويلم/ الطريق والقلب الحائر قصيدة معارك الرخام/ دار الكاتب العربي ص ٦٥-٦٩.

فالشاعر هنا وإن كرر الفعل المبني للمجهول بنفس مادته المعجمية ودلالته اللفظية، فإن المقصود من تكراره ليس مجرد الدلالة المعجمية بل قد وظف الشاعر كذلك دلالة الصيغة لإضفاء معنى العجب والدهشة من المجهول الذي يسوقه إلى هذه الحبيبة، ويستخدم الصيغة أداة للإفصاح عن تلك الدهشة بفرض استعطاف حبيبته، وبثها أشواقه العجيبة نحوها.

### دلالة التكرار في صيغة اسم الفاعل

#### دلالة اسم الفاعل لها سمات فريدة تميز بها بين الصيغ.

ويرجع ذلك في رأيي إلى ما يميز هذه الصيغة من جمعها بين سمات كل من الاسم والفعل معاً؛ ففي التقسيم القديم للنحاة لأقسام الكلم نجد أن البصريين يصنفونها في قسم الأسماء؛ بينما يصنفه الكوفيون في قسم الأفعال؛ حيث يقسمون الفعل إلى ماضى ومضارع دائم، ويمنون بالدائم صيغة اسم الفاعل<sup>(١)</sup> الأمر الذى جعل ذلك مشار جندل كبير في الدراسات اللغوية القديمة وبلغ غايته في الدراسات الحديثة والمعاصرة؛ حيث اعترضت العديد من الدراسات على هذا التصنيف. فالبعض يجعلها من قبيل الأفعال، والبعض يخصها بقسم خاص بها وبنظائرها كاسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة؛ فيميز ذلك كله بمصطلح الصفة<sup>(٢)</sup>.

وقد ترتب على تلك الطبيعة المزدوجة لاسم الفاعل أن صار مشتركا بين الدلالة على الثبوت من جهة النظر إليه كاسم في مقابل الفعل الدال على التجدد، وهذا ما ألتنا إليه فيما سبق عرضه من أمثلة اسم الفاعل في مبحث الاختيار والعدول، وذلك من نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِئْتَلَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٥) وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَّدتُّمْ﴾ (الكافرون: ٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف: ٧٣) وهو ما نلمحه أيضا في تعبير القرآن الكريم في قصة أصحاب الكهف عما خيم على الكهف من سكون وثبات وجمود دائم مصورا

(١) انظر الزجاجي مجلس النحويين ص ٢٤٩، والفراء معاني القرآن ١/٤٥-١٦٥، د/ إبراهيم السامرائي- الفعل زمانه وأبنته ص ١٩.

(٢) انظر على سبيل المثال د/ شام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ص ٦٨-١٠٠، د/ فاضل الساقى- أقسام الكلام العربى ص ٢١٤-٢٤٣، د/ إبراهيم السامرائي الفعل زمانه وأبنته ص ٤١، مالك المطليبي- الزمن واللغة ص ٤٦-٥٤، المخزومي- في النحو العربى ص ١٣٩.

ذلك بصيغة اسم الفاعل في هيئة كلبهم بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِأَسْطٍ ذِرَاعَيْهِ﴾ (الكهف: ١٨) فحينما ننظر إلى اسم الفاعل (بأسط) في مقابل البدليل الآخر المتاح في هذا السياق وهو (بيسط) نجد أن اسم الفاعل من حيث كونه اسما يتميز عن الفعل في هذا الموضع في الدلالة على إثبات والجمود<sup>(١)</sup> فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ها هنا، وأن قولنا: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِأَسْطٍ ذِرَاعَيْهِ﴾ لا يؤدي الغرض. وليس ذلك إلا أن الفعل يقتضى مزاوله الصفة وتجدها في الوقت، ويقتضى الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاوله وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئا فشيئا...<sup>(٢)</sup>

وأما إذا نظرنا إلى اسم الفاعل من جهة ما يتضمنه من الفعلية وجريانه مجرى الفعل<sup>(٣)</sup> خاصة إذا ما قورن بدلالة الصفة المشبهة التي تدل على الثبات واللزوم أكثر منه وبصورة صارمة لا اختلاف فيها - أقول: إذا ما نظر إليه من هذه الجهة فحينئذ تظهر له دلالاته الفعلية وهي دلالاته على الحدوث والتجدد.

ويمكن أن يقال إن محور المقارنة بين المضارع واسم الفاعل هو دلالة كل منهما على الحدث.

وأن محور المقارنة بين اسم الفاعل والصفة المشبهة هو الدلالة على الوصف الذى يكون ثابتا في الصفة المشبهة وغير ثابت أو لازم في اسم الفاعل.

ومن ثم يقارن كل من الزمخشري والطيبى بينه وبين الصفة المشبهة معللا سر العدول عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٤) قال الزمخشري: "(عمين) عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ (عامين) ، والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث"<sup>(٤)</sup> ويوضح الطيبى ذلك وبعلمه بقوله: ط لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت ولأن اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت"<sup>(٥)</sup> ومن ثم يحدد د/ تمام حسان دلالة اسم الفاعل بقوله " صفة الفاعل تدل على وصف الفاعل

(١) عبد الفاهر الجرجاني - تحقيق / محمود شاكر ص ١٧٥.

(٢) انظر سيبويه قال سيبويه " وفاعل مثل بفعل " الكتاب ١/ ١٠٩، وانظر ١١٠/ ١-١١٧.

(٣) الكشاف ٢/ ٦٨.

(٤) فروح النيب للطيبى تحقيق د/ جميل الحسين الممود ١/ ٥٧٥.

بالحدث منقطعاً متجدداً<sup>(١)</sup> وقد ذهب إلى ذلك باحثون آخرون من المعاصرين<sup>(٢)</sup> وقد أحببت الإشارة هنا إلى بيان تلك الدلالة المزدوجة لاسم الفاعل؛ وذلك لحاجتنا للبناء عليها في الأمثلة التي نعرضها سواء في هذا الفصل أو في الفصل التالي الخاص بالتماذج الكلية. ثمة نماذج بليغة لتكرار اسم الفاعل، جاء التكرار فيها لنكتة فنية أو غرض بلاغي، مع ما يحققه تكرار اسم الفاعل من المطابقة الفنية الناشئة عن توافق الإيقاع الصرفي.

فمن النماذج البليغة التي كرر فيها اسم الفاعل، قصيدة للبيد يرثى فيها أخاه بقول فيها:  
 بلينا وما تبلى النجوم (الطوالع) وتبقى الجبال بعدنا و (المصانع)  
 وقد كنت في أكتاف جار مضنة وفارقتي جار بأربد (نافع)  
 فلا جزع إن فرق الدهر بيننا وكل فتى يوم ما به الدهر (فاجع)  
 فلا أنا بأتني طريف بفرحة ولا أنا مما أحدث الدهر (جازع)  
 وما الناس إلا كالديار وأهلها وبها يوم حلوما وغدوا بلاقع  
 وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو (ساطع)  
 وما البر إلا مضمرات من التقى وما المال إلا معمرات ودائع  
 وما المال والأهلون إلا ودعة ولا بد يوماً أن ترد الودائع  
 ويمضون أرسالا وتغلف بعدهم كما ضم أخرى (التاليات) المشايخ  
 وما الناس إلا (عاملان) (فاعمل) يتبر ما ينسى، وآخر (رافع)  
 فمنهم سعيد (أخذ) لنصيبه ومنهم شقى بالمعيشة (قانع)  
 أليس ورائي، إن تراخت مني لزوم العصا تحنى عليه الأصابع  
 أخير آبار القرون التي مضت أدب كأنى كلما قمت (راكع)  
 فأصبحت مثل السيف غير جفنه تقادم عهد القين والنصل (قاطع)  
 فلا تبعدن إن المنية موعد عليك (فدان) للطلوع و (طالع)

(١) اللغة العربية ص ٩٩.

(٢) انظر د/ فاضل السائق - أقسام الكلام العربي ص ٢٢١، مهدي المخرومي - في النحو العربي - بيروت ص ١٩٦٤



(أعاذل) ما يدريك، إلا تظنيا  
 إذا ارتحل الفتيان من هو (راجع)  
 تبكى على إثر الشباب الذى مضى  
 ألا إن أصدقاء الشباب الرعاع  
 أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى  
 وأى كريم لم تصبه (القوارع)  
 لعمرك ما تدرى (الضوارب) بالحصى  
 ولا (زاجرات) الطير ما الله (صانع)  
 سلوهن إن كذبتمنى متى الفتى  
 بذوق المنايا أو متى الغيث (واقع)<sup>(١)</sup>

يوظف هنا لبيد صيغة الفاعل للدلالة على الحقائق والصفات الثابتة من سنن الكون  
 فالناس تبلى والنجوم ثابتة فى طلوعها والدهر يجمع كل إنسان فى أحيائه وأقاربه فما هم  
 عنده إلا ودائع ( وكل فتى يوما به الدهر فاجع) المنايا تقع لا تتخلف (فالنية موعده عليك  
 فدان للطلوع وضائع)، والسنن الثابتة من صفات الناس وأحوالهم:

وما الناس إلا (عاملان): (فاعمل) يتبر ما ينسى وآخر (رافع)

فمنهم سعيد (أخذ) لنصيبه ومنهم شقى بالمعيشة (قانع)

ويستوقفنا هنا عدول لبيد عن اسم الفاعل فى (يتبر) حيث عبر عن فعل المفسد الذى  
 يتبر عمله بالمضارع الدال على التجدد، فكلما بنى تبر ما بناه، بينما عبر عن الصالح المحسن  
 باسم الفاعل الدال على ثبوته فى رفعة وتقدمه فيها.

وكذلك التعبير باسم الفاعل فى (راجع) كأن الركوع والانحناء قد صار هيئة للمرء عند  
 مشيه.

كما يوظفها بمعنى الثبوت نغياً (ولا أنا مما أحدث الدهر جازع).

كما يوظف دلالاته المنتفية فى قوله (ما يدريك من هو راجع) وفى رأى لو قال (يرجع)  
 لكان أولى، لأن نفى مجرد الحدث، بنفى ثبوته بالأولى.

كذلك فقد وظف اسم الفاعل لثبوت الصفة مستقبلاً كما فى (لعمرك ما تدرى.. ما الله  
 صانع)، (متى الغيث واقع)

وذلك أيضاً فى إطار توظيف اسم الفاعل للتعبير عن السنن الثابتة ومنها ثبوت علم  
 الغيب لله تعالى وحده.

(١) شرح ديوان لبيد ص ٨٠ - تقديم وشرح إبراهيم جزينى - دار القاموس - بيروت.

وبهذا نستطيع أن نعد (صيغة اسم الفاعل) بهذا التكرار الوظيفي لها مفتاحاً لفكرة الشاعر المسيطرة على نفسه، والتي جاش بها ضميره ووجدانه، فراح بصوغها شعراً يسلى به نفسه عن فقدان أخيه الذي ثبت نفعه له (ففارقتي جار باريد (نافع) فدارت قصيدته حول تلك الحوادث والفواجع التي هي دأب هذا الدهر وديدنه شأنها في ذلك كشأن غيرها من الحقائق الثابتة، فالحقيقة الثابتة التي لا مراء فيها في هذا الكون هي أن (كل فتى يوماً به الدهر فاجع) وفي ذلك أعظم العزاء له عن فقد أخيه.

وتكاد تظهر دلالة اسم الفاعل بصورة أوضح من ذلك في أغراض آخر كالفخر والمدح ولناخذ مثلاً على ذلك من الفخر تكرار اسم الفاعل في معلقة عمرو بن كلثوم: في قوله:

وقد علم القبائل من معد      قبائلي بأبطحها بنينا  
 بأننا المطعمون إذا قدرنا      وأنا المهلكون إذا اهتلنا  
 وأنا المانعون لما أردنا      وأنا النسازلون بحيث شينا  
 وأنا العاركون إذا سخطنا      وأنا الأخذون إذا رضينا  
 وأنا العاصمون إذا أظفنا      وأنا العارفون إذا عصينا<sup>(١)</sup>

نلاحظ أن اسم الفاعل قد وظف هنا توظيفاً فنياً مطابقاً للغرض الذي سبقت لأجله القصيدة، فالقصيدة يغلب عليها الفخر.

" ويظهر واضحاً من شعر الفخر أن العربي في الجاهلية كان يجب أن يظهر نفسه بمظهر التفوق التام على الآخرين. وأن يشاع عنه أنه أعلى شأنًا من غيره في كل شيء. ويتضح من فخرهم أن الميل إلى الإعجاب الشديد بالنفس كان متسلطاً على العرب في الجاهلية لدرجة عظيمة، حتى إن الشاعر في بعض الأحيان كان يفخر بتفوق فرعه على بقية فروع قبيلته الآخرين أن يصلوا إليه وأظهر مثل لذلك قول عمرو بن كلثوم<sup>(٢)</sup>.

ولما كان اسم الفاعل يعبر عن ثبوت الصفة مع ما فيه من دلالة على تجدد تلك الصفة؛ لذا عبر عمرو بن كلثوم عن أصالة تلك الصفات في قومه ودوامها وتجدها بتجدد

(١) انظر المعلقات السبع بشرح الزورني ص ١٠٨.

(٢) انظر د/ على الجندي في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤١١ مكتبة الشباب.

مقتضياتها، عبر عن ذلك كله بصيغة اسم الفاعل، وقد ساعدته على ذلك الغرض أتم المساعدة، حتى كأنه أراد أن يجعل من نفسه وقومه الفاعلين وحدهم في تلك البيئة الجاهلية، وأصحاب الإرادة الوحيدة فيها، وليس من الصيغ ما يدل على ذلك كما يدل عليه اسم الفاعل.

فضلا عن الإيقاع الناشئ من تكرار تلك الصيغة في كل شطر من تلك الأبيات. وكذلك لا يقل توظيف دلالة اسم الفاعل في غرض المدح في الشعر الحديث عنه في غرض الفخر في معلقة عمرو بن كلثوم ولنتأمل على سبيل المثال أبياتا للشاعر على الجندی يصف فيها أبطال بور سعيد ويمدحهم بشجاعتهم وبسالتهم في القتال فيقول:

الصابرين على البلاء نفوسهم والأرض راجفة الحشا مذعار  
 الشارين دم العدو حموة حتى كأن دم العدو عقار  
 الكاتين فخارهم بدماهم حتى كأن دماهم أبحار  
 العاكفين هوى على نار الوغى حتى كأن بجوسها حضار  
 الماخنين ظبا السيوف صدورهم حتى كأن ظبا السيوف صدار<sup>(١)</sup>

فالكلمات: (الصابرين، الشارين، الكاتين، العاكفين، الماخنين) كلها على صيغة واحدة ووزن واحد، حيث جاءت اسم فاعل مجموعا جمع مذكر سالم منتهية جميعا بالياء والنون. فدلّت بمعناها على ثبات هذه الصفات في أبطال بور سعيد كما أحدثت تناسقا في الموسيقى الشعرية نشأ عن ذلك الإيقاع الصرفي الناتج من تكرار صيغة الفاعل في تلك الأبيات مع مطابقة المعنى وموافقته.

ومن ذلك أيضا قوله بنصح المدخنات الحسان:

تلك الثغور الزاريات على ندى الأفحوان  
 الروايات من الرحيق المثريات من الجمان  
 الساليات عمان ما ذخرته عبقر في عمان  
 الضاحكات عن البروق خطفن في السحب الدواني  
 الناطقات اللفظ مهموسا كوسوسة المثاني

(١) انظر على الجندی - ترانيم الليل ص ٤٤ - ديوان شعر / دار المعارف ١٩٦٤ م.

خلقت لتشققنا أريج المسك لا ربح الدخان<sup>(١)</sup>

فتكرار كلمة (الزاريات الراويات السالبات الضاحكات اناطقات) ساعد على تناسق الموسيقى مع الجو الشعري الشائع فى القصيدة. كما أن تكرار هذه الصيغة (صيغة اسم الفاعل) دل على رسوخ هذه الصفات لديهم، وثباتهم عليها<sup>(٢)</sup> ونستطيع أن نقول إن الشاعر قد وظف دلالة اسم الفاعل هنا للخروج بها إلى نوع من المفارقة المنفرة عن صفة التدخين الذميمة، حيث يقابل بين صفات الحسن الثابتة بأصل الفطرة للنساء (مقررا ذلك اثبوت بدلالة اسم الفاعل) ويقابلها بتلك الصفة الذميمة التى لا يليق ثبوتها لمن.

ومن الأمثلة التى وظف فيها اسم الفاعل توظيفا فنيا أبيات لأبى دومة بقول فيها:

واقف بالباب يا حراس محبوبى

واقف بالشارع المهجور يا حراس محبوبى

واقف أتكف الزوار

الغرباء اقرؤهم تحية أعين البسطاء

يا حجاب محبوبى

واقف والراس يحطمه انبعاث

عجائب الهفوات يا حراس محبوبى

واقف والأرض

واقف والناس

واقف والدم

واقف والخوف

أبها الأحباب

الدهر لن يلى .. والذل لن يبنى .. ويظل محبوبى<sup>(٣)</sup>

فالشاعر هنا قد زاد على توظيف اسم الفاعل بدلالته النمطية أو الإفرادية الدالة على الثبوت والتجدد، فهى وإن وظفها هنا بمعنى الثبوت، فإنه قد زاد عن هذه الدلالة وخرج

(١) انظر على الجندى- ألحان الأصل- ديوان شعر/ دار الفكر العربى س ١٩٥٠م.

(٢) انظر عبد الرحمن الشناوى شعر على الجندى ماجستير مخطوط بكلية دار العلوم رقم ٥٦٦ أسلوبه وفنية ص ٥٨٦.

(٣) انظر البنات الأسلوبية ص ١٥٨، ١٥٩، شعر محمد أبو دومة السلف فى أنهار الظلمة ص ٩٨ أمثلة المصرية العامة

للكتاب.

بالتكرار إلى دلالة أخرى من الدلالات الفنية والتركيبية التي يوحى بها هذا السياق، حيث وظف الصيغة بمعنى الإفصاح عن موقف داخلي لديه في تعلقه بمحبوبه الأزل ومن ثم فالصيغة معادل لحالات انفعالية مصاحبة لمواقف جزئية متنوعة الارتباط بالحركة في صورة الباب والارتباط بالذاكرة في صورة الشارع المهجور والارتباط باليقظة في صورة استقبال الزوار الغرباء، والارتباط بالذاكرة في صورة تذكر عجائب الهفوات.. الخ

ولأن العلاقة بين الشاعر والأشياء أصبحت على هذه الدرجة من التوتر الذي يصل إلى حد الهوس، فقد صارت في صورة واحدة هي صورة (اسم الفاعل المكرر)<sup>(١)</sup> ومن ثم فقد وقفنا هنا أمام التكرار في تلك الصيغة لأنها وإن كررت بنفس دلالتها المعجمية أو اللفظية على حد تعبير ابن جني في خصائصه<sup>(٢)</sup>؛ فإن ما تم توظيفه فعلا والاتكاء عليه من الناحية الفنية هو الصيغة نفسها بما لها من سمات صوتية خاصة، جعلتها تستخدم في هذا الموضع بدلالة قريبة من دلالة الخالفة.

وقد يكون المقصد الأعظم من توظيف تكرار الصيغة هو الإفادة من الإيقاع الصرفي الناشء عن ذلك التكرار.

وهذا النوع منه ما هو حسن مطابق للمعنى غير مخالف له، ومنه ما هو سمج متكلف.

فمثال الأول تكرار اسم الفاعل في قصيدة للمتنبي مطلعها:

إلام طماعية العاذل ولا أرى في الحب للعاقل  
يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل  
وانسى لأعشق من أجلكم نحول وكل امرئ ناحل  
ولو زلتم ثم لم أبككم بكيث على حبى الزائل<sup>(٣)</sup>

وتقع القصيدة في اثنين وخمسين بيتا اتفق مجيء القافية فيها جميعا على اسم الفاعل، فضلا عن التصريح باسم الفاعل كذلك في بيتها الأول.

وقد كان لتكرار اسم الفاعل في قافية القصيدة أثره الواضح في تحسين الإيقاع.

(١) د/ مصطفى السعدني البيات الأسلوبية ص ١٥٩.

(٢) الخصائص ٩٨/٣.

(٣) البيان للمكبرى ٤١٠، ٣١/٢.

ومثل هذا التوظيف الفني للإيقاع الناشيء من تكرار اسم الفاعل في قصيدة لصلاح  
عبد الصبور عنوانها: منحدر الثلج، يقول فيها:

أعاتبه الخطو وقلبي يمن على رنة الخطوة العاتية  
لكم أشتهي أن أعض التلال وأترس القمة العاليه  
وأمرح بين السنا والضباب وأحبو في حنية الزاويه  
وأخلد للثائر المطمئن وأستنشق الباقية الغاليه<sup>(١)</sup>

أما مثال الإيقاع المتكلف، فمن ذلك فيما أرى قصيدة للدكتور/ يوسف خليف بعنوان  
(أصداء الضفاف) غلب على قافيتها تكرار اسم الفاعل كذلك، ولكن يشعر القارئ في  
رأيه بالتكلف في إيراد قافيتها على اسم الفاعل في عدد من المواضع فمن ذلك قوله:

ووقفت أذكر كيف قالت: في غد

ألقاك في فتن الأصيل الزاخر

فإن القارئ يكاد يشعر بثقل هذا الأصيل الزاخر، ويقف مستبهما معنى الزاخر في ذلك  
الأصيل ولذا فأغلب الظن أن الشاعر ما أتى باسم الفاعل هنا إلا متكلفاً لأجل القافية.  
كذلك قوله:

أسقيت نشوتها فهمت كأنني

ثل بكأس من سلافة عاصر

والسلافة هي أول ما يعصر من الخمر<sup>(٢)</sup> ومن ثم فقوله (عاصر) بعد سلافة لا جدوى  
له، لأنه معلوم من اسمها، كما أنني لا أرى له قيمة فنية وظفها الشاعر لأجلها.  
وكذلك قوله:

أشرقت في جنباتها فملأتها نورا تدفق كالصباح الشامل

فقوله (الشامل) في صفة الصباح لا جدوى له كذلك فالصباح لا بد أن يكون شاملاً.  
وكذلك قوله:

وعلت بنا فوق الضياء، وطالما عشنا بأطراف المغيب الآفل

فقوله (الآفل) في صفة المغيب، لا جدوى له كذلك إذ لا يكون المغيب إلا آفلاً.

(١) انظر ديوان الناس في بلادى ص ١٢٠ / دار الآداب بيروت.

(٢) انظر لسان العرب (سلف).

كما نستشعر كذلك بركاكة اسم الفاعل فى قوله:

وتدفقت حولى بناييع السنا فانسبت فى نور الغدير الجائل

وقوله:

حتى إذا احترق الجناح ورفرفت خفقاته قبل السكون الهامد

التكرار فى صيغ المبالغة تكرر صيغة (فَعَلَةٌ):<sup>(١)</sup>

ومن أمثلتها ما ورد فى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ \* الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ \*  
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ \* كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ \* نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ \*  
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْإِنْفِيدَةِ \* إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ \* فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ (الهمزة).

قال الزمخشري "الهمزة: الكسر كالهزم، واللمز: الطعن.. والمراد الكسر من أعراض  
الناس والغض منهم واغتيالهم والطعن فيهم، وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد  
ضرى بها، ونحوهما اللعنة والضحكة، قال:

وإن أغيب فأنت الهامز للهمزة"<sup>(٢)</sup>

وقال ابن المنير فى تعليقه على كلام الزمخشري "ما أحسن مقابلة الهمزة للهمزة بالحطمة؛  
فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه وتمكنة منه أتبع المبالغة  
بوعيده بالنار التى سماها بالحطمة لما يلقى فيها، وسلك فى تعيينها صيغة مبالغة على وزن  
الصيغة التى ضمنه الذنب حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزء، فهذا الذى ضرى بالذنب  
جزأؤه هذه الحطمة التى هى ضارية يحطم كل ما يلقى إليها"<sup>(٣)</sup>

ومن ثم نلاحظ أن السورة قد وظفت صيغة المبالغة (فعلة) هنا توظيفاً فنياً رائعاً، يعتمد  
على التوازى الصرفى بين تكرر صيغة فعلة فى وصف هذا الأثم، وتكرار هذه الصيغة  
كذلك فى وصف الجزء الذى أعد له مقابل بغيه وأشره وبطره وغلوه فى الشر وتماديه فيه،  
وقد أدى ذلك إلى مؤاخاة بين المبانى والمعانى على هذا النحو من التناسق الفنى البديع.

(١) هى صيغة غير قياسية قليلة الوجود. انظر البحر المحيط ٥٤١/١٠ ط دار الفكر، وانظر د/ محمود باقوت - الصرف  
التعليمى ص ١١٥.

(٢) الكشاف ومعه حاشية ابن المنير ٢٣٢/٤، وانظر أبو السعود ط دار الفكر ٩٠١/٥، والبضايى بمحاشية الشهاب دار  
صادر ٣٩٦/٨.

(٣) حاشية ابن المنير على الكشاف - السابق.

## تكرار الصفة المشبهة

تأتى الصفة المشبهة لإفادة ثبوت الصفة للموصوف بها، وقد يوظف المبدع تكرار الصيغة للإخاح على هذا الإثبات للصفة، مع ما يحدته تكرار الصيغة من الإيقاع. ومن أمثله أبيات لنشاعر على الجندى برئى فيها أحد أصدقائه بقول فيها:

إن هذا الضئيل قد كان ملء العقل ملء السم، ملء العيان  
إن هذا القليل قد كان منه مرجى انتصاره ضيفمان  
إن هذا الهزيل قد كان ضخما فى الحجاج، والذكاء والعرفان  
إن هذا النحيل قد كان أمضى عزمات من الحسام الإمان<sup>(١)</sup>

فالشاعر هنا كرر الصفة المشبهة للإخاح على إثبات صفة التحافة للمرثى، ولكنه بيث له فى الوقت نفسه صفات لا يقوم بها إلا أشداء العزيمة الأقوياء، فهو يوظف هذا الإثبات المتكرر للصفة لعقد نوع من المقابلة التى يبالغ بها فى إثبات صفة القوة والعزيمة لصديقه المرثى مع ما بالغ فيه من إثبات صفة النحول والتخافة لهذا المرثى.

هذا فضلاً عن تناسب الإيقاع الناشئ من ذلك التكرار الصيغى، مما أدى إلى إحداث نون من التحسين المطابق.

## تكرار اسم التفضيل

من الأغراض التى يوجد فيها تكرار اسم التفضيل غرض المدح، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة للمتنبى قالها فى صباح فى مدح محمد بن عبد الله العلوى المشطب، بقول فيها:

خير قريبش أباً وأجدها أكثرها نائلاً وأجودها  
أطعنها بالقنائة أضربها بالسيف جججاجها مسودها<sup>(٢)</sup>  
أفرسها فارساً وأطولها باعاً ومغوارها وسيدها

وعلى هذا النحو يمضى المتنبى فى تكرار صيغة التفضيل فى أغلب القصيدة، موظفاً ذلك فى تفضيل ممدوحه عنى ما سواه، وقد أجاد توظيف التكرار فى تعدد خصال المجد لممدوحه، وبيان أنه قد بلغ الغاية فى تلك الخصال جميعاً.

(١) انظر على الجندى فى ظلال القمر ديوان ص ١٢٥ مطبعة المدنى القاهرة س ١٩٧٨ م.

(٢) انظر شرح الشبان للميكى ١/٢٠٣، ٢١٦.



## تكرار المزيد من صيغ الأسماء:

من المواضع التي تكرر فيها الاسم المزيد في القرآن لأغراض بلاغية ، ما جاء في سورة الإنسان في قوله تعالى في صفة الأبرار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَمْشُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا • عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا • يُوفُونَ بِالْقَدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا • وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا • إِمَّا يُطْعِمُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَآئِبَرِيدًا مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا تَشْكُرُوا • إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا • فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا • وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا • مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْئِئِ لَآ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا • وَذَائِبَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا تَذَلِيلًا • وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فَضْلِهِ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ • قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا • وَيَسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا • عَيْنًا فِيهَا يُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ (الإنسان ٥-١٨)

يقول د/ عبد الخالق عضيمة: "وهنا ظاهرة تستلفت النظر: الاسم الرباعي المزيد بحرفين، وهو أقصى ما يصل إليه الاسم الرباعي بالزيادة، وإن كان غير مصدر جاء منه ثلاثة الفاظ: (العنكبوت) وكررت في آية واحدة. و(زمهرير) و(قمطير)، والمزيد من الخماسي: (زنجبيل)، (سلسبيل) اجتمعت هذه الألفظ الأربعة في سورة واحدة هي سورة الإنسان. لم اجتمعت ولم تفرق ولم كان اجتماعها في هذه السورة القصيرة دون غيرها من طوال المفصل؟ أنا أقول الله أعلم بأسرار كتابه<sup>(١)</sup>.

وأنا أجتهد رأيي في هذا الموضوع فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان فأقول:

إن الآيات قد جمعت بين هذه الأسماء الأربع المزيدة بما لا مزيد بعدها لتحقيق نوع من المقابلة البديعة بين نفي العذاب الذي لا مزيد عليه بصيغتين لا مزيد عليهما، وإثبات النعيم الذي لا مزيد عليه بصيغتين لا مزيد عليهما.

ومن ثم تتحقق المقابلة بين إنجاء الله تعالى هؤلاء الأبرار من أهوال هذا اليوم الشديد العبوس القمطير وإنجائهم من عذاب الزمهرير "وهو الذي أعده الله تعالى للكفار في الدار

(١) انظر د/ عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/١/ص ١٥ وانظر البحر المحيط والكشاف وعضيمة ص ٣١.

الآخرة<sup>(١)</sup> معبراً عن ذلك بهاتين الصيغتين المزيديتين إلى الغاية وهما القمطرير والزمهرير  
وفى مقابل التعبير عن النجاة من العذاب بهاتين الصيغتين المزيديتين إلى الغاية، يأتي التعبير  
عن تفككه الأبرار بألوان النعيم بهاتين الصيغتين المزيديتين إلى الغاية؛ لتتحقق المطابقة بين  
عذاب لا مزيد عليه أنجاهم الله منه، ونعيم لا مزيد عليه أنعم الله عليهم به.  
ومن ثم نرى كيف أدت تلك الصيغ المزیدة دورها في إبراز صورة النعيم بتلك المفارقة  
العجيبة، فلا غرو إذا في استعمال السورة أطول الصيغ في وصف (أطول صورة قرآنية  
لمشاهد النعيم)<sup>(٢)</sup>

---

(١) انظر لسان العرب مادة زمهر ١٨٦٨/٣.

(٢) الظلال ٣٧٧٨/٦.



## الفصل الثالث

# نماذج كلية

أحب أن أبدأ هنا إلى أن تحليلنا لما نوردته في هذا الفصل من نماذج مبنية على الأسس التي سبق بيانها في الجانب النظرى من البحث، وأعود فأنبه هنا إلى أننا لن نقف في هذه النماذج على جميع ما ورد بها من الصيغ وإنما سوف يقتصر تحليلنا على الصيغ التي تمثل ظاهرة أسلوبية سواء من منظور الاختيار أو العدول أو التكرار.



## النموذج الأول

### الآيات الأولى من سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا • وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا • وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا • فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا • فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا • يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ • تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ • قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ • أَبْصَارُهُمْ تَخِيشَةٌ • يَقُولُونَ أَيُّنَا أَمْرٌ قَدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ • إِذَا كُنَّا عِظَامًا نُخِيرَةٌ • قَالُوا بَلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ • فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ • فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات: ١-١٤)

وقد وقع الخلاف فى معنى هذه الصفات وفى الموصوف بها بين أهل التأويل<sup>(١)</sup> وأغلب الأقوال أنها الملائكة" قال الألوسى: قال ابن مسعود: تنزع الملائكة روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تفرقها فى جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج تخرج تردها فى جسده، وهكذا مرارا فهذا عملها فى الكفار، والنشط الإخراج برفق وسهولة وهو أنسب بالمؤمنين، وكذا السبح ظاهر فى التحرك برفق ولطافة، قال بعض السلف إن الملائكة يسلمون أرواح المؤمنين سلا رقيقا ثم يتركونها حتى تستريح رويدا ثم يستخرجونها برفق ولطف كالذى يسبح فى الماء فإنه يتحرك برفق لئلا يغرق فهم يرفقون فى ذلك الاستخراج لئلا يوصل المؤمن ألم وشدة<sup>(٢)</sup> وهذا يناسب ما تقرر من أن اسم الفاعل إنما يدل على إثبات الصفة مع الدلالة على تجدد تلك الصفة<sup>(٣)</sup>؛ ومن ثم كانت دلالة اسم الفاعل فى النازعات على ثبوت تلك الصفة للملائكة مع تكرار ذلك النزاع منهم على ما فيه من شدة وإيلام بناها الكافر حال نزعه.

(١) انظر الطبرى ١٨/٣٠-١٩.

(٢) انظر الفرطى ١٠/٦٩٨١ ط الزهرا، الألوسى ٢٣/٣٠ ص.

(٣) انظر شرح الأشمونى ١/٣٣٩، اللغة العربية، معناها ومبناها ص ٩٩ د/ فاضل السائى- أقسام الكلام العربى ص

٢٢١، مالك الطللى- الزمن واللغة- ط المغيرة العامة للكتاب- ص ٤٦-٤٧-٦٧-٦٨، وانظر تفصيل الكلام على

دلالة اسم الفاعل فى محبث تكرار اسم الفاعل، فى الفصل السابق.

كما يدل اسم الفاعل فى النشاطات على الترفق فى إخراج روح المؤمن بتركها لإيراحتها ثم إعادة النشاط برفق مرة أخرى إذا صح ما سبق نقل الألوسى له أنفاً عن بعض السلف وكذلك السابجات والسابقات" جوز أن يكون المراد بالسابجات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون فى مضيهم فيسبقون فيه إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية".

ومعلوم أن ذلك السبح وذلك السبق أمور وأحداث تتجدد من الملائكة بتجدد حركتها لتدبير الأمور المؤكدة بها فناسب فى ذلك كله (السبح والسبق والتدبير) أن تثبت تلك الأوصاف كلها للملائكة باسم الفاعل الدال على إثبات الصفة مع التجدد.

أما القول القائل بأن النازعات والنشاطات: الموت ينزع النفوس أو ينشطها، فلا أرى وجهاً لمناسبة وصف الموت باسم الفاعل المجموع جمع مؤنث سالماً، فقاتل ذلك القول - فى أغلب ظنى لم يقصد ذلك، وإنما قصد وصف تلك الحال المعبر عنها بالنزع والنشط بالموت إلا أن يكون قد أراد بالموت المناها، ويستبعد أن توصف المناها بمثل هذه الأوصاف من أنها تفرق فى النزع وتنشط فيه ونحوه فليس ثمة ما يمكن أن تحمل عليه تلك الصفات: النازعات والنشاطات إلا أن تكون النفوس وصفت بأنها نازعات ناشطات أى ذات نزع وذات نشط، وذلك كما يقول ابن جنى فى معنى قوله تعالى: ﴿مَاءٌ دَافِقٌ﴾ (الطارق: ٦) أى ذى دفق" وذلك لأن ذا الدفق يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً<sup>(١)</sup>

قال السدى وجماعة: النازعات: النفوس تنزع بالموت إلى ربها<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس: (النشاطات) النفوس المؤمنة تنشط عند الموت للخروج" أو يكون المقصود بذلك الملائكة النازعات النشاطات هذا على أن المقصود بالنزع والنشط ما يكون عند الموت فأياً ما كان الموصوف بالنازعات والنشاطات النفوس أو الملائكة فالوصف باسم الفاعل مناسب تمام المناسبة لتكرار النزع والنشط حالة الحشجة وتردد الروح فى الصدر إذا بلغت الحلقوم.

وكذلك على القول بأنها النجوم فى نزوعها ونشطها من أفق إلى أفق وسبحها من فلك إلى فلك، وسبق بعضها بعضاً، مما يدل على دوام حركتها وتجددها بتكرار تلك الأفعال منها على الدوام.

(١) انظر الحصاص ١/١٥٢.

(٢) المهرج الوجيز ٥/٤٣٠، وانظر القرطبي ١٠/٦٩٨١.

وكذلك على القول بأنها الخيل في سبحها وسبقها وغير ذلك، أقول: إن هذه الصفات مهما اختلف الموصوف بها فإن دلالة التجدد ملازمة لها، ومن ثم ناسب صوغها على اسم الفاعل على جميع الأقوال، وعلى عموم تلك الصفات.

وكان الأشبه بالصواب ما رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري أن الله تعالى أقسم بالنازعات والناشطات والساجحات والسابقات والمدبرات على العموم، فكل من يتأتى منه هذه الأفعال فهو داخل في القسم<sup>(١)</sup>.

وكان النكتة في التعبير باسم الفاعل مكررا في تلك الآيات هي الإشارة إلى أن هذه الصفات مما يتجدد ويتكرر حدوثه بتعاقب الأيام، وفيها من الآيات والعظات ما يذكر به أولوا الألباب، إذ إن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم من عظام قدرته ففي تلك الصفات وتجدها من النزوع والفرق والنشط وغير ذلك أعظم العبر لمن يتعظ بتقلب الدهر وتعاقب الأيام، أبا كان الموصوف بالنزوع والفرق كما أن في التفكير في صفات السبح والسبق والتدبير وتكرر ذلك وتجده على الدوام أبا كان الموصوف به أعظم الآيات الدالة على قدرة الله تعالى على بعثه وحشره إليه لهاسبته على ما قدم وأخر، وذلك واضح ظاهر من سياق السورة وخاصة الآيات التالية لتلك الآيات، ولنا عندها وقفة كذلك.

ولهذه اللمحة ذاتها ولتلك النكتة فيما نرى جاء تكرار اسم الفاعل كذلك في سورة الرسائل في قوله تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا • فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا • وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا • فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا • فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا • عُذْرًا أَوْ لُذْرًا • إِمَّا تُوعِدُونَ لَوَاقِعَ﴾ (الرسائل: ١-٧) وفيها من الأقوال لأهل التأويل نحو الذي أوردناه في هذه السورة<sup>(٢)</sup> مع تشابه السورتين في السياق والمساق.

وعلى هذا النسق نفسه كذلك مع اتحاد السياق والمساق تطالعنا سورة الذاريات كذلك: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا • فَالْحَابِلَاتِ وَرُوءًا • فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا • فَالْمُسَمَّاتِ أَمْرًا • إِمَّا تُوعِدُونَ لَصَادِقٍ • وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات: ١-٦) وفيها من الأقوال لأهل التأويل

(١) انظر كلامه واختلاف أهل التأويل في هذا الموضوع في تفسيره ج/٣٠ ص ١٨-١٩.

(٢) انظر الطبري ٢٩/ ١٤٠، القرطبي ١٠/ ٦٩٤٥، روح المعاني ٢٩/ ١٦٩، السمر المصون ٦/ ٤٥٣، الكشاف ٤

١١٣، الرازي ١٦/ ٩٥، المهر الوجيز ٥/ ٤١٦، الظلال ٦/ ٣٧٨٩، ٣٧٩١.



نحو ما نجده في سورتي النازعات والمرسلات كذلك<sup>(١)</sup> وعلى هذا النحو أيضا جاءت سورة العاديات على وجازتها<sup>(٢)</sup> ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا • فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا • فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا • فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا • فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا • إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ • وَإِنَّ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدًا • وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ • أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ • وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ • إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ فكان التعبير باسم الفاعل في تلك المواضع جميعا إنما هو بمثابة مفتاح لتعقل والتدبر لتلك المقابلة بين المتغير المدلول عليه باسم الفاعل، والثابت المدلول عليه باليوم الآخر، ليدرك المرء أن نهاية هذا القلب في الكون، ونهاية تلك الحركة وذاك التجدد الدائم إنما هو في ذلك اليوم الآخر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة: ١٢) ومن ثم فقد انتقلت الآيات بعد ذلك إلى تصوير تلك النهاية الثابتة بتوظيف صيغة اسم الفاعل كذلك لإحداث تلك المقابلة بين المتغير والثابت، وعلى هذا النحو جاءت الآيات التالية في سورة النازعات.

وهذه الآيات هي الآيات التالية لآيات القسم السابقة في سورة النازعات، وقد كرر في فصلتها اسم الفاعل كذلك بما يحتاج إلى وقفة منا لتأمل الجانب الفني في ذلك التكرار. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ • تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ • قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ • أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ • يَقُولُونَ أَيُّنَا لَمْرَدٌ وَسُقُوتٌ فِي الْحَافِرَةِ • إِذَا كُنَّا عِظَامًا لَّحِيرَةً • قَالُوا بَلْآئِكَ إِذَا كَرِهَ خَاسِرَةٌ • فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ • فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات: ٦-١٤)

ونلاحظ هنا أن دلالة اسم الفاعل تختلف عن الموضع السابق، فالراجفة رجفة واحدة، من إثر نفخة واحدة ﴿فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ • وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً • فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (الحاقة: ١٣-١٥) والرادفة هي النفخة التالية كذلك، وهي واحدة ومن ثم فلا يظهر في دلالة اسم الفاعل هنا في الموضعين معنى التجدد، وإنما يظهر فيهما معنى الثبوت وذلك كما مثاله في (الحاقة والواقعة والطامة والصاخة والقارعة) وأشباهه.

(١) انظر الطبري ١٦٦/٢٧، القرطبي، الكشاف ٤/٢٦، ٢٧، المهر الوجيز ١٧١/٥، ١٧٢، الدر المنثور ٦/١٨٣، ١٨٤ لظلال ٦/٣٢٧٥، ٣٢٧٥.

(٢) الوصف باسم الفاعل فيها هو على أرحح الأقوال للتحليل العادية في الجهاد في سبيل الله تعالى (انظر على سبيل المثال الطبري ١٦٦/٣٠، الكشاف ٤/٢٢٨).

وكذلك واجفة، وخاشعة، فاضطراب القلوب، وخشوع الأبصار لا ينقطع حتى يتصور فيه معنى التجدد وكذلك الحافرة والناخرة والحاسرة، لا يتصور فى ذلك معنى التجدد، وإنما الأغلب فى ذلك كله معنى النسبة أى ذات حفر، وذات نحر، وذات خسار، وذات وجيف، وخشوع، ورجف، وردف.

وهذا المعنى أى النسبة هو أحد المعانى التى يدل عليها اسم الفاعل مع ما فى تلك النسبة من ثبوت الصفة لصاحبها الموصوف بها كما فى قولهم (لابن وتامر)<sup>(١)</sup> ومن ثم فإن الدلالة الرئيسية لاسم الفاعل فى هذا المقطع إنما هى الدلالة على ثبوت نسبة تلك الأوصاف لليوم الآخر ثبوتاً مؤكداً، يفيد التعبير بصيغة اسم الفاعل المكررة. ومن ثم نستطيع أن نقف على الدور الفنى الذى تقوم به صيغة اسم الفاعل فى تلك الصورة حيث ثم توظيفها على الذى أحسن، لكى تدل تلك الصيغة الواحدة بما جمعت من دلالات التجدد والثبوت على تلك المقابلة المقصودة بين الحياة الدنيا بما تشتمل عليه من تقلب وتغير وتجدد من الحياة والموت، ودوران الفلك، وسبح الخيل وسبقها، ونزع القسى وغير ذلك، وبين مظاهر اليوم الآخر بما فيه من الصفات الثابتة القاطعة لتلك الحركة، والمفنية لها لتنتقل العباد إلى دار خلود بلا موت، سواء لأصحاب الجنة أو أصحاب الجحيم.

ورشة لفتة أخرى لا يسعنا أن نفوتها فى هذا الموضوع، ألا وهى، دور الصيغة فى تغيير الإيقاع السريع الثابت فى هذا المشهد كله مشهد اليوم الآخر<sup>(٢)</sup> وذلك حتى يؤدى ذلك الإيقاع الصرفى أو الصيغى دوره كذلك فى عقد تلك المقابلة بين تقلب الدنيا، وثبات الآخرة.

وإذا كان للإيقاع هذا الدور الفنى فى هذا الموضوع فلا جرم قد قصدت إليه القراءة القرآنية قصداً، فعدلت إلى صيغة اسم الفاعل تحقيقاً لذلك الإيقاع المؤثر، وذلك كما فى (الحافرة) فهى وإن كانت بمعنى ذات حفر، فإنها بمعنى اسم المفعول أى محفورة، لأن ذا الصفة قد يكون فاعلاً وقد يكون مفعولاً كما سبق نقله عن ابن جنى مراراً ومن ثم فقد عدل فيها عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الرازى ١٦/١٧٤، وانظر المحصاى لابن جنى ١/١٥٢.

(٢) الضلال ٦/٣٨١٣.

(٣) انظر الكشاف ٤/١٨١، الأوسى ٣٠ ص ٢٧ والنبر المصرى ٦/٤٢٢.

وكذلك قراءة (أثذا كنا عظاما نخرة) وهي قراءة عامة قراءة الكوفة<sup>(١)</sup> وهي قراءة حمزة وعاصم في رواية أبي بكر وعمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وابن الزبير ومسروق ومجاهد وجماعة سواهم<sup>(٢)</sup> فقد عدل في هذه القراءة عن اسم الفاعل الذى تواتت عليه فواصل السورة فى هذا الموضع؛ والفرض من ذلك العدول - والله أعلم - هو التعبير عن مدى استبعاد الكفار للبعث، وتعجبهم من إحياء الله تعالى لعظامهم بعد أن تنتهى فى البلى والهلاك.

ولذلك قال ابن جرير رحمه الله بعد أن عزا القراءتين إلى أصحابهما: "وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا نخرة بغير ألف بمعنى بالية غير أن رءوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إلى ذلك أن تلحق ناخرة بها لئتنفق هو وسائر رءوس الآيات لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلى حذف الألف منها.

من الظواهر الأسلوبية فى هذه الآيات كذلك تكرار صيغة المصدر (غرقا - نشطا - سبحا - سبقا) ، ومعلوم - حسب ما سبق بيانه فى الجانب النظرى من البحث - أن الاختيار هنا إنما هو بين ذكر تلك الصيغة وحذفها؛ أى أن الاختيار هنا إنما هو بين دلالة الذكر ودلالة الحذف لتلك الصيغ.

والذى نرجحه هنا هو دلالة الذكر؛ وذلك لما أفادته تلك الصيغ من توكيد وبيان للحقيقة والماهية يقتضيه السياق والمقام؛ فالسياق سياق قسم بتلك المخلوقات العظيمة من الملائكة - على الراجح من أقوال المفسرين - أو غيرها، وهو قسم على بعث الله تعالى للناس وهؤلاء الكفار المعاندين من كفار مكة<sup>(٣)</sup> فناسب ذلك أن يقسم سبحانه على ذلك بتلك المخلوقات العظيمة ذات الأفعال العجيبة الدالة على كمال قدرته سبحانه على تدبير أمر الكون كله وعنى إمامة العباد وإحيائهم؛ ومن ثم ناسب ذلك توكيد تلك الأفعال جميعا بتلك المصادر الدالة على أن تلك الأفعال إنما يؤتى بها على الغاية من الكمال والإتقان فيها، والمبالغة فى فعلها؛ فالنازعات تغرق فى النزاع غرقا شديدا، فلا تسلم أى نزع هو، وأى غرق هو فى شدته.

(١) الطبرى ٢٣/٣٠.

(٢) المهر الوجيز ٤٣٢/٥.

(٣) وهذا على أرجح الأقوال أن جواب القسم محذوف، وتقديره (نبتنن بها كفار مكة) ويؤيده سياق السورة وذكر النظام الكبرى والخشر فى آخرها، انظر تفسير الجلالين ص ٧٨٩ ط دار المعرفة - بيروت.

والناشطات إنما تنشط أرواح المؤمنين وتسلسها برفق وإتقان وسرعة شديدة فلا تسلس كذلك عن خفة هذا النشاط وعن سرعته.

والساجحات والسابقات هي الملائكة - على أرجح الأقوال تسبح في الفضاء وتتسابق في تنفيذ ما أمرت به فلا تسلس كذلك عن حقيقة سبحها وحقيقة سبقها فقد بلغ الغاية في ذلك كله.

ومما بلغت النظر كذلك في توظيف الصيغ في تلك الآيات استخدام صيغة المفرد في قوله تعالى ﴿فَالْمُذْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ حيث اختارت السورة الكريمة صيغة المفرد (أمرًا) على (أمورًا) والملائكة إنما تدبر في الحقيقة أمورًا كثيرة لا أمرًا واحدًا.

ولعل النكتة في ذلك - والله تعالى أعلم - أن توحيد المأمور به إنما جاء مفردًا للدلالة على وحدة الأمر، وهو الله سبحانه، ففيها من الدلالة على وحدانيته سبحانه وتفردده بالأمر والنهي ما فيها.

أو يكون ذلك دلالة على وحدة المأمورين في أداء أمره سبحانه وتنفيذه، فهم جميعًا في ذلك بد واحدة، مجتمعون على طاعته سبحانه ﴿كُلُّ لَّهُ قَائِمُونَ﴾. (البقرة: ١١٦)، (الروم: ٢٦)

ويمكن حمل ذلك على مدى قوتهم وسرعتهم في الأداء؛ فتلك الأمور جميعًا في حقهم كأنها أمر واحد لا يلهيهم أمر عن أمر؛ إذ أقدرهم الله على جميع ما كلفهم به ويسرهم له. كما يمكن النظر إليه باعتبار أن تلك الأمور وإن كثرت فهي جميعًا في حقه تعالى كأمر واحد؛ وذلك كقوله تعالى ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَهْتَكُمُ إِلَّا كَفْئُسٍ وَاحِدَةً﴾ (لقمان: ٢٨)

ومن ثم نتبين قيمة هذا الأفراد وفضله على الجمع وما يلقيه من ظلال وإحمايات دلالية في هذا الموضع.

كما بلغت كذلك استخدام النظم القرآني لصيغة المرة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ حيث اختار صيغة المرة زجرة، فضلًا عن توكيدها بلفظ (واحدة) مع دلالتها في نفسها على الوحدة؛ وذلك مبالغة منه سبحانه في الرد على هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث، وبيان أن الأمر جدٌّ هين عليه سبحانه فما هي إلا نفخة واحدة من الملك الموكل بالنفخ في الصور فإذا الخلاق جميعًا قد بعثوا وخرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ليعرضوا على ربهم.

وهكذا نجد أن الصيغ المستخدمة في كل آية من آيات هذا النظم الشريف قد وظفت  
توظيفا رائعا لخدمة الغرض الذي سبقت الآيات لأجله بطريقة تميز الأسلوب القرآني عن  
غيره من أساليب الكلام بتلك البراعة الفائقة في التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة؛ ما يدلنا  
على أن هذا الجانب من الإعجاز القرآني لا يزال بحاجة إلى العديد من الدراسات التي  
تكشف عن أسرارها وتستخرج كنوزه العامرة.

## النموذج الثاني

### قصيدة من سيفيات المتنبي

قال المتنبي:

عذل العواذل حول قلب التائه وهو الأحية منه فى سودائه  
بشكو السلام إلى اللوائسم حره وبصد حين يلمن عن برحائه  
وبمهجتي بما عاذلى الملك الذى أسخطت كل الناس فى إرضائه  
إن كان قد ملك القلوب فإنه ملك الزمان بأرضه وسمائه  
الشمس من حساده، والنصر من قرنائه، والسيف من أسمايه  
أمن الثلاثة من ثلاث خلاله من حسنه وإبائه ومضائه  
مضت الدهور وما أتى بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه  
القلب أعلم بما عذول بدائه وأحق منك بجفنه وبمائه  
فومن أحب لأعصينك فى الهوى قسما به وبجسنه وبهائه  
أحبه وأحب فيه ملامه إن الملامه فيه من أعدائه  
عجب الوشاة من اللحاة وقولهم دع ما نراك ضعفت عن إخفائه  
ما الخلل إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه  
إن المعين على الصبابة بالأسى أولى برحمة ربها وإخائه  
مهلا فإن العذل من أسقامه وترفقا فالسقم من أعضائه  
وهب الملامه فى اللذاذة كالكرى مطرودة بسهاده وبكائه  
لا تعذر المشتاق فى أشواقه حتى يكون حشاك فى أحشائه  
إن القنيل مضرجا بدموعه مثل القنيل مضرجا بدمائه  
والعشق كالمعشوق يعذب قربه للمبتلى وينال من حوبائه  
لو قلت للدنف الحزين فديته مما به لأغرته بهدائه

وقى الأمر هوى العيون فإنه  
 يستأمر البطل الكسى بنظرة  
 لم يدع سامعها إلى أكفائه  
 متصلصلا وأمامه وورائه  
 من للسيف بأن تكون سميّه  
 فنى أصله وفرنده ووفائه  
 طبع الحديد فكان من أجناسه  
 وعلى المطبوع من آباهه

قال المتنبي هذه القصيدة يمدح بها سيف الدولة ويتملقه ويحاول فيها أن يلفت إليه نظر  
 ممدوحه بادعاء حرصه على صحبته والمحبة المفرطة له حتى تعرض من جراء ذلك إلى لوم  
 اللائمين له في محبته لممدوحه، وكأنه يعرض بذلك بممدوحه وبأنه يمدحه ويلازمه دون أن  
 ينال منه الجزاء الكافي على إخلاصه له ومدحه إياه.

ونستطيع أن نلمح اتكاء المتنبي على بعض أنواع من الصيغ- يمكن أن نعدّها كالمفاتيح  
 لفهم هذه القصيدة- حيث حاول توظيف تلك الصيغ للتعبير عن الغرض العام في القصيدة  
 أو عن الفكرة التي سيطرت عليه فيها.

فمن ذلك: كثرة استخدام المتنبي لصيغ الجمع موظفا إياها للتعبير عن الغرض العام  
 المدعى في قصيدته وهو كثرة لوم اللائمين له في حبه المفرط لممدوحه؛ وإن كان يعبر  
 بذلك عما يكتفه في نفسه من عدم استحقاق ممدوحه لتلك المحبة المفرطة أو ذلك الإخلاص  
 الذي يبدو وكأنه نادى على بذله، ويبدو ذلك واضحا حين يقول:

وبمهجتي ما عاذل الملك الذى أسخطت كل الناس فى إرضائه

ولذا فقد أكثر المتنبي من استخدام صيغ الجمع للتعبير عن عواذله ولوامه في محبة سيف  
 الدولة ومن ثم تكررت صيغ الجمع فى قوله: (العواذل- اللوائم- الوشاة- اللحاة)  
 فى البيت الأول والثانى:

عذّل العواذل حول قلب الثالثه وهوى الأحبة منه فى سودائه<sup>(١)</sup>

يشككو الملام إلى اللوائم حره ويصد حين يلمن عن برحائه

(١) ديوانه بشرح المعبرى ١/ص ٣.

آثر الشاعر صيغة الجمع ( العواذل- اللوائم) على المفرد، والغرض من ذلك هو إظهار كثرة لائمه في حب ممدوحه مع ثباته على ذلك الحب، مهما كثر لائموه، ويؤيد ذلك قوله بعده:

وبمهجتي يا عاذلى الملك الذى أسخطت كل الناس فى إرضائه

وقد يظن أن ذلك ليس بمستحسن من المتنبى؛ وذلك لأن اختياره الجمع فى العواذل، وتقريره أنه أسخط كل الناس فى إرضائه ممدوحه، إنما هو مدح لنفسه لا لممدوحه لأن معنى ذلك أن ممدوحه بغض إلى الناس كافة؛ فتكثير العواذل واللائمين له فى ذلك دال على عدم استحقاق ممدوحه محبته إياه لدى هؤلاء اللائمين وهم كل الناس؛ وكفى بذلك ذمًا له.

فإذا أضفت إلى ذلك إشاره لصيغة الماضى- فى قوله ( أسخطت) مما يدل على تحقق وقوع ذلك الإسقاط للناس بمدحه ممدوحه وإرضائه إياه؛ إذا أضفت ذلك إلى ما سبق زاد معنى الذم لذلك الممدوح.

فإذا فسرنا ذلك فى ضوء الملابس النفسية التى سبق الإشارة إليها عند المتنبى- من سخطه الخفى على ممدوحه لعدم إنالته ما كان يؤمله لديه- فإنه يتضح لنا سبب خروج مدحه إلى ما يشبه الهجاء.

وينحو ذلك- يمكن أن يفسر أيضا اختياره لصيغة الجمع فى (الوشاة) و(اللحاة) فى قوله:

عجب الوشاة من اللحاة وقولهم دع ما نراك ضعفت عن إخفائه<sup>(١)</sup>

اختار صيغة الجمع فى (الوشاة اللحاة) وهو مناسب لبيان كثرة لائمه فى حبه مع كثرة الواشين به، وثباته على ذلك الحب رغم كثرة الواشين واللاحين وما يناله منهم. وهذا يدل بطريق خفى على كراهية هؤلاء جميعا لممدوحه الذى كثر كذلك(حساده) و(أعداؤه).

كما يستخدم كذلك صيغ الجمع لبيان كثرة ما ناله فى محبته وإخلاصه له من الأقسام والألام؛ ومن ثم فقد لجأ إلى الجمع فى (أقسامه) (أحشائه) (دموعه) (دمائه)

(٢) شرح التبيان للمكبرى ص ٥.



وهذا كله يكشف عن التجربة الحقيقية للمتنبي، تلك التجربة التي لا يجزئ المتنبي على التصريح بها؛ ولكنه فى الوقت نفسه لا يستطيع أن يكتم ما بنفسه من لوعة الحرمان والأسى وخيبة الآمال، ويظهر ذلك واضحا فى قول الوشاة له:

دع ما تراك ضعفت عن إخفائه

ولذا يختار التعبير بالجمع (من أسقامه) (من أعضائه) على التعبير بالمفرد (سقم) و(عضو) فى قوله:

مهلا فإن العذل من أسقامه وترفقا فالسمع من أعضائه

فجعل العذل واحدا من أسقامه، دون قوله فإن العذل (سقم له) فاختار الجمع على المفرد ليوحي بأن له أسقاما آخر يناها من جراء محبته لممدوحه.

ويزيد من مناسبة الاختيار لصيغة الجمع فى البيت السابق، أن هذا الاختيار يفضى إلى التصريح مع موافقة القافية بغير تكلف، فأدى ذلك إلى تحسين الشكل والمعنى جميعا.

كذلك فقد اختار الاسمى فى وصف العذل على الفعلية فجعله سقما من أسقامه ولم يقل (فإن العذل يسقمه) وذلك ليدل على أن العذل لكثرتة ودوامه قد أورثه السقم على هيئة الصفة الثابتة له.

ويؤيد المتنبي ذلك الغرض الخفى لديه بأساليب شتى، منها:

صيغة الفعل الماضى دالا به على تحقق وقوع تلك المحنة التى يعانىها، وذلك فى مثل قوله:

(أسخطت كل الناس)

(عجب الوشاة)

(ضعفت عن إخفائه)

(إنى دعوتك للنواب) .. الخ

كما يوظف كذلك صيغة المضارع لبيان استمرار ذلك به؛ وذلك كما فى:

(يشكو الملام)

(وبصد) حين (يلمن)

(والعشق كالمعشوق) (بعذب) قربه

(وبئال) من حوبائه

وقد وفق أبو الطيب كذلك فى توظيف عدد من الصيغ- إما عن طريق الاختيار أو العدول أو التكرار، وذلك للتعبير عن معاناته التى يحاول كتمانها، ولكنها تجرد متنفسا تظهر فيه زفرات الشاعر التى يث فيها لوعة الأسمى والحسرة عن طريق تنك الصيغ التى تعطى تلك الدلالة الإيقاعية الحزينة التى عبرت عنها تلك القافية المنتهية بحرف المد وهمزته مع تعزيز الشاعر لها بإضافة تلك الصيغ إلى هاء الغائب لتجاوب الدلالة الإيقاعية فى تلك القافية التى تسمح القصيدة بتلك المسحة الحزينة؛ حيث تبدو القافية فيها وكأنها زفرات حزن متتالية تحملها تلك الأبيات التى يخفى كل منها لوعة خفية لشاعرنا، ونستطيع أن نلمح ذلك فى:

سودائه - برحائه - إرضائه - إخفائه - بكائه - أحشائه - دماه - حوياله - عزائه .. الخ  
 حيث يراوح الشاعر بين استخدامه لصيغة (فعلاء)، وصيغة الجمع (فعلاء) بضم الفاء، و(أفعال)، والمصدر (إفعال)، و(فعال).. الخ؛ وذلك ليحقق الغرض السابق.

يوظف الشاعر كذلك العديد من الصيغ لتحقيق ذلك الغرض السابق ولكن دون شيوع أو تكرار كالصيغ السابقة وذلك كاسم الفاعل(التائه) (عاذلى)، واسم المفعول(مضرجا)، (المبتلى) والصفة المشبهة (الذنف).. الخ.

هذا على مستوى الغرض الحقيقى الذى يحاول الشاعر إخفائه فى قصيدته. أما على مستوى الغرض الظاهر من القصيدة وهو المدح؛ فقد استطاع المتنبي أن يوظف صيغ الجمع كذلك فى إضفاء هالة من التعظيم والتجليل على ممدوحه الذى يصوره وكأنه قد ملك الدنيا كلها روحا ومادة، وملك كل شىء، وذلك حيث يقول:

إن كان قد ملك القلوب فإنه ملك الزمان بأرضه وسماه

ومن ثم فقد وظف صيغ الجمع التالية فى حق ممدوحه على نحو ما بينا فى التحليل انتفىصلى فى قوله: الأعبة- القلوب- قرناه- أسمائه- خلاله- الدهور- النوايب- أكفائه- السيوف- أجناسه- آباه .. الخ.

فقد اختار المتنبي صيغة الجمع (الأعبة) على (الحبيب) لتعظيم ممدوحه.

كما اختار صيغة الجمع فى (القلوب) مما يوحي بكثرة المحبين للممدوح بخلاف المعنى الذى قرره فى الأبيات الثلاثة الأولى مما أحدث تناقضا مع ما قرره فى هذا البيت. وفى قوله: لا تعذر المشتاق فى أشواقه..

قال العكبري: "جمع الشوق وهو مصدر على أشواق؛ وذلك لاختلاف أنواعه"<sup>(١)</sup>  
 فالجمع هنا يوحى بألوان من الشوق والوجد مختلفة تنتاب المشتاق في اشتياقه مع الإجماع  
 بكثرة تلك الأشواق وشدها؛ وهذا مناسب للمبالغة في ادعاء المحبة للممدوح.  
 كذلك فقد أحسن المتنبي في اختيار المفرد في قوله (حتى يكون حشاك في أحشائه)  
 وذلك ليجعله داخلا في أحشاء المشتاق، متغفلا فيه؛ كأنه حشا من أحشائه.  
 فكأنه يقول للآئمه إنك لا تعرف الشوق ولا تعذر المشتاق فيه إلا إذا تغلغت في قلبه،  
 واطلعت على ما فيه من برحاء الشوق

كما حسن كذلك اختيار الجمع في قوله:

الشمس من حساده، والنصر من قرنايه، والسيف من أسمايه

حيث اختار صيغة الجمع على قوله: الشمس حاسدته أو تحسده، وكذلك النصر قرينه  
 والسيف اسم له لمناسبة مقام المدح المقتضى تعظيم محبوبه ووصفه بأن له حسادا كثيرين  
 وذلك لكثرة ما يحسد عليه من الصفات والنعيم مما لا يوحى به (الشمس تحسده أو حاسدته)  
 وكذلك اختار (النصر من قرنايه) بدلا من (النصر قرينه) ليفسح المجال لتصور قرناء آخرين له  
 على شاكلة النصر من الفلاح والنجاح والسعادة والتوفيق وغير ذلك مما يرغب في الاقتران  
 به. وكذلك جعل (السيف من أسمايه) وذلك لتعدد صفات ممدوحه مما يقتضى تعدد أسمايه  
 وهذا كله مناسب لمقام المدح أمم المناسبة.  
 وفي قوله:

مضت الدهور وما أتيت بمثله ولقد أتيت فعجزت عن نظرائه

أراد المتنبي في هذا البيت أن يصف ممدوحه بتفرده على وجه الزمان؛ لأن معنى البيت  
 أن ما مضى من الزمان ما كان فيه مثله فلما جاء في عصره عجز الزمان أن يأتي له  
 بنظير<sup>(٢)</sup> كما آثر اختيار صيغة الجمع (أعداء) على التعبير بالمفرد (عدو) له، وذلك فيما  
 أرى لنكتة هي تكثير أعداء الممدوح، مما يتناسب مقام المدح بالشجاعة والنصر؛ لأن ذلك  
 يكون أبلغ في حق الممدوح كلما كثر أعداؤه.

وقد حسن كذلك جمع (النواب) و(أكفاء) في قوله:

(١) شرح الثيبان للعكبري على ديوان أبي الطيب المتنبي ٦/١.

(٢) شرح الثيبان للعكبري على ديوان أبي الطيب المتنبي ٤/١، دار الطباعة العامرة.

إني دعوتك للنواب دعوة لم يدع سامعها إلى أكفائه  
حيث دل بجمع (النواب) وأكفاء على قوة ممدوحه على رد النواب جميعها.  
وفى قوله:

طبع الحديد فكان من أجناسه وعلى<sup>(١)</sup> المطبوع من آباءه

" يقول الحديد ينزع إلى أجناسه فإن كان جيدا فهو من جنسه الجيد، وإن كان رديئا  
فهو من جنسه الرديء، وهذا الممدوح على يرجع إلى أصله وشرفه وشرف آباءه.  
فالحديد مطبوع من أجناس الحديد كالفولاذ وغيره، وهذا الممدوح إنما هو من جنس  
واحد، جنس طيب شريف، فهو لا نسبة بينه وبين السيوف إلا في الاسمية، لا في الفعل،  
ولا في الخلق ولا في المضاء"<sup>(٢)</sup>

ومن ثم فإن اختيار المتبني لصيغة الجمع (أجناسه) دالة على المعنى المراد، وهو المبالغة في  
وصف ممدوحه وتفضله على السيف بشرف أصله الذي لا يتخلف في أصوله وآباءه، بينما  
تختلف جودة السيف باختلاف أصول أجناسه بين جيد وريء.

أما الجمع في قوله (فمعجزن عن نظرائه) فأرى أن الجمع في (نظرائه) غير مستحسن؛ إذ  
المناسب لمقام المدح أن يبالغ في وصف ممدوحه بالتفرد وانقطاع النظر، فكان الأنسب أن  
يقول عن نظيره ولأن المعجز عن النظرية يقتضى المعجز عن النظراء بطريق أبلغ.

ومن ثم فهو اختيار إبقاعى متكلف لعدم مناسبته للمقام.

كما وظف كذلك صيغة الماضي الدالة على تحقق وقوع الفعل للدلالة على تحقق تلك  
الخصال لممدوحه وثبوتها له، فمن ذلك قوله:

ملك القلوب

ملك الزمان

مضت الدهور

ولقد (أتى) (فمعجزن)

فأتيت من فوق الزمان.. الخ

(١) على: يقصد سيف الدولة: على بن أبي الفجاءة بن حمدان التغلبي.

(٢) العكبري ٨/١.

فقد حسن اختياره لصيغة الماضى (ملك) على غيرها من الصيغ كالاسم مثلا؛ وذلك لأنه  
بصدد إثبات الحدث المستغرب وهو امتلاكه للقلوب؛ لا بصدد ادعاء اتصافه به على  
الدوام؛ لأن وقوع مثل هذا الحدث المستغرب يحتاج إلى إثباته أولا.  
واختار صيغة الماضى على المضارع لإثباته على سبيل التحقيق، وأكد التحقيق بقده،  
وكرر صيغة الماضى فى قوله (ملك الزمان) لإفادة عموم امتلاكه لكل شىء.  
وأرى أنه لو عبر بصيغة افتعل فقال (امتلك) لكان ذلك أتم مناسبة له فى إثبات الملك له  
على وجه الاقتدار.

كما استخدم لذلك أيضا صيغة الماضى (مضت) (فمعجزن) الدالة على الوقوع والتحقيق.  
وأرى أنه كان من الأولى أن يقول: (تمضى الدهور وما يتأين) بالمضارع بدلا من  
الماضى، ولو فعل لأغناه عن قوله فى الشطر الثانى: (ولقد أتى فمعجزن عن نظرائه)؛ وذلك  
أنه أراد أن يستوعب الزمان فأتى بلفظ الماضى ليثبت خلو الزمان من مثله فيما مضى، ثم  
احتاج إلى أن يخبر عن خلوه عن مثله فى الحاضر أيضا فقال: (ولقد أتى .. الخ  
ولو أنه عبر بالمضارع لشمل الزمان ماضيه، وحاضره، ومستقبله؛ وذلك لأن الدلالة  
المعجمية للفعل (تمضى) فى قولنا (تمضى الدهور) تدل على الماضى المستمر والدلالة  
الوظيفية للمضارع تدل على الحال والمستقبل فلو استخدم هذه اللفظة لعبر عن معان أكثر  
بنقظ أقل وأوجز.

ولقد أحسن المتنبي كذلك توظيف صيغة المضارع كما فى قوله: (فو من أحب  
لأعصينك فى الهوى) اختار المضارع على الماضى وهو أجد فى الدلالة على دوام حبه له  
من التعبير بالماضى الذى يقتصر على مجرد إثبات وقوع الحدث.  
وفى قوله (دع ما نراك ضعفت) اختار صيغة الأمر (دع) لتوظيف الأمر لغرض العذل  
واللوم له فى محبته لممدوحه وإخفائه لتلك المحبة.

واختار المضارع (نراك) للدلالة على أن حاله فى حب ممدوحه حال حاضرة مشاهدة.  
كما اختار الماضى (ضعفت) للدلالة على تحقق ضعفه عن كتم تلك المحبة لظهورها عليه  
ولهجه بها.

كما أحسن كذلك توظيف المضارع فى (أود) و(أرى) فى قوله:  
ما الخلل إلا من أود بقلبه.. وذلك للدلالة على تحقق ذلك على الدوام.

وإجمالاً فقد وزع المتنبي الصيغ المتنوعة على الغرضين السابقين - الظاهر والباطن - وإن لم يكن بذلك القدر من الشيوع الذى أشرنا إليه فى الصيغ السابقة التى يمكن أن نعتدها كمفاتيح لفهم القصيدة.

فاختياره لصيغة المصدر (ملامة) فى البيت التالي أجود من (اللوم) لأن الملامة مصدر قد وافق صيغة المرة ومن ثم فهو أولى؛ لأن نفيه لقبول أدنى اللوم دال على عدم قبوله ما هو أكثر منه.

كما حسن اختياره لصيغة المرة (دعوة) ليدل على كرم ممدوحه وسرعة إجابته لمن دعاه أو لجأ إليه فى نوائب الدهر.

وقوله:

لو قلت للدنف الحزين فديته مما به لأغرته بفدائه

بفدائه: أى بفدائك إياه، أضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى ﴿سُؤَالِي نَعَجْتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ أى بسوءاله نعتجتك...، والدنف: الشديد المرض" وعبر بالدنف وهى صفة مشبهة دالة على ثبوت صفة المرض له من شدة الشوق والوجد.

وهو مناسب لحال هذا المحب الدنف الذى يتصف بالشح على محبوبه والخوف أن يحمل أحد محله، فهو على ما فيه لا يسمح لأحد أن يفدّيه مما به من المشقة<sup>(١)</sup> كذلك فقد حسن تعبيره باسم الفاعل فى (التائه) للدلالة على أنه قد استقر حبه له وولفه به وتحير قلبه فى محبته. وفى قوله:

فأنت من فوق الزمان وتحت متصلاً وأمامه وورائه

عبر باسم الفاعل (متصلاً) من الفعل (تصلصل) بما فيه من زيادة مبنى تناسب الدلالة على قوة المعنى المراد، ليدل على مدى قوة ممدوحه، وضجيج بطشه، وقد اختار اسم الفاعل على الفعل ليوحى بثبوت الحدث لممدوحه حتى كأنه صار صفة له. وفى قوله:

إن القتل مضر جاً بدموعه مثل القتل مضر جاً بدمائه<sup>(٢)</sup>

(١) شرح التبيان للمكبرى ٧/١.

(٢) شرح التبيان للمكبرى ٦/١.

عبر باسم المفعول (مضرجا) ليدل على فاعل ضرجه بالدمع كما يضرج القاتل قاتله بالدماء؛ فكأنه لما تسبب في صابته ووجده ودموعه أشبه القاتل يضرج قاتله بالدماء؛ كما أن مجيء اسم المفعول (مضرجا) من الفعل المضعف (ضرج) يدل على كثرة الدمع اللطخ به المشبه بكثرة دم القاتل.

وفى قوله:

والعشق كالمعشوق يعذب قربه للمبتلى وينال من حوباله

اختار التعبير بصيغة المفعول (المبتلى) على اسم الفاعل مثلا (العاشق) ليوحى بأن هذا العشق بلاء مفعول به، فهو قدر نزل به، وهو محل له، لا سبيل إلى دفعه عنه، بخلاف التعبير باسم الفاعل الذى يثبت له فعلا وكسبا ويجعل له فى الأمر مدخلا وسببا.

وفى قوله:

القلب أعلم بما عدول بدائه وأحق منك بجفنه وبمائه

أحسن المتنبي فى التعبير بصيغة التفضيل للدلالة على المعنى المراد فى قوله "أعلم" فلو وضع بدلا منها اسم الفاعل (عالم) لما دل على المراد من الدلالة على مدعى العلم بداء قلبه، والقلب أعلم بدائه من عدوله، كما أن فيها مراعاة للتوازى الصرفى بين (أعلم) و(أحق)

وفى قوله:

وقى الأمر هوى العيون فإنه ما لا يزول ببأسه وسخاله<sup>(١)</sup>

يستأسر البطل الكمى بنظرة ويحول بين فؤاده وعزائه

عبر بصيغة (استفعل) فى قوله (يستأسر) للدلالة على شدة الأسر وقوته والمبالغة فيه، وهذا مناسب لما أراد تصويره من قوة أسر الهوى لأربابه.

ومن خلال ما سبق نستطيع القول بأن المتنبي قد أجاد فى توظيف الصيغ فى هذه القصيدة توظيفا فنيا يوائم الغرض الذى ساق القصيدة لأجله إلى حد كبير.

## النموذج الثالث

قصيدة" رحلة فى الليل" للشاعر صلاح الدين عبد الصبور، فى ديوانه:" الناس فى  
بلادى"

يقول فيها:<sup>(١)</sup> بحر الحداد  
الليل يا صديقتى (بنفضنى) بلا ضمير  
ويطلق الظنون فى فراشى الصغير  
و(يثقل) الفؤاد بالسواد  
ورحلة الضياع فى بحر الحداد  
فحين (يقبل) المساء (يقفر) الطريق.. والظلام محنة الغريب  
(يهب) ثلة الرفاق، فض مجلس السمر  
" إلى اللقاء" وافترقنا (نلتقى) مساء غد  
" الرخ مات فاحترس الشاه مات |  
لم ينجه التدبير، إنى لاعب خطير  
" إلى اللقاء" وافترقنا (نلتقى) مساء غد"  
(أعود) يا صديقتى لمنزلى الصغير  
وفى فراشى الظنون، لم تدع جفنى ينام  
ما زال فى عرض الطريق تائهون (بظلمون)  
ثلاثة أصواتهم (تنداح) فى دومة السكون كأنهم (يكونون)  
" لا شىء فى الدنيا جميل كالنساء فى الشتاء"  
" الخمر (تهتك) السرار"  
و(تفضح) (الإزار)  
والشعار.. والدثار"  
و(بضحكون) ضحكة بلا تخوم..  
و(يقفز) الطريق من نغاء هؤلاء

(١) صلاح عبد الصبور ديوان الناس فى بلادى قصيدة رحلة فى الليل من ٣٧-٣٨ ط دار الآداب بيروت.



٢- أغنية صغيرة

إليك يا صديقتي أغنية صغيرة

عن طائر صغير

في عشه واحده الزغيب

وبلفه الحبيب

يكفيهما من الشراب حسوتا منقار

ومن بيادر الغلال حبتان

وفي ظلام الليل يعقد الجناح صرة من الحنان

على وحيد الزغيب

ذات مساء حط من أعلى السماء أجدل منهوم

ليشرب الدماء

ويعنك الأشلاء والذماء

وحار طائري الصغير برهة ثم انتفض..

معذرة صديقتي.. حكاية حزينة الختام

لأنني حزين..

٣- نزهة الجبل

الطارق المجهول يا صديقتي ملثم شرير

عيناه خنجران مسقيان بالسموم

والتوجه من تحت اللثام وجه يوم

لكن صوته الأجش يشدخ المساء

" إلى المصير!.. والمصير هوة تروع الظنون

وفي لقائنا الأخير يا صديقتي وعدتني بنزهة على الجبل

أريد أن أعيش كى أشم نفحة الجبل

لكن هذا الطارق الشرير فوق بابي الصغير

قد مدّ من أكتافه الغلاظ جذع نخلة عقيم

وموعدى المصير.. والمصير هوة تروع الظنون

فى آخر المساء (يمتلىء) الوساد بالورق

كوجه فأر ميت طلاسـم الخطوط

(ينضح) الجبين بالعرق

و(يلتوى) الدخان أخـطبوط

فى آخر المساء عاد السندباد

(ليرس) السفينة

وفى الصباح(بعقد) الندمان مجلس الندم

(ليسمعوا) حكاية الضياع فى بحر العدم

السندباد: لا تحك للرفيق عن مخاطر الطريق

إن قلت للصاحـى انتشيت قال: كيف؟

(السندباد كالإعصار إن يهدأ يمت ١١)

الندامى: هذا محال سندباد أن(نجوب) فى البلاد!

إننا هنا (نضاجع) النساء

ونفـرس الكروم

ونعصر النبيذ للشـتاء

ونقرأ الكتاب فى الصباح والمساء

وحيـنما(نعود) (نعـدو) نحو مجلس الندم

(تحكى) لنا حكاية الضياع فى بحر العدم

٥- الميلاد الثانى

فى الفجر يا صديقتى تولد نفسى من جديد

كل صباح أحتفى بعـيدها السعيد

ما زلت حيا! فرحتى! ما زلت والكلام والسباب والسعال

وشاطيء البحار ما يزال يقذف الأصداف والآل

والسحب ما تزال تسبح، والمخاض يلجئـه النساء للوساد

ويلعب الأولاد فوق أسطح البيوت

لعبة العريس والعروس، والثبات والنبات  
والورد فى خد البنات  
وعند شط النهر عاشقان سارحان  
لله ما أحلى عيون العاشقين يسمون حين يسمون  
ويقسمون  
بحرمة الشجون  
وباللالي المقلات، وانتفاضة الحنين  
وبالسواد فى العيون  
العهد لن يهون  
صدقتى ا عمى صباحا، هل ذكرت نزهة الجبل؟  
٦- إلى الأبد

"الرخ مات لا ترع فالشاه ما يزال"  
وانشاه بالبيادق التأم"  
"إلى اللقاء" وافترقنا" نلتقى مساء غد"  
لنكمل النزال فوق رقعة السواد والبياض  
وبعد غدا! وبعد غدا!  
سنلتقى إلى الأبد"<sup>(١)</sup>

نستطيع أن نميز فى تلك القصيدة عددا من السمات أو الظواهر الأسلوبية التى تميز بها شعر صلاح عبد الصبور فى هذه القصيدة، وذلك من خلال النظر إلى سمة أسلوبية ظاهرة فى تلك القصيدة هى أشبه شىء بما سبق أن سميناه فى الجانب النظرى من البحث بالصيغ المفاتيح. حيث يعد تكرار صيغة المضارع فى هذه القصيدة هو المفتاح لفهم فكرة الشاعر الأساس فى تلك القصيدة، كما يعد تكرار تلك الصيغة فى الوقت نفسه محورا سياقيا ينظر من خلاله إلى الصيغ فى القصيدة من جهة عدوها عن تلك الصيغة الشائعة إلى غيرها فى بعض السياقات لتحقيق غرض فنى معين يخدم الفكرة فى هذه القصيدة.

(١) صلاح عبد الصبور قصيدة الناس فى بلادى.

من المقرر أن مما يدل عليه المضارع حدوث الفعل في الحال أو تكرار الحدث واستمراره في المستقبل؟ ومن ثم فإن لتكرار تلك الصيغة في نص أدبي دلالات فنية مناسبة لمعنى التكرار والاستمرارية أو معنى الحالية التي تدل عليها تلك الصيغة. وهذا ما نلمحه واضحا في تلك القصيدة.

فالمقاطع الخمسة الأولى من القصيدة تمثل رحلة الليل المتكررة لدى الشاعر والرفاق من حوله، والتي يريد الشاعر أن يعبر فيها عن رحلة الليل الرتيبة المتكررة إلى الأبد بصورتها التي رسمها لنا الشاعر في تصوير معاناته وتصوير ليل الرفاق.

ثم يأتي المقطع السادس من القصيدة "إلى الأبد" ليعبر عن هذا المغزى، وهو تكرار الصور والمشاهد في رحلة الليل، ودوامها على هذه الرتبة إلى الأبد، ولذلك نراه يكرر لنا في هذا المقطع بعض ما ذكره في المقطع الأول من اجتماع الندامى على السمر حول لعبة الشطرنج التي يقضون بها ليلهم في صورة رتيبة متكررة.

يقول الشاعر في هذا المقطع: إنها إذن رحلة الليل المتكررة الليلة غدا وبعد غد وهكذا.. إلى الأبد. وإذا كان هذا هو المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله إلينا فلا شك أن أفضل صيغ الأفعال إعانة له على أداء هذا الغرض هو الفعل المضارع، الذي يمثل الاستمرارية والتكرار، والرتابة، ودوام الحدث في المستقبل القريب والبعيد. فلا غرو أن تكثر صيغ المضارع في تلك القصيدة ليوظف الشاعر دلالة التكرار في تلك الصيغة للدلالة على المعنى الفني المراد توصيله والإيماء به إلينا. وهذا ما يوحي به في رأبي تكرار صيغة المضارع في تلك الأفعال على سبيل المثال:

(ينقضى يطلق بثقل يقبل يقفر يهب نلتقى أعود يظلمون تنداح يكون تهتك تقضح يضحكون يقفر) فهذه هي أهم الأفعال المضارعة في المقطع الأول التي وظفت لإفادة معنى التكرار والإيماء به، في حين نجد على المقابل أن الشاعر حينما أراد أن يعبر عن انتهاء الليلة قد عبر عن ذلك بالفعل الماضى المبني للمجهول في قوله: "قض مجلس السمر" وقد وظف هذا التحول المفاجيء من صيغة المضارع إلى صيغة الماضى المبني للمجهول توظيفا فنيا رائعا كذلك أوحى بالمفاجأة والسرعة، فكانما فجأة قد انتهت الليلة وأشرق الصباح، ومضى الليل مسرعا وجاء نور الصبح مفاجئا للندامى، أو لعله استخدمه وهو الأرجح لدي كالفاصل بين ليلة وأخرى، فكانه يقول هذه رحلة الليل يحدث فيها كذا وكذا، ثم يعلن

انتهاء هذه الليلة، لتبدأ ليلة أخرى تمر على نحو ما مرت الليلة السابقة من تكرار الأحداث والصور والمشاهد.

وقد شاعت صيغ المضارع فى جميع مقاطع القصيدة ليوحى إلينا الشاعر بهذا المعنى، ويبلغ التوظيف الفنى لهذه الصيغ درجة عالية من الجودة فى المقطع الرابع من هذه القصيدة، وهو بعنوان "السندباد" وقد جعل الشاعر هذا المقطع يدور حول عملية الإبداع الشعرى المتكرر فى رحلة الليل وعلاقة الشاعر بشعره من ناحية، وبجماهيره من ناحية أخرى، كل ذلك من خلال بناء شعرى بارع يوظف فيه الشاعر شخصية السندباد البحرى توظيفا فنيا رمزيا، يرمز به إلى رحلته المتكررة فى بحار المعاناة الروحية والنفسية لاقتصاص الومضة الشعرية، وصراعه المتكرر مع الحروف النافرة الجموح المبهمة الملامح من أجل ترويضها حتى تستقيم كلمات شاعرة، وتبلغ هذه المعاناة ذروة توترها فى آخر المساء، ففى هذا الوقت يرخى الشاعر السندباد الشراع لسفينته لتبحر فى بحار العناء والمكابدة، فيمتلىء وساده بالورق الناتج عن المحاولات المتكررة لتطويع الكلمات المبهمة الخطوط كوجه فأر ميت وينضح جبينه بعرق المعاناة والمحاولة المتكررة<sup>(١)</sup> إن الشاعر فى هذا المقطع قد استخدم صيغة المضارع بكثرة ليصور لنا هذا التكرار المضاعف للأحداث من تكرار محاولات الإبداع فى الليلة الواحدة، وتكرار هذه المحاولات كل ليلة، وتكرار مواقف الندامى الكسالى الغارقين فى لذاتهم الحسية دون أدنى رغبة فى بذل أى جهد لمشاركة الشاعر فى معاناته، فهم يريدون أن يحصلوا على ثمار معاناته ويتمتعون بها دون أن يكلفوا أنفسهم أدنى جهد، ودون التخلّى عن شيء من متعهم ولذاتهم الحسية الغارقين فيها

وهذا هو ما يبدو واضحا فى هذا المقطع، فى قول عبد الصبور:

٤- السندباد

فى آخر المساء (يمتلىء) الوساد بالورق

كوجه فأر ميت طلاسّم الخطوط

(ينضح) الجبين بالعرق

و(يلتوى) الدخان أخطبوط

فى آخر المساء عاد السندباد

(١) انظر د/ على عشرى/ فرياد فى شعرا المعاصر ص ٤٣، ٤٢ ط ٢ مكتبة الشباب.

(ليرسي) السفينة

وفى الصباح(بعقد) الندمان مجلس الندم

(ليسمعوا) حكاية الضياع فى بحر العدم

السندباد: لا تحك للرفيق عن مخاطر الطريق

إن قلت للصاحي انتشيت قال: كيف؟

(السندباد كالإعصار إن يهدأ يمت)

الندامي: هذا محال سندباد أن(نجوب) فى البلاد

إنا هنا(نضاجع) النساء

ونغرس الكروم

ونعصر النبيذ للشقاء

ونقرأ الكتاب فى الصباح والمساء

وحنما(تعود) (نعُدو) نحو مجلس الندم

(تحكى) لنا حكاية الضياع فى بحر العدم"<sup>(١)</sup> نلاحظ تكرر صيغة المضارع فى هذا

المقطع كثيرا لتوحى بمعنى تكرر الحدث واستمرارته، وذلك كما فى:

(يمتلئ) ينضح يلتوى يرسي بعقد يسمعوا نجوب نضاجع نغرس نعصر نقرأ تعود نعدو

(تحكى)

كما نلاحظ أن الفعل المضارع فى قول الشاعر:

" السندباد كالإعصار إن يهدأ يمت "

قد وظف بمعنى آخر من معانى المضارع بالإضافة إلى معنى الاستمرارية وهو الحالية فى

الفعلين (يهدأ، ويمت) (فعل الشرط وجوابه) وهما دالان على حدوث الفعل فى الحال أو

المستقبل العاجل وارتباط ذلك وثيق جدا بالمعنى الذى يريد الشاعر إثراءه وهو دوام الحدث

وتكراره واستمرارته، فالسندباد وهو رمز للشاعر الجوال بفكره ومشاعره لا يهدأ أبدا

فمحاولاته الإبداعية متكررة كل ليلة، بل تكررها فى الليلة الواحدة فى مرات عديدة

يمتلئ، منها الوساد بالورق. أما فى قول الندامي:

" هذا محال سندباد أن نجوب فى البلاد "

(١) صلاح عبد الصبور الناس فى بلادى ص ٤١، ٤٠.

فالشاعر هنا ينفى عن الرفاق مشابهته فى تلك المعاناة والصبر على ذلك التجوال والشروء، فهو ينفى عنهم الاستمرارية فيما وصف نفسه بالاستمرارية عليه وهذه محاولة خفية من الشاعر لإبراز تميزه واستعلائه بذاته وأدبه على الندامى والرفاق.

وقد يقطع الشاعر هنا استخدامه لصيغة المضارع متحولاً عنها إلى الماضى لغرض فنى كذلك، وذلك كما فى قوله:

" فى آخر المساء عاد السندباد"

وذلك لأن الفعل عاد" هنا قد أوحى بماضيته المخالفة للمضارع المتكرر قبله بعنصر المفاجأة الناشء من المخالفة المفاجئة للأفعال المضارعة، ولعل هذا يناسب تصوير حالة الإبداع التى تتاب المبدع حيث يهجم الخاطر عليه فجأة.

كما أن اختيار الشاعر هنا لصيغة الماضى لم يقطع فكرة الاستمرارية وتكرر الحدث التى أوحى بها استخدامه المتكرر للمضارع؛ وذلك لأن فكرة التكرار لا تزال موصولة بالدلالة المعجمية للفعل" عاد" التى تدل على العود والتكرار والاستمرارية.

وبهذا نجد أن الشاعر قد وظف التكرار فى الفعل المضارع فى هذا المقطع ليخرج به إلى معنى التكرارية فى معاناته اليومية فى رحلة الإبداع والكفاح الأدبى الشريف الثائر فى وجه الفساد الحائل دون صفو الحياة، كما يعبر فى الوقت نفسه عن الرتابة والملل التى تتاب الشاعر من تكرار واقع بغيض منفر، يتمثل فى حال الرفاق، وما هم عليه من استسلام لنزواتهم معرضين تمام الإعراض عن بذل أدنى جهد لمشاركة الشاعر معاناته، ورغبته فى فجر جديد.

وأما فى المقطع الخامس: فقد وظف تكرار المضارع للتعبير عن صور الحياة المتكررة فى واقع الناس التى يحلم الشاعر بها فى ميلاده الثانى، وفى غده المأمول، حيث تولد نفسه من جديد، ويعيش الناس حياتهم آمين، بكل ما تشتمل عليه تلك الحياة من مظاهر رقيقة أو سوقية أو غير ذلك فهذه هى طبيعة الناس فى بلاد الشاعر التى عنى الشاعر فى ديوانه هذا بتصويرها.

الكلام والسباب والسعال- السحب- محاض النساء- لعب الأطفال- عشق العاشقين وتأوهاتهم الخ ومن ثم تتكرر صيغ المضارع والصيغ الدالة على الاستمرارية المعبرة عن تلك المظاهر فى هذا المقطع كذلك فى(أحتفى- ما زلت- ما يزال بقذف- والسحب ما

تزال- تسح- بلجىء- يلعب- يسمون- يقسمون) أما المقطع الثانى والثالث فقد كانا أقل المقاطع جميعا فى استخدام صيغة المضارع؛ والسبب فى ذلك يرجع إلى أن الشاعر قد خصص هذين المقطعين للتعبير عن الظلم والطغيان والفساد الذى يحول بين اطراد مظاهر الحياة بأمنها ودعتها، وهذا هو السبب الذى يؤرق الشاعر كل ليلة ويبعث فى فراشه الظنون والمخاوف من مصير مجهول.

ومن ثم فقد أراد الشاعر فى هذين المقطعين أن يصور لنا كيف كدر هذا الغاشم الظالم صفو الحياة، وقطع مظاهر البهجة والحياة الآمنة المتكررة فيها، وقد وظف للتعبير عن ذلك صيغة المضارع أيضا فى قوله:

يكفيهما من الشراب حسوتا منقار..

وفى ظلام الليل يعقد الجناح صرة من الخنان

فى حين صور فى المقطع السابق حالة الرفاق وهم رمز للدهماء والعامّة الذين لا يحرصون على شيء غير شهواتهم فهم لا يزالون غارقين فى واقع اللهو الرتيب المتكرر كل ليلة، وهم فى غفلة تامة من مخاوف الشعور وما يساوره من الظنون إزاء هذا الظلم والطغيان، الذى ألمح إليه الشاعر وصوره فى هذه القصيدة بطريقة رمزية بخلاف صنيعه فى قصيدته الأخرى عودة ذى الوجه الكئيب<sup>(١)</sup> حيث استخدم فيها أسلوب التصريح المكشوف بطريقة تنبئ بأنه قد فاض به، وضاق به الأمر ذرعا، فلم يسعه إلا الإعلان والتصريح.

ومن ثم ناسب أن يعبر هنا بصيغة الماضى فى قوله:

ذات مساء حظ من أعالي السماء أجدل منهوم

حار طائرى الصغير برهة ثم انتفض

وذلك ليوحى بالمفاجأة للفاغلين، وقطع مظاهر الحياة المستقرة، وتحقق وقوع ذلك البلاء الماحق.

ولكن الشاعر حينما أراد التعبير عن الأهداف المستقبلية لهذا الظالم وما يخفيه من أطماع، عاد لصيغة المضارع مرة أخرى:

ليشرب الدماء

(١) ديوانه السابق ص ٧٠.



وبعلك الأشلاء والذماء

وفى المقطع الثالث: نزهة الجبل:

يبين الشاعر أن هذا الظالم الطاغى قد بلغ الغاية فى ظلمه وطفغيانه، ومن ثم يتطلع الشاعر إلى الخلاص والحرية رامزا لها بنزهة الجبل، ومن ثم يستخدم المضارع للتعبير عن إرادته فى استمرار عيشه ودوامه حتى يشم نفحة الجبل.

ويستخدم الشاعر فى وصف هذا الظالم صيغة المفعول فى قوله (ملثم) وقوله (عيناه خنجران مسقيان بالسموم) وفى رأى أنه يريد أن يوحى بذلك بأن شمة أيدى غريبة قد لثمته وأخفته حتى لا يبدو لنا، وأن تلك الأيدى ذاتها قد سقت عينيه بالسموم، وملأته حقدا على أبناء هذا الوطن.

كما يكرر فى وصفه كذلك صيغة المبالغة فى الشر(شريد) وصيغة المفاضلة فى الخضونة والغلظة (الأجش)، ويصف أكتافه كذلك بالصفة المشبهة بمجموعة(الغلاظ) ليدل على استقرار هذا الوصف القبيح بالغلظ وثباته له.

وفى التعبير بالأكتاف مجموعة كذلك ما يوحى باتساع نفوذ هذا الظالم العاشم، وقوة طغيانه ويطشه.

والحقيقة أن القصيدة قد عنيت بتوظيف الصيغ عنابة فائقة وإن كانت صيغة المضارع هى أبرز تلك الصيغ وأكثرها شيوعا، وذلك لما لها من مناسبة حميمة بالفكرة التى أراد الشاعر تصويرها.

## الخاتمة

لقد حاولت في هذا البحث أن أقف على الدور الذى يمكن أن تلعبه الصيغة فى صياغة المعانى الفنية الدقيقة التى يقصد إليها أرباب القول فى كلامهم الذى يعبرون به عن خلجات نفوسهم ودقائق مشاعرهم.

وقد استدعى ذلك أن يقف البحث على طبيعة الدلالة فى صيغة الكلمة من حيث بحث العلاقة بين الصيغة والمعنى، والوقوف على دلالة الصيغة بين الأفراد والتركيب، وبحث ظاهرتى تعدد الصيغ للمعنى الواحد، وتعدد المعنى الوظيفى للصيغة الواحدة.

وقد استطاع البحث أن يكشف عن الأسس الفنية التى قام عليها التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة سواء فى التراث البلاغى أو فى الدراسات الحديثة، وهى الاختيار والعدول والتكرار.

وقد شجع البحث ذلك كله بالنماذج التطبيقية؛ سواء فى صورة نماذج تفصيلية لكل صيغة من الصيغ أو فى صورة نماذج كلية تحليلية لبعض النصوص الأدبية.

وأحب أن أختتم هذا البحث بكلمة- لعلها تضىء الطريق لمن يكمل المسير من بعدى- أشير فيها إلى ما تبين لى من خلال هذا البحث من سعة الإمكانيات الدلالية لصيغة الكلمة، وأن تلك الدلالات هى فيما أرى دلالات غير متناهية ولا محصورة، بخلاف ما انتهى إليه بحث الدارسين القدامى فى مجال الصرف واللغة من قصر كل صيغة على معنى بعينه أو عدد من المعانى، بعد استعمال الصيغة فى غيرها خطأ بالغا وخروجاً على القواعد اللغوية؛ وذلك بحكم المنهج المعيارى الذى اتبعه أسلافنا القدامى فى دراستهم اللغوية التى وقفوا بها عند فترة زمنية بعينها هى عصور الاحتجاج.

ومن ثم فلا لوم عليهم ولا على من سار على دربهم، متقيداً بذلك المنهج وبتلك الفترة الزمنية فى دراسته التقعيدية التى يبراد بها الوقوف على قواعد النغمة والحفاظ عليها من الضياع.

ولكني أقول إن الاختصار على هذا المنهج في الدرس البلاغي يحول دون الوقوف على الدلالات الفنية لتلك الصيغ فيما بعد عصور الاحتجاج؛ إذ إن المدارس للنماذج التي جاءت بعد هذه الفترة سوف يفتاجاً بدلالات جديدة لتلك الصيغ لم ينص عليها اللغويون من قبل؛ وذلك لأن دراستهم لدلالات الصيغ قد وقفت عند عصور الاحتجاج. وهذه القضية التي أثيرها ليست وليدة اليوم، بل قد صادفها الدارسون منذ زمن بعيد، وبعد فترة يسيرة من عصور الاحتجاج، ولعل الجدول الكبير الذي أنارته أراجيز رؤية والمعاج بعد خير شاهد على ذلك، ولا نريد أن نطيل هنا في بيان ذلك، وبكفي أن نذكر قول ابن جنى "وقد كان قدماء أصحابنا يتعقبون رؤية وآباه، ويقولون تهصّما اللغة وولداها وتصرفا فيها غير تصرف الأفعال فيها؛ وذلك لإيغالهما في الرجز، وهو ما يضطر إلى كثير من التفرّيع والتوليد"<sup>(١)</sup>

كما يذكر ابن جنى كذلك تعقبهم لغير رؤية والمعاج كالحطية وغيره<sup>(٢)</sup> وهذا يلفتنا إلى أمور:

اتباع القدماء للمنهج المعياري وحده.

وقوفهم عند عصور الاحتجاج في وضع ضوابط اللغة وقواعدها.

تعقبهم للمخالف

التطور الدلالي للصيغ.

هذا التطور الدلالي للصيغ هو ما كشفت عنه بوضوح الدراسات اللغوية الحديثة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الحصائص ٣/ ٢٩٨، وانظر د/ حولة نعى الدين الهلالي - دراسة لغوية في أراجيز رؤية والمعاج - سلسلة دراسات

(٤٧) منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - دار الرشيد للنشر ١٩٨٢. وانظر فيه على الأخص

مبحثا عن تصرف الراجزين في الصيغ ص ١٢٦-٢٢١.

(٢) أنساب.

(٣) انظر فندريس - اللغة - ص ٢٣١ - مكتبة الأنجلو، ألمان - دور الكلمة في اللغة - ترجمة د/ كمال بشر - الفصل

الثاني - أسباب تغير المعنى ١٥٢ - ١٦٠، د/ حلمي خليل الكنسة ص ١٥٧-١٥٨، محمد خليفة التونسي - أضواء

على لغتنا السمجحة - كتاب العربي - ص ٦٤-١٦٩.

ورتبوا على ذلك القول بدناميكية المعنى وتغيره الدائم، وفي ذلك يقول أولمان "تغير المعنى ليس إلا جانباً من جوانب التطور اللغوي، ولا يمكن فهمه فهماً تاماً إلا إذا نظرنا إليه من هذه الزاوية الواسعة. فاللغة ليست هامة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان. فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور"<sup>(١)</sup>.

هذا الذي قد انتهينا إليه يقودنا إلى نقطة هامة؛ وهى أننا لا نستطيع فهم نص من النصوص بعد عصور الاحتجاج فهماً صحيحاً بغير الوقوف على تلك الدلالات الجديدة أو المتطورة للصيغ المستخدمة فى تلك النصوص.

وهذا يقتضى منا دراسات عديدة تنأى عن الحصر لكل صيغة من الصيغ، يستخدم فيها المنهج الوصفي بسماته المعروفة من تحديد الزمان، والبيئة، والنص، والصفحة المدروسة ومرعاة المواقف والملابس والظروف التى قيل فيها النص.. الخ<sup>(٢)</sup> وهذا يمكن أن يتم من جانبين: على مستوى الدراسة اللغوية من جهة، وعلى مستوى الدرس البلاغى والنقدى من جهة أخرى؛ حيث يتم - على هذا المستوى الأخير - رصد الدلالات الفنية الجديدة التى وظفت فيها صيغة الكلمة بناء على ما حدث لها من تطور دلالى.

وثمة أمر آخر أحب أن ألفت إليه وهو أنه لا ينبغي أن نعد ما حدده اللغويون - من دلالات لتلك الصيغ - لا ينبغي أن نعدّه تحديداً نهائياً لتلك الدلالات لا يقبل الإضافة إليه، فقد يسفر الاستقراء عن دلالات جديدة لتلك الصيغ أو بعضها قد أغفلها هؤلاء الدارسون. وإذا كنا قد انتهينا فى بحثنا هذا إلى التفرقة بين دلالة الصيغة فى حالتى الأفراد والتركيب، وبين أن الفرق بين الحالتين شبيه بالفرق بين اللغة والكلام، أو هو هو - أقول إذا كنا قد انتهينا إلى ذلك فإننا نرتب عليه أن تلك الدلالات التى حددها اللغويون لصيغة

(١) أولمان - السابق ص ١٥٣.

(٢) انظر فى ذلك د/ كمال بشر فى ترجمته لكتاب دور الكلمة - ص ١١٠.

الكلمة إنما هي دلالات إفرادية قد روعى فيها نظام اللغة وحده، ولا شك أن السياقات التي استنبطت منها تلك القواعد محدودة، ولذا فإن دلالات تلك الصيغ قد جاءت محدودة بتلك السياقات.

أما دلالات تلك الصيغ على مستوى الكلام فإنها غير محدودة؛ وما ذلك إلا لأن تراكيب الكلام لا تنتهي " إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا. والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعانى المتنوعة التى فى وسعها أن تدل عليها. والسياق أيضا هو الذى يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التى تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذى يخلق قيمة حضورية"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان السياق هو الذى يخلق للكلمة دلالتها الحضورية؛ فلا شك أن مما يدخل فى هذا السياق ضرورة مراعاة الزمان والمكان والظروف والملابسات والعادات الاجتماعية وغير ذلك من القرائن المشاركة فى تحديد سياق الكلام<sup>(٢)</sup>.

هذا كله يؤكد لنا ضرورة مراعاة الفترة الزمانية التى قيل فيها النص وأثرها على دلالة الصيغ.

وبناء على تجربتى الضئيلة فى هذا البحث أقول إننى قد وقفت حائرا أمام استخدام بعض الشعراء لبعض الصيغ التى يصعب على الباحث أن يقوم بتخريج تحليلها على معنى من المعانى التى ذكرها لها اللغويون فى كثير من كتب الصرف التى قد رجعت إليها، وإن كنت لا أزعم أننى قمت فى ذلك بالاستقراء التام لجميع كتب اللغة فى هذا المجال، كما لا أزعم كذلك أننى حق فى عدم قناعتى بتخريج تلك الصيغ على معانيها الشائعة فى كتب الصرف، ولكنى أذكرها فقط على سبيل التمثيل لهذه القضية من واقع التجربة التى خاضها

(١) فنديرس- اللغة ص ٢٣١.

(٢) انظر د/ محمود السمران- علم اللغة ص ٣٣٩، د/ كمال بشر- دراسات فى علم اللغة- القسم الثانى ص ١٧٢-

١٧٣، د/ نسام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها -٣٣٨-٣٣٩.

البحث، وإن كانت الكلمة الفاصلة في هذا الأمر إنما هي للاستقراء الواسع لدلالات الصيغ في جميع كتب الصرف واللغة، ثم الاستقراء التام للسياقات التي وردت فيها تلك الصيغة بطريقة المنهج الوصفي الذي سبقت الإشارة إليه.

فعلى سبيل المثال:

وقفت في عدد من النماذج عند دلالة صيغة (تفاعل) محاولا حمل الصيغة على أحد المعاني التي اشتهرت فيها؛ ولكنني أشعر أن ذلك لا يمكن أن يتم لي إلا بقدر من التكلف. فقد ذكر الصرفيون<sup>(١)</sup> لتلك الصيغة عدة معان هي:

١- التشريك بين اثنين فأكثر، فيكون كل منها فاعلا في اللفظ مفعولا في المعنى، مثل:

تجادب زيد وعمرو فكلاهما جاذب ومجذوب.

٢- التظاهر بالفعل دون حقيقته مثل تناوم وتغافل وتعامى، أى أظهر والنوم والغفلة والعمى، وهي منتفية عنه.

٣- حصول الشيء تدريجيا، مثل: تزايد النيل، وتواردت الإبل، أى حصل ذلك بالتدريج.

٤- مطاوعة فاعل، مثل: باعدته فتباعد.

فإذا حاولنا تطبيق تلك المعاني على بيت أبي نواس الذي يقول فيه:

تعاطمني ذنبي، فلما قرنته

بعفوك ربي، كان عفوك أعظما<sup>(٢)</sup>

نستشعر صعوبة حمل صيغة (تفاعل) في (تعاطمني) على أحد المعاني السابقة؛ إذ لا تتصور المشاركة بينه وبين الذنب، كما يصعب كذلك نسبة الفعل إلى التظاهر، أو المطاوعة أو الحصول بالتدريج.

---

(١) انظر النشافة ١/ ٩٩، نزهة الطرف ص ١١٢، المدح لأبي حيان ص ٣١، شذا العرف ص ٤٥ بشرح د/ حسنى عبد الجليل.

(٢) ديوان أبي نواس تحقيق اسكندر أصف ص ١٩٢ دار العرب للبستاني.

والذى أراه أن التفاعل هنا بمعنى فعل مضموم العين أى عظم على الذنب، فهذا هو الأقرب إلى معنى البيت، ولكن يبقى لاختيار تلك الصيغة ميزته من حيث تناسب الصوتى فى (تفاعل) حيث يوظف المد فى (تعاطمنى) للدلالة على استعظام الذنب، أى رؤيته عظيما، واعتقاد عظمه.

ومن ثم نرى أن الصيغة قد وظفت فى البيت توظيفا فنيا جديدا معبرا بما لها من دلالة وظيفية، ودلالة إيقاعية عن الحالة النفسية للشاعر التى استشعر فيها ثقل ذنوبه، وعظمتها فلم يجد صيغة أوفق لتصوير تلك الحالة التى يعاينها من تلك الصيغة.

وقد استطاع بعض الباحثين المعاصرين أن يزيد فى دلالات تلك الصيغة على ما ذكره اللغويون القدامى فى دلالات تلك الصيغة - غير متقيد طبعاً بمصور الاحتجاج.

فمن الأمثلة التى ذكرها: قول بشار:

تجاملت عن فهر، وعن جارتي فهر

وودعت نعمى بالسلام وبالبشر

حيث أورده مثالا لما اتكشف له من دلالات تلك الصيغة، مستدلا به على مجيء تلك الصيغة فى الدلالة على تكلف الفعل عن اعتقاد به، وذلك كقولك: تنباهى بثرائها، وتعاطم بثقاتها، وتتفاح فى كلامها، وتعالى فى معاملتها. الخ<sup>(١)</sup>.

ونحن نوافقهما فيما ذكر؛ حيث يصعب حمل معنى الفعل (تجاملت) هنا على معنى من المعانى السابق ذكرها عن علماء اللغة فى دلالات تلك الصيغة.

وأولى المعانى التى يمكن حمل دلالة الفعل عليها فى هذا الموضع هى التكلف؛ وهذا يوافق بعض ما جاء فى دلالتها المعجمية؛ ففى لسان العرب "التجال هو التعاطم. يقال: فلان يتجال عن ذلك أى يترفع عنه"<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد خليفة التونسى - أضواء على لغتنا السمحة - كتاب العربى - ص ٧٦-٧٩.

(٢) اللسان مادة (جلل) ط دار المعارف ١/٦٦٣.

وقد ذكر الباحث لصيغة (تفاعل) عدة معانٍ آخر قد انكشف له غير ما ذكر، مثل: المشابهة: وذلك في نحو قولك (تذائب وتكالب وتخايل) أى أشبه الذئب والكلب والخييل.

- حدوث الفعل متتابعاً، مثل: تماوج الصوت، وتقاطر المطر، وترادف الرزق، وتصادى فى الضلال.. الخ

- الدخول فى شىء، مثل: تيامن فى الطريق وتياسر.. الخ

- طلب الفعل، مثل تقاضاه الدين، وتحاكوا، وتداوى.. الخ

وشمة معانٍ آخر ذكرها كالقيام بالفعل ابتداءً، واعتقاد صفة الشىء، والتبادل، والمغالبة فى الفعل.. الخ<sup>(١)</sup> هذا مجرد مثال أحببت أن أنبه به فقط إلى جدوى هذا الأمر الذى نشير إليه من ضرورة تتبع الدلالات السياقية أو التركيبية لكل صيغة من الصيغ على النحو الذى أشرنا إليه آنفاً.

ومن ثم فلا بد أن نتضافر فى هذا المجال جهود كل من دارسى اللغة ودارسى البلاغة والنقد؛ حيث يقوم فريق اللغة بالبحث عن المعانى الوظيفية التى تؤدبها كل صيغة من تلك الصيغ عن طريق الاستقراء التام على النحو السابق بيانه، ثم يتبع ذلك جهود الدارسين فى مجال البلاغة والنقد للوقوف على الدلالات الفنية التى تولدها طاقات المبدعين من تلك المعانى الوظيفية التى تستعمل بها الصيغة فى بيئة ما، فى زمان ما.

وأرجو من الله العلىّ القدير أن يبارك فى هذا الجهد الضئيل بأن يجعله سبباً لجهود تالية تكمل خطو هذا الطريق حتى نستشعر دلالات تلك اللغة العظيمة الخالدة، وإمكاناتها الإبداعية على الوجه اللائق بعظمتها.

---

(١) محمد الترنسى - السابق.





د/ إبراهيم السامرائي

الفعل زمانه وأبنته- ط مؤسسة الرسالة- بيروت د/ إبراهيم أنيس من أسرار اللغة/ مكتبة الأنجلو ط سنة ١٩٦٦م.

ابن الأثير(ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم)

المثل السائر، تقديم وتعليق د/ أحمد الحوفى، د/ بدوى طبانة، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ابن الأثير(نجم الدين أحمد بن إسماعيل)

جواهر الكنز- تحقيق د/ محمد زغلول سلام- منشأة المعارف- الإسكندرية

أحمد الشايب

الأسلوب ص ٣٦- مكتبة النهضة المصرية- ٩ ش عدلى بالقاهرة ط ٣

د/ أحمد درويش

النص البلاغى فى التراث العربى والأدبى- ط مكتبة النصر

داخل جامعة القاهرة، مقال فى الأسلوب- جورج بوفون.

أحمد سويلم

ديوانه- الطريق والقلب الحائر- قصيدة معارك الرخام- دار الكتاب العربى.

أحمد المتوكل

من البنية الحملية إلى البنية المكونية- دار الثقافة الدار البيضاء.

الأخفش ( أبو الحسن سعيد بن مسعدة)

معانى القرآن- تحقيق د/ فائز فارس

الاسترأبادى (رضى الدين محمد بن الحسن)

شرح شافية ابن الحاجب- ط دار الكتب العلمية .

بيروت الأعشى(ميمون بن قيس).

ديوانه- الشركة اللبنانية للكتاب بيروت.

الأوسى(شهاب الدين السيد محمود)

روح المعاني - ط دار إحياء التراث.

أولمان (ستيفن)

دور الكلمة فى اللغة/ ترجمة د/ كمال بشر- مكتبة الشباب.

الباقلانى (القاضى أبو بكر محمد بن الطيب)

إعجاز القرآن- ط مصطفى الحلبى - ١٩٧٨م.

البخارى (محمد بن إسماعيل)

الصحيح- ط الشعب.

د/ البدرراوى زهران

أسلوب طه حسين فى ضوء الدرس اللغوى الحديث. دار المعارف ١٩٧٧.

برند شيلتر

علم اللغة والدراسات الأدبية/ ترجمة د/ محمود جاد الرب.

د/ بشر(كمال)

دراسات فى علم اللغة- القسم الثانى- ط دار المعارف.

أبو البقاء (الكفوى)

الكليات- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى- دمشق ط ٢- ١٩٨١م.

اليقاعى (برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر)

نظم الدور فى تناسب الآيات والسور- ط مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدرآباد

الدكن.

البيضاوى (القاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر)

تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)- مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع- بيروت .

د/ تامر سلوم

نظرية اللغة والجمال فى النقد العربى- دار الحوار- ط ١- ١٩٨٣م.

د/ تمام حسان

مناهج البحث فى اللغة- مكتبة الأنجلو المصرية ط س ١٩٥٥م.

- اللغة العربية معناها ومبناها - ط الهيئة المصرية للكتاب.

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن عبد الحلهم بن عبد السلام)

دقائق التفاسير- جمع وتحقيق د/ محمد الجليند- ط مؤسسة علوم القرآن .

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)

البيان والتبيين- تحقيق حسن السندوي، وأخرى ط دار الكتب العلمية- بيروت - الحيوان- ط الحلبي.

الجزجاني (عبد القاهر بن عبد الوهم بن محمد)

أسرار البلاغة- بتحقيق رينز/ استانبول مطبعة وزارة المعارف س ١٩٥٤م.

- دلائل الإعجاز- ط المدني- تحقيق أ/ محمود شاكر.

الجزجاني (محمد بن علي بن محمد)

الإشارات والتبہات- تحقيق د/ عبد القادر حسين- ط دار نهضة مصر- الفجالة- القاهرة.

جرير (ابن عطية الخطفي)

ديوانه ط دار الأندلس- شرح محمد إسماعيل الصاوي ابن جني الخصاص- تحقيق د/ محمد

علي النجار، ط دار الهدى للطباعة والنشر بيروت لبنان س ١٩٥٨م.

الجوهري (إسماعيل بن حماد)

الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار الكتاب العربي

الجلالين (السيوطي والمهلي)

تفسيرهما- ط دار المعرفة- بيروت.

د/ حسن طبل

أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية س ١٩٩٠م.

د/ حلمي خليل

الكلمة دراسة لغوية معجمية- دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

الحملوي (أحمد بن محمد بن أحمد)

شذا العرف في فن الصرف ط مصطفى الحلبي، وأخرى ط مكتبة الآداب- تحقيق د/

حسنى عبد الجليل.

أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)

البحر المحيط- مطبعة السعادة ط الأولى- مصر- ١٣٢٨هـ المبدع الملخص من المتع-

تحقيق د/ مصطفى النحاس ط مكتبة الأزهر.

د/ خولة تقي الدين الهلالي

دراسة لغوية فى أراجيز رؤية والعجاج- سلسلة دراسات (٤٧) منشورات وزارة الثقافة

والإعلام- الجمهورية العراقية- دار الرشيد للنشر ١٩٨٢م.

أبو دومة (محمد)

ديوانه- السفر فى أنهار الظمأ -ط- الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الرازي (فخر الدين محمد بن عمر).

تفسيره- مفاتيح الغيب- ط دار الغد العربى

- نهاية الإيجاز- تحقيق د/ بكرى شيخ أمين- ط دار العلم للملايين - بيروت .

الرازي (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر)

مسائل الرازي وأجوبتها (من غرائب أى التنزيل) ط مصطفى الحلبى.

الراغب الأصبهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)

المفردات - ط دار المعرفة- بيروت.

الزبيدي (السيد محمد مرتضى)

تاج العروس- ط دار بيروت.

الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي)

طبقات النحويين واللغويين- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- القاهرة.

الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن)

الإيضاح فى علل النحو- تحقيق مازن المبارك- القاهرة.

الزمخشري (جار الله محمود بن عمر)

أساس البلاغة- ط الهيئة العامة للكتاب .

الكشاف- ط دار الكتب العلمية- بيروت.

الروزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد)

شرح المعلقات- ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

د/ زين الخويلي

- صيغة افتعل في القرآن الكريم في المجالات الدلالية- دار المعارف.

السبكي ( بهاء الدين)

عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص- ط دار السرور- بيروت- لبنان .

السعد (سعد الدين التفتازاني)

مختصره على التلخيص- ضمن شروح التلخيص- دار السرور- بيروت- لبنان

- المطول على التلخيص- مطبعة أحمد كامل- ١٣٣٠ هـ

د/ سعد مصلوح

الأسلوب دراسة لغوية إحصائية (دار البحوث العلمية) الكويت ط ١، ١٩٨٠ م.

السكاكي ( أبو يعقوب يوسف)

مفتاح العلوم المطبعة الأدبية ، وأخرى ط مصطفى الحلبي ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.

السمين الحلبي (شهاب الدين أبو العباس بن يوسف)

الدر المصون- تحقيق عادل عبد الموجود وزميله- ط دار الكتب العلمية.

ابن سنان الخفاجي ( عبد الله بن محمد بن سعيد)

سر الفصاحة- تصحيح عبد المتعال الصعيدي ط محمد علي صبيح س ١٩٦٩ م.

سر الفصاحة- تحقيق/ على فودة- ط الخفاجي.

سيبويه (أبو بشر عمرو)

الكتاب- ط المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر الخمسة س ١٣١٧ هـ، وأخرى ط

كتبة التنبي القاهرة.

سيد قطب

الظلال- ط دار الشروق.

السيد محمد رشيد رضا

تفسير المنار- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)

شرح عقود الجمان- المطبعة الميمنية بمصر المحروسة.

- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها- ط دار الجليل.

د/ شفيح السيد

الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى- ط دار الفكر العربى.

د/ شكرى عياد

اتجاهات البحث الأسلوبى- دار العلوم للطباعة والنشر- السعودية- ١٩٨٥م.

- اللغة والإبداع/ مبادئ علم الأسلوب العربى- انترناشيونال برس ط ١٩٨٨م.

- مدخل إلى علم الأسلوب- دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض ١٩٨٢م.

لشوكانى(محمد بن على)

إرشاد الفحول- ط دار الكتب العلمية- بيروت.

فتح القدير- ط دار المعرفة- بيروت.

د/ صبحى الصالحى

دراسات فى فقه اللغة، ط ٢ المكتبة الأهلية بيروت س ١٩٨٢م.

د/ صلاح رزق

أدبية النص- دار الثقافة العربية.

صلاح عبد الصبور

ديوان الناس فى بلادى- ط دار الأداب- بيروت.

د/ صلاح فضل

علم الأسلوب/ مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة.

الطاهر بن عاشور

التحرير والتنوير- ط الدار التونسية للتوزيع والنشر.

الطبرى (ابن جرير).

ط دار الريان للتراث.

الطيسى (الحسين بن عبد الله بن محمد)

التيبان فى المعانى والبيان- ط المكتبة التجارية- مكة المكرمة- تحقيق/ عبد الحميد هندواى.

- لطائف التبيان فى المعانى والبيان تحقيق/ عبد الحميد هنداوى- نشر المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

د/ عبد الحكيم راضى

نظرية اللغة فى النقد العربى / مكتبة الخانجى القاهرة - ١٩٨٠م.

د/ عبد الحلهم عبد الباسط

صيغة أفعال فى النحو العربى دلالتها ووظيفتها ماجستير دار العلوم رقم ٢٧٩.

أبو عبيدة (معمر بن المثنى)

مجاز القرآن- تحقيق د/ محمد فؤاد سزكين ط الرسالة ١٩٨١م.

عبد الرحمن الرفاعى

شعراء الوطنية فى مصر تراجمهم، وشعرهم الوطنى والمناسبات التى نظموا فيها قصائدهم

- ط ٣ س ١٩٦٦م الدار القومية للطباعة والنشر ص ١٣٣ .

د/ عز الدين على السيد

التكرير بين المثير والتأثير- عالم الكتب- بيروت- ط ٢ ١٩٨٦م.

العسكرى (أبو هلال)

الفروق فى اللغة- ط دار الأفاق الجديدة- بيروت- الصناعتين- تحقيق د/ مفيد قميحة-

دار الكتب العلمية.

د/ عضيمة (محمد عبد الخالق)

دراسات لأسلوب القرآن الكريم- ط دار الحديث . القاهرة.

ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب)

المحرر الوجيز- تحقيق على عوض وزميله- دار الكتب العلمية.

العكبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)

شرح التبيان على ديوان أبى الطيب المثنى- ط- دار الطباعة العامرة.

على الجندى

أحسان الأصيل- ديوان شعر/ دار الفكر العربى س ١٩٥٠م.

- تراجم الليل- ديوان شعر دار المعارف ١٩٦٤م.



- فى ظلال القمر ديوانه مطبعة المدنى القاهرة س ١٩٧٨ بىروت.

د/ على الجندى

فى تاريخ الأدب الجاهلى- مكتبة الشباب.

د/ على عشرى زايد

قراءات فى شعرنا المعاصر ط٢ مكتبة الشباب.

العلوى (بمبى بن حمزة)

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز- مطبعة المتوقف بمصر- ١٣٣٣هـ-

١٩١٤م.

د/ على أحمد طلب

صيغة فعيل واستعمالاتها فى القرآن الكريم. دراسة تفصيلية- مطبعة الأمانة- شبرا مصر-

١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

ابن فارس

مقايس اللغة- تحقيق عبد السلام هارون- دار الكتب العلمية- إيران.

د/ فاضل مصطفى الساقى

أقسام الكلام العربى من حيث الشكل والوظيفة الخارجى.

- اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية، ماجستير دار العلوم رقم ٨٤ سنة ١٩٦٨م.

د/ فتح الله سليمان

الأسلوبية- مدخل نظرى ودراسة تطبيقية- ط اندار الفنية للنشر والتوزيع

فندريس

اللغة - ط - مكتبة الأنجلو- ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص القاهرة.

الفيروزآبادى (بمجد الدين محمد بن يعقوب)

بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز- ط دار الكتب العلمية- بىروت.

- القاموس المحيط- ط دار العلم للجميع- بىروت.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)

تأويل مشكل القرآن- شرح ونشر السيد أحمد صقر- دار التراث- القاهرة- ط ٢- ١٣٩٣هـ

١٩٧٣م.

-أدب الكاتب تحقيق محمد الدالي ط ٢ مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م.

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)

الجامع لأحكام القرآن- ط دار الريان.

القرظوني (الخطيب جلال الدين بن محمد)

التلخيص بهامش الشروح- ط دار السرور- بيروت.

- الإيضاح بتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي- دار الكتاب اللبناني- بيروت.

ابن القيم (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)

تفسير سورة الكافرون والمعوذتين- ط السنة المحمدية.

- بدائع الفوائد- ط/ دار الفكر- بيروت.

ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي)

تفسيره - المكتبة التوفيقية- الأزهر الشريف.

الكرماني (محمود بن حمزة بن نصر)

البرهان في توجيه متشابه القرآن- تحقيق عبد القادر أحمد عطا- دار الكتب العلمية بيروت.

لانسون

منهج البحث في اللغة- تحقيق/ محمد مندور- دار العلم للملايين - بيروت .

لبيد (ابن ربيعة العامري)

ديوانه- تقديم وشرح إبراهيم جزيني- دار القاموس- بيروت.

مالك يوسف المطلبي

الزمن واللغة- ط- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٨٦م.

ابن مالك (بدر الدين)

المصباح في المعاني والبيان والبدیع تحقيق د/ حسنى عبد الجليل ط مكتبة الآداب

د/ محمد عبد المطلب

بناء الأسلوب في شعر الحدائة التكوين البديهي ١٩٩٠م.

- البلاغة والأسلوبية ط الهيئة العامة للكتاب- ١٩٨٤م.

محمد فؤاد عبد الباقي

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- ط دار الحديث- القاهرة- ١٩٨٤م.

د/ محمود أمين الخضري

الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ- دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن- مطبعة الحسين

الإسلامية- خلف الجامع الأزهر.

د/ محمود السمران

علم اللغة- ط دار المعارف س ١٩٦٢م.

د/ محمود سليمان باقوت

الصرف التعليمي- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية.

- ظاهرة التحويل- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية.

محمود محمد شاكر

القوس العذراء- مكتبة دار العروبة- القاهرة.

المسدى(عبد السلام)

الأسلوبية والأسلوب- الدار العربية- ليبيا- تونس ١٩٧٧.

مسلم بن الحجاج

الصحيح بشرح النووي ط الشعب.

د/ مصطفى السعدني

النبات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث- منشأة المعارف/ الإسكندرية.

د/ مصطفى النحاس

مدخل إلى دراسة الصرف العربي- مكتبة الفلاح الكويت.

د/ مطلوب (أحمد)

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها- ط المجمع العلمي العراقي- ١٩٨٣م.

المغربي (ابن يعقوب)

مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح- ضمن شروح التلخيص ط دار السرور-

بيروت - لبنان.

ابن منظور(محمد بن جلال الدين)

لسان العرب- ط دار المعارف- القاهرة.

الناطقة(زياد بن معاوية الديلمي)

ديوانه/ شرح وتقديم عباس عبد الساتر ط دار الكتب العلمية.

د/ نجاة الكوفي

أبنية الأفعال-دراسة لغوية قرآنية- دار الثقافة للنشر والتوزيع.

نجيب الكيلاني

ديوان مهاجر/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

النسفي(أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود)

تفسيره- ط دار إحياء الكتب العربية.

أبو نواس(الحسن بن هانيء)

ديوانه- تحقيق اسكندر آصاف ص ١٩٢ دار العرب للبستاني.

ابن هشام (عبد الله بن يوسف)

نزهة الطرف في علم الصرف- تحقيق ودراسة د/ أحمد عبد المجيد هريدي- مكتبة الزهراء

القاهرة.

- أوضع المسالك إلى ألفية ابن مالك- منشورات المكتبة العصرية- صيدا- بيروت.

ولهم رأى

المعنى الأدي من الظاهراتية إلى التفكيكية- ترجمة د/ بوثيل يوسف عزيز- ط دار المأمون .

د/ يوسف عز الدين

الشعر العراقي الحديث، وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه- الدار القومية للطباعة

والنشر.

د/ أحمد عبد العظيم

الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية- دكتوراة مخطوط بكلية دار العلوم  
رقم ١٧٤ .

د/ حسن طبل

- المعنى في البلاغة العربية- منذ عبد القاهر حتى السكاكي- مخطوط بكلية دار العلوم.  
د/ صلاح راوى

الصيغة الصرفية ودلالاتها على المستويين الصرفي والنحوي- دكتوراة مخطوط بكلية دار  
العلوم.

عبد الرحمن الشناوى

شعر عنى الجندى دراسة أسلوبية وفنية- ماجستير مخطوط بكلية دار العلوم رقم ٥٦٦.  
الطبيبي

فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب/ مخطوط بدار الكتب المصرية ٤٧٣ تفسير  
تيمور.

- فتوح الغيب لنطبيبي تحقيق د/ جميل الحسين محمود- سورتى الأنعام والأعراف-  
دكتوراة - مخطوط بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

- لطائف الثبيان ق٦، مخطوط بدار الكتب المصرية/ ٢٦ بلاغة م.  
محمد خليفة الدناع

دور الصرف فى منهجى النحو والمعجم ماجستير دار العلوم رقم ١٧٤ .  
د/ محمد عبد العزيز الرفاعى

أثر أقسام الكلم فى الجملة العربية دكتوراة دار العلوم س ١٩٩٣ م.

## The abstract of thesis

### Rhetorical position of the word's form

The thesis is divided into a preface, an introduction, three chapters and conclusion.

A preface is considered of the study of the word's form, and its great sharply in the development of rhetorical studying.

An introduction is focused on "word's form" its boundary and meaning to qualify the frame of the thesis and its ground.

The first chapter is "The nature of the meaning of the word's form" divided into three parts, The first is "the relation between form and meaning", The second is "the meaning of form among of single and structure". And the third is "multiplication and probability in meaning of forms".

The second chapter is The foundation of Rhetorical position of the word's form "divided into three parts, the first is "Selection", the second is": Devation" and the third is "Repetition". In all these parts the thesis focused on these foundation in the rhetorical heritage, and modern stylistic studies and supported these principles with applied representative and models which insists on these foundations.

The Third chapter is "some of models of rhetorical analysis for word's form" divided into three parts, The first is focused on analysis the first verses of "El Nazeaat Sura".

The second is designating of poem form "El Motanabi's Sifat" and third is analysis of the poem of "Salah Abd El Sabour a Journey of the night".

The conclusion is deltas with the main results of the thesis have been described.



## فهرس محتويات الكتاب

رقم الصفحة	
٧	مقدمة
١٥	تمهيد: صيغة الكلمة: معناها - حدودها
	الفصل الأول:
٢٩	طبيعة الدلالة فى صيغة الكلمة:
٣١	المبحث الأول: العلاقة بين الصيغة والمعنى
٤٧	المبحث الثانى: دلالة الصيغة بين الإفراد والتركيب
٥٥	المبحث الثالث:
٥٧	١- تعدد المعنى الوظيفى للصيغة الواحدة
٦٠	٢ - تعدد الصيغ للمعنى الواحد
	الفصل الثانى:
٦٣	أسس التوظيف البلاغى نصيغة الكلمة
٦٥	تمهيد
٦٧	المبحث الأول: الاختيار
٦٧	أولاً: المفهوم والتأصيل
٩٤	ثانياً: نماذج تفصيلية للاختيار فى الصيغ
٩٤	١ - صيغة الاسم
١١٨	٢ - صيغة الفعل
١٣٥	٣ - صيغة ذات معنى متعدد
١٤١	المبحث الثانى: العدول
١٤١	أولاً: المفهوم والتأصيل
١٦٥	ثانياً: نماذج تفصيلية للعدول فى الصيغ



١٦٥

١ - العدول إلى صيغة الاسم

١٨٠

٢ - العدول إلى صيغة الفعل

١٨٢

٣ - العدول إلى صيغة ذات معنى متعدد

١٨٩

المبحث الثالث: التكرار

١٨٩

أولاً: المفهوم والتأصيل

٢١٦

ثانياً: نماذج تفصيلية للعدول في الصيغ

٢١٦

١ - صيغة المضارع

٢١٨

٢ - صيغة المبنى للمجهول

٢٢١

٣ - صيغة الفاعل

٢٣٠

٤ - صيغة المبالغة

٢٣١

٥ - صيغة الصفة المشبهة

٢٣١

٦ - صيغة التفضيل

٢٣٢

٧ - المزيد من الأسماء

الفصل الثالث:

٢٣٥

نماذج كلية من التحليل البلاغى لصيغة الكنمة:

٢٣٧

المبحث الأول: تحليل الآيات الأولى من سورة النازعات

المبحث الثاني: تحليل قصيدة من سيفيات المتنبي، مطلعها: عدل العواذل حول

٢٤٥

قلب التائه وهوى الأحية منه فى سودائه

٢٥٥

المبحث الثالث: تحليل قصيدة رحلة الليل للشاعر صلاح عبد الصبور

٢٦٥

الخاتمة: وأهم النتائج التى اشتمل عليها البحث

نوعه	اسم الكتاب	نوعه	اسم الكتاب
------	------------	------	------------

### العقيدة

لم يقدم للطبع	فصل الخطاب في ضابط التشبه بأهل الكتاب	تأليف	تيسير العقيدة للمسلم المعاصر
لم يقدم للطبع	الصبح السافر في جواب قول القائل من لم يكفر الكافر فهو كافر	تأليف	شرح الدروس المهمة لعامة الأمة
تحقيق ودراسة	انقضاء الصراط المستقيم لابن تيمية	تأليف	المساهمة القتالية في الرد على صاحب الاستحالة
لم تقدم للطبع	إشكالية الجمع بين إثبات الصفات ودعوى المجاز	تأليف	الإفحام لمن زعم انقضاء عمر أمة الإسلام

### الرقائق

تأليف	نودار السلف الصالح في رعاية الأوقات	تأليف	المفراغ نعمه أم نعمة
تأليف	قصور الجنة لمن	تأليف	الحياة الطيبة
تأليف	النجاة من النار	تأليف	الطريق إلى الجنة
تأليف	إيقاظ المهمل قبل يوم الندم	تأليف	الخوف من الله
تأليف	سلسلة رحلة إلى الدار الآخرة عشرة أجزاء	تأليف	وفاة الرسول ﷺ
لم تقدم للطبع	التزباك في فضيلة الإنفاق	لم تقدم للطبع	رحلة الإسراء والمعراج
لم تقدم للطبع	بر الوالدين	لم تقدم للطبع	الجزاء من جنس العمل
تحقيق	الداء والدواء لابن القيم	تحقيق	صيد الخاطر لابن الجوزي
تحقيق	كتاب التوازين لابن قدامة المقدسي	تحقيق	مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي

### الفقه وأصوله

تأليف	إعلام الأنام بحكم إخراج زكاة الفطر من غير الطعام	تأليف	الجامع لأحكام زكاة الفطر
تأليف	تلخيص الكلام في أحكام العيाम	جمع وتأليف	فتاوى النساء ضمن سلسلة فتاوى

تأليف	رعاية الأوقاف في ترتيب احقوق والمهمات	تأليف	قطع الجداول في ثبوت الهلال
لم تقدم للطبع	هدى خير الأنام في صلاة القيام	تأليف	فناوي وأحكام شهر الصيام
لم تقدم للطبع	إعلام السعيد بأداب العبد	لم تقدم للطبع	الإتحاف في آداب الاعتكاف
لم تقدم للطبع	فناوي الصيام لشيخ الإسلام	لم تقدم للطبع	شرح الصدر في بيان لجنة القدر
لم تقدم للطبع	كسر ضاعوت الكهان المدعين للعلاج بانقرآن	تحقيق لم تطبع	مرشد الخيران إلى أحوال الإنسان وهو كتاب في تفهين الشريعة الإسلامية

### علوم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

تحقيق	أسرار البلاغة لنجرجاني	تحقيق	الأطول على التلخيص
تحقيق	العصدة لابن رشيق	تحقيق	المطول على التلخيص
تحقيق	الطرز للعلوي	تحقيق	دلائل الإعجاز لنجرجاني
تأليف	التوظيف البلاغي لصيغة الكلبة دراسات نظرية تطبيقية	تأليف	من بلاغة الكتاب والسنة وهو الإمام لطبي وتبديدهاته البلاغية
تأليف	أضواء على مسيرة البلاغة العربية	تأليف	البلاغة بين النظرية والتطبيق
تحقيق ودراسة	لغائف التبيان في المعاني والبيان للعنبي	تأليف	الإعجاز الصرفي للقرآن الكريم
تحقيق ودراسة	التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني	تحقيق ودراسة	بلاغات النساء لابن طيفور
تحقيق	التبيان في المعاني والبيان لططبي	تحقيق	الكاشف عن حقائق السنن وهو شرح بلاغي لمشكاة المصابيح للططبي ١٣ مجدداً
تحقيق	الإبصار في علوم البلاغة للقرظيني	تحقيق	علم البديع وفن الفصاحة للططبي
لم تقدم للطبع	كيف تقرأ العزل الأدبي؟	لم تقدم للطبع	سلسلة دراسات أسلوبية في القرآن الكريم
تحقيق ودراسة	مجموعة شروح التلخيص في علوم البلاغة	لم تقدم للطبع	التكرار النصفي في الشعر العربي المعاصر
تحقيق ودراسة	شرح السعد على تلخيص المفتاح	تحقيق ودراسة	عروس الأفراح شرح وتلخيص المفتاح للسبكي في علوم البلاغة
تحقيق ودراسة	شرح الدسوقي على التلخيص	تحقيق ودراسة	مواهب المفتاح شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي
لم تقدم للطبع	الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم	تحقيق ودراسة	شروح التبيان في المعاني والبيان لططبي

		وتلميذه علي بن عيسى
	لم تقدم للطبع	وجوه البلاغة في مشابه القرآن
	الدلالة الفنية للأصوات	التكرار في الدراسات الأسلوبية الحديثة
	معالم على طريقة النقد الأدبي	بحث بصحيفة دار العلوم
	الأدب المقارن: المفهوم والقيمة	بحث بصحيفة دار العلوم

### قصص وكتابات أدبية

فصص الأنبياء	تأليف	رجال حول الرسول ﷺ
--------------	-------	-------------------

### الشعر والأدب

عنوان المرقصات المطربات لابن سعيد الأندلسي	تحقيق	الكامل في اللغة والأدب واللمرد
بلاغات النساء لابن طيفور	تحقيق	مرآة المروآت للعالي
ديوان ليس شعرا	نحت الطبع	

### اللغة والمعجم

معجم العين للخليل بن أحمد القراهدي	تحقيق ودراسة	الهكم والضبط الأعظم لابن سيده
------------------------------------	--------------	-------------------------------

### النحو والصرف

شرح المكدودي على ألفية ابن مالك	تحقيق	حاشية الصبان على ألفية ابن مالك
شرح الأشموني على ألفية ابن مالك	تحقيق	شذا العرف في فن الصرف
مفتاح العلوم للسكاكي	تحقيق	الكواكب الدرية شرح متممة الأجرومية
شذور الذهب لابن هشام	تحقيق	شرح ابن عقيل
فطر الندى وبل الصدى	تحقيق	همع افوامع للسوطلی
حاشية الفاكهي على فطر الندى	تحقيق	إعراب مشكل الحديث للمكبري
حاشية الدسوقي على معنى اللهب	تحقيق	معنى اللهب لابن هشام
مختصر شرح ابن عقيل	تحقيق	

### التاريخ والسير والقصص

البياهة والنهاية لابن كثير أحد عشر مجلداً بالفهارس	تحقيق	صفة الصفوة لابن الجوزي
موجز سير الرسول ﷺ ضمن كتاب تيسر العقيدة للمسلم المعاصر للمؤلف	تأليف	نسائم الأحبار في فضائل الأخيار موسوعة في صفات الصحابة

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	لم تقدم للطبع	العشرة المبشرون بالجنة	لم تقدم للطبع
خلفاء الرسول ﷺ	لم تقدم للطبع	من سير الصالحين	لم تقدم للطبع
نساء حول الرسول ﷺ	تأليف	تعريف الغلام بسير الأعلام	لم تقدم للطبع
قصص الأنبياء لابن كثير	تحقيق		

### الأخلاقي والآداب

رسالة إبي أخي الطالب	تأليف	التزكية منهج نربوى شامل	تأليف
----------------------	-------	-------------------------	-------

### التفسير وعلوم القرآن

تفسير آيات الأحكام للماس	تحقيق	تفسير الجامع لأحكام القرآن القرطبي	تحقيق
الإتقان في علوم القرآن للسيوطي	تحقيق		

### الحديث النبوي وعلومه وشرحه

مشكاة المصابيح للنخعي ٣ مجلدات	تحقيق	شرح مشكاة المصابيح لنطيش ١٣ مجلداً	تحقيق
شرح إعراب مشكل الحديث للمكبري	تحقيق	إثبات عذاب القبر للبيهقي	تحقيق
سلسلة الأربعينات للحديث النبوي	لم تقدم للطبع	شروح آخر للمشكاة	تحت للطبع
كشف الحفاء للمجلوني	تحقيق	مقدمة ابن الصلاح	تحقيق
النهاية في غريب الحديث	تحقيق	التقييد والإيضاح	تحقيق

### مناهج البحث والتعلم

منهج للقراءة والتعلم	تأليف		
----------------------	-------	--	--

### فقه الواقع

دراسات حول الجماعة والجماعات	تأليف	حد الجماعة	تأليف
الدعوة إلى الجماعة والاشتلاف باعتزال جماعات الفرقة والاختلاف	تأليف	العمل الجماعي أصوله وضوابطه	تأليف

## التعريف بالمؤلف

ولد سنة ١٩٦٢ م . بالقاهرة، وحفظ القرآن الكريم في الصغر على يد والده الشيخ أحمد، وحوّده كبيراً على الشيخ إبراهيم المناوى وأحازه فيه برواية حفص، كان من أوائل القاهرة في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية، حيث حصل على ٩٣ % بالقسم الأدبي، وتخرّج في دار العلوم سنة ١٩٨٤ بتقدير ممتاز بترتيب الأول، وحصل على الدراسات العليا التمهيدية في الشريعة بالكلية ١٩٨٥، وحصل على الماجستير في علوم البلاغة بتقدير ممتاز سنة ١٩٩١، وحصل على الدكتوراه في علوم البلاغة بمرتبة الشرف سنة ١٩٩٦، وعمل بكلية دار العلوم معيداً، فمدرساً مساعداً، فمدرساً بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، واجتاز بنجاح دورة في تحقيق التراث بالهيئة العامة للكتاب، وحقق العديد من كتب التراث، وصنف العديد من الرسائل، وأشرف على عدد من الموسوعات الشرعية والثقافية بدار التأصيل للبحث والترجمة والنشر، في فترة تزيد على عشرين عاماً في البحث والتحقيق والتأليف، ونشر له فيها ما يزيد على مائة كتاب في مختلف العلوم العربية والإسلامية بأكبر دور النشر العربية والعالمية. انظر تفصيلاً هذه الكتب وترتيبها على الموضوعات في الصفحات الأخيرة من الكتاب.



# مكتبة إساز العراب

رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس